ذكريات شاب

السر الذي ما عاد في بئر

د. علي بن حمزة العمري

© حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الثانية، 2012م ـ 1433هـ

نشر

دار الأمة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ طريق الملك عبد الله ـ مخرج 10

للتواصل: جوال/ 0508855310 ـ 0508844210 ـ هاتف/ 0096612784178

جميع الحقوق محفوظة في العالم لدى دار الأمة للنشر والتوزيع

alomah@gawab.com

دار وجوه للنشر والتوزيع

Wojooh Publishing & Distribution House

www.wojoooh.com

المملكة العربية السعودية - الرياض

ت: 4918198 فاكس: تحويلة 108

للتواصل والنشر:

wojoooh@hotmail.com

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب؛ أو نقله في أي شكل أو وسيلة،
سواء كانت إلكترونية أو يدوية أو ميكانيكية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو
التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف بذلك.

No part of this publication may be
reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means,
electronic, manual. mechanical, photocopying,
recording, or otherwise without prior written permission of the author.

ذكريات شاب

السر الذي ما عاد في بئر

د. علي بن حمزة العمري

رئيس منظمة فور شباب العالمية
www.alomarey.net
Email : ali@4shbab.net
ص. ب : ٣٥٠٢٣ جدة ٢١٤٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أول حروف الذكريات

كل إنسان في هذه الدنيا يحتفظ بذكريات جميلة وأليمة..

وتلتقط ذاكرته آلاف المواقف التي يتمنى أن يبثها، وأخرى يتمنى أن تمسح من ذاكرته!

وأنا في هذا المقام لن أسجل كتاباً عن ذاتي وتاريخي، إنما أسجل ما مررت به في حياتي مما يستحق أن يُذكر، وينقل لإخواني وأخواتي وبخاصة من الشباب بكل صدق ومحبة وشفافية، ومحاولة ـ قدر المستطاع ـ لنفع القراء.

لقد قرأت عشرات كتب السير والذكريات، فتجنبت الكثير والكثير مما لا يتناسب مع فكرتي هنا.

فهنا لن ندخل في التفصيلات الدقيقة، إنما بالقدر الذي يجمِّل ما نتكلم عنه.

كما إني أنقل الأخبار وأربطها بواقع الشباب، وأجعل تمحور الذكريات حول الخيال، حتى يشد كل من الشباب والبنات خيالهم نحوها، لينشأ بعد ذلك قرار ذاتي!

وحاولـت في هـذه السلسـلة أن أركـز على الذكريـات كموضـوعات وليس كمحطات سنوية.

وقد لا تسـتغربون إخواني وأخواتي أن أخلط كلماتي بمشـاعري وأحاسيسي وتجاربي، بأسلوب عفوي بحت!

لأن العفوية وما امتلأ به قلبي من الحب للشباب جعلني أنحا بهذه السلسلة نحو البساطة والقرب من واقعي.

ولذا فهي (ذكريات شـاب) مخصصة للشـباب، وليست (ذكريات شايب) تحمل وثائق وسيرة ذاتية محضة.

آمل أن تجدوا في هذه السلسلة الجديدة ما يفيد، ويدعو للتغيير، والمراجعة، وإن لم تخل من إمتاع وتسلية!

المؤلف
١٤٣١/٨/٢٥هـ

الطفل العاقل

أحببت جداً تلك العبارة التي قالها أستاذي المفكر د. عبدالوهاب المسيري ـرحمه الله ـ (الطفل إنسان عاقل)!

إنه منذ الصغر يفهم ما حوله، ويشعر به، ولربما يبكي من لوعة الفراق ما يفتت الحجر، ولكنه غير مكلَّف، لأنه يتصرف بعفوية مطلقة.

كان خروجي طفلاً لباحة الدنيا في (١٣٩٣/١/٩هـ ـ ١٩٧٣/٢/١٢م).

وفي الليلة التي ولدت فيها، تزوجت فيها. وكان على بطاقة زواجي (يوم عاشوراء)!

أتذكر من الطفولة أشياء جميلة، وأشياء حزينة.

فأمَّا الحي، فهو (الهنداوية) وسط مدينة جدة، وعاصمتها الأم.

كان أبي يعمل في وزارة الخارجية، ويرسخ في ذهني عنه أنه كان يأخذني إلى طبيب مصري يحب الجلوس معه، ويقول له: هذا (علولي)!

وصديق آخر يمني اسمه (علي) وبه سُمِّيت كما رُوي لي، أهداني لعبة (مسدس، وأدوات حربية)!!

وأذكر أنه كان يأخذنا أسبوعياً إلى بيت عمِّي الشيخ داود العلواني العمري،

وهو شقيق أبي الأصغر، كل جمعة، فنجلس في بيته الذي كان سكناً في مسجد الأمير منصور بجدة ومكث فيه سبعة عشر عاماً.

هــذا الرجل (داود العلواني)، من أكثر الناس ممن عرفت صـلاحاً وتقى، ومـن أنبـل الناس، وأوسـعهم كرماً، وأملحهم مجلِسـاً، يجمع علـى حبه الكبار والصـغار، وهو مدرسـة في فقـه العلاقات، ونفوذ الـرأي، والجمع بين المنهج السَّلفي العلمي، والواقعية واستيعاب التيارات، وسجله حافل بالخيرات، وهو من أوائل من تأثرت بهم ولا زلت.

وكنا في الذهاب والإياب نشـعر بالتعب لكثرة عدد الأولاد وصـغر السـيارة (الفولكسواجن)، وكنا نسميها (سيارة خنفسانة)!

وأتذكر تماماً أنه كان يأخذني إلى الروضـة، وأسـتطيع أن أصـف المدخل الجميل والشجر الكبير الممتد على جنبات هذه المدرسة القريبة من مقر عمله (وزارة الخارجية)، وأذكر في مرة قبل الذهاب للروضـة أنني اشـتريت ببضعة قروش إسـكريم مثلج (توت) كان يباع في كيس نايلـون، فتحمله وكأنك تحمل قلباً!

نعم، الطفل إنسان عاقل!

هل يا ترى تَذَكُّر كل هذه التفصـيلات الدقيقة في السـنوات الثلاث الأولى لا تعني شيئاً؟

هل الغنج والدلال بـ (علولي) لا تمد في نفسي مساحات من الحب المطهر، وتعسكر فيه أجندة الولاء لأبي؟

نعـم لا أتذكـر المراجيـح وألعاب عطـاالله وسـواها، لأن أبي كان إنسـاناً محافظاً على الوقت، حريصاً ألا يختلط أبناؤه بمن لا يثق بهم، بل لا يريد أن يجرب أبناؤه الصداقة إلا مع الأقرباء الثقات فقط. تلك كانت سياسته!

وهي سياسة صحيحة من جهة، ولكنها محرجة من طرف آخر!

فقد كان أبي كثيراً ما يمنع جلوسنا ونحن أطفال في الجلسات العائلية، أو حتــى بعض زيارات الجيران والأصــحاب، لخشــيته أن يداولــوا الحديث فيما لا فائــدة فيه، أو يعلقوا على أمرٍ لا ينفع، أو يتباســطوا في شــيء لا يعود بذكرى طيبة!

نعم، كان يحافظ على طفولتنا بنهجه الفطري، بل وتدينه العالي.

ورغـم ذلـك كنـت غير موافق علـى هذه الطريقـة وأنا طفـل. لأني كنت ألحظ بعض الأقران من الصغار يجلسون بجوار أهليهم، وأجد أنهم ممتَّعون بالجلسة أكثر من متعتهم بفحواها.

وهذه الحوادث الطفولية تجعلني أتأمل مسألة تربوية إلى اليوم:

إن الطفل يمر بمرحلة مراهقة سيكلوجية ونفسية تحتاج إلى عناية وتقدير حسن، كما يحتاجها الشاب تماماً بعد سنِّ البلوغ.

والمرحلة التي تمر بطريقة سليمة تسلِّم نفسها للمرحلة التي تليها بسلام.

إن المسألة التربوية في مرحلة الطفولة معقَّدة.

فالعبقرية المنشــودة عند بعض الآباء والأمهات لأطفالهم ليست بالضرورة ناشــئة من عناية فائقة بهم على مســتوى ما، بقدر ما هي الحفاظ على توازن كل مرحلة بمتطلباتها.

❊ ❊ ❊

الأفكار بنات الديار

سمعت شيخاً كبيراً ووقوراً يندب حياة المدينة والمدنيَّة، لأن عادات أهلها في التقدير والكرم لا تقارن بالريف والقرية والقبيلة.

والمرء كلما حضنته شيم العرب وأخلاقهم التي أقرها الإسلام، نمَّت فيه شعوراً وسلوكاً رفيعاً.

حارتي التي ولدت فيها، وأذهب إليها إلى يومنا هذا أفطر عند (عم عبده أو (الأمير) الفول، حارة عمدة جدة.

ويوم كنَّا فيها كان بحر جدة يذهب إليه الصغار على أقدامهم، لأن الرمل والتراب هو طريقهم المعبَّد آنذاك، أو بالدراجات لمن يمتلكها!

حارة عصاميَّة بما تحمله الكلمة من معنى، لا يوازيها أي حارة في البلد!

(الهنداوية) حيث الشباب المفتولي العضلات، الذين يركبون (الونيتات) للفزعات هنا وهناك!

(الهنداوية) الحارة الهادئة النائمة على رمل ناعم، فيها أشهر المطاعم الشعبية، وتحيط بها من كل اتجاه ألوان الحضارة التاريخية.

فشمالاً باب شريف، وما أدراك ما باب شريف؟، وحارة المظلوم وما أدراك

ما حارة المظلوم؟ وبيت نصيف وما أحلى بيت نصيف؟

وشـرقاً الحارة اللدود، ومجمَّع الحضـارمة، حيث السبيل والعمَّارية. وغرباً ساحل البحر الأحمر بدون حواجز ولا شاليهات ولا عماير ولا فلل ولا قصور!

وجنوباً حيث حواري (الكرنتينة)، مجمع (العرب والأفارقة)!

كانـت أكلاتنا محدودة ومشـهورة (حلاوة بقرة، حـلاوة مص حمراء، ربع علبة بيبسي، مانجا أبَّار وزيني، غزل بنات، يُغمش، كُبيبة، بسبوسة، توت مثلج، شوكلاته حبوب عيون، حبحبوه، لوز بجري).

كان أطفال الحارة، والذين يُقال لهم إلى الآن ونحن كبار (عيال) الحارة، على نهج واحد في الشراء.

فلم تكن هناك سياسة الريالات في الصباح وأخرى في المساء، ولا سياسات ريالات الأسبوع، كانت الهللات تدفع حسب قدرة كل طفل أن يسأل أباه!!

ومرّة أخرى كان الهمُّ يعتصـر قلب كل طفل لأنه لا يسـتطيع أن يطلب من أبيـه بضـعة هلـلات، لأن نظامـه يقول: الفطـور والغداء والعشـاء فـي البيت، والهلـلات تدفـع فقط آخر الأسـبوع، وأحياناً لا تدفع إلا مع تمشـية الأهل، في طلب (كالفشار) أو (غزل البنات) أو (بسبوسة) أو حسب صاحب الصينيَّة أو العربية!!

وقرأت بعد خمسـة وعشرين عاماً أن التربويين في بحوثهم يؤكدون أهمية أن يشـتري الطفل بنفسه، ويختار الطعام الذي يحب بنفسه، واللعب التي يريد بنفسـه، وأدوات الدراسـة التي يميل إليها بنفسه، ودور الأب هو حسن التوجيه قدر المستطاع فحسب.

وفـي الهنداويـة كانت الأخبار تُسـرَّب بسـهولة، والحارة ململمـة، والناس معروفون، والأغلب من بيوت مشـهورة، وعوائل معروفة، فلم تكن هناك حشـش

وزوايا، وقصص بوليسية ورزايا، كان كل شيء على المكشوف.

كانت لعبة (البربر) و(البرجون، ـ الحبوب الحديدية ـ) و(طيري) و(كرة العصاية) هي كل شيء في الحارة.

كان المغرب هو آخر موعد لدخول البيت، وإلا فالخيزرانة أو حبل الغسيل أو علاقة الملابس أو ليُّ الماء، ومن كلٍ أصبت!!

كانت هناك أسئلة نابعة من عادات نحفظها في تلك المرحلة، ونُدرَّب عليها:

ـ كلما دخل ضيف قريب من الأب والأم، يسألون الأطفال: تعرفون فلان؟ تراه ولد عمكم، تعرفون فلان؟ تراه ولد خالكم، ... وهكذا.

ـ إذا جاء الضيف بأي يد نصب القهوة يا أولاد، وبأي يد (نشيل) الدلَّة؟

ـ إذا قال الضيف: أخلف الله عليكم، (إيش) تقولون؟!

هذه أسئلة الآباء لأبنائهم، وعلى شاكلتها كثير!

أما الشباب فيتساءلون بينهم: إذا واحد من برَّا الحارة ما تعرفوه (إيش) تسووا؟!

إذا واحد ضربكم من برَّا الحارة، تروحوا لمين؟!

وفي الهنداوية، وعلى كل جدار بارزٍ فيها، لا بد أن تقرأ اسم عبادي، عبادي، عبادي... فمن عبادي هذا؟

إنه الرجل الأول في الحارة، الرمز الأول بطولياً وقتالياً!

إنه الرجل الأول في الفتوة والتضحية والفزعات.

رجل ليس في جدوله إلا الحفاظ على المروءة والرجولة وشباب الحارة بالحق أو بالباطل!

إنه رجل سلاح.

إنه خالي ولا فخرا!.

خالي عبداللّه، والملقَّب (عبادي)، وذكره يطرد الجن والإنس!

كان لا يسمع عن شاب يؤذى في الحارة إلا ويغير على من آذاه، باللسان واليد والسنان.

الحارة كانت عنده محميَّة، ورغم كل بطولاته وفزعاته وشهرته، ورغم كل تضحياته ومواقفه وبذله، ورغم كل جنوحه وعنفوانه وطيشه، لم يكن ليجرؤ أو يفكر في غير الرجولة والمرجلة، ولم يكن في قاموسه مغامرات الشباب ونزواتهم الآنية.

لقد كان عالم وحده.

ولكثرة مواقفه الحاسمة، ومغامراته المندفعة، لم أره في حياتي على انفراد إلا في ساعات محدودة، لطول سجنه!

وقد شاء اللّه أن يختم شبابه بحياة سعيدة ـ إن شاء اللّه ـ.

❊ ❊ ❊

من القوة ضعف ومن الضعف قوة

ليس ثمَّة شيء يمكن أن يفكر فيه الإنسان في أسلوب خالي (عبادي) وهو (عبدالله) في مدافعته المستميتة للحارة وشبابها، وسجنه الطويل بل والطويل جداً عند الدخول في (المضاربات)، وإيقاف المعتدي عند حده إلا أسباب ثلاثة، هذه الأسباب آمنت أنها السبب الرئيسي لنجاح الشباب أو إخفاقهم.

وقبل أن أذكر ما وصلت إليه من تجارب وآمنت به كحقائق حول هذه الأسباب أذكِّر أن (عبادي) لم يكن المبادئ بالخصومة، وليس مفتعلاً للمشكلات، وليس حجراً لا يقتنع ويفهم، بل هو إنسان له وعليه.

روى لي الشيخ المقرئ (محمد حوّى) أخو المنشد المشهور (يحيى حوّى) أن عمه العالم الداعية المعروف (سعيد حوّى) كان في بداية حياته العلمية والدعوية متشدداً جداً، وكان إذا نصح تعامل بلغة الضرب مع أهل بيته، فإذا رأى إحداهن أظهرت طرف يدها من وراء (العباءة) التي تستر كامل جسدها بالخطأ قام بضربها من غير تفاهم!.

وبعد مدة تعرف على أحد العلماء العارفين والزهاد الربانيين، وعلمه بسلوكه قبل كلامه كيف يكون التعليم وكيف تكون الدعوة، فما كان من الشيخ (سعيد حوّى) إلا الاستجابة للطريقة النبوية في المعالجة، وتصحيح الخطأ

بأسلوبه الراشد، وألَّف أول كتاب بعد هذه المرحلة (تربيتنا الروحية)!

إن سماع هذه الأخبار في المجالس يربي الذات كثيراً، والتأمل في هذه القصص الحصرية يساعد بشكل كبير على تفهم المرحلة.

لذا أنصح كل الشباب أن يسعوا لالتقاط القصص والحوادث الحصرية عند أصحابها والتي تسهم بشكل كبير في تشكيل عقولهم وبنائهم.

نعود للأسباب الثلاثة التي تؤثر على الشباب سلباً وبجاباً، وهي ما أؤمن به الآن، وأدعو لتبنيه: أولاً (حسن التربية)، وثانياً (جودة البيئة)، وثالثاً (عمق التجربة).

وسأتحدث عن هذه النقاط الثلاثة فيما بعد، لأهميتها، لإيماني الكبير أن من أراد أن يبني غيره، أو يبني نفسه فلا بد أن يلتفت إليها.

خالي (عبادي) كان والده من أصلح الناس، وأتقاهم ـ ولا نزكيه على الله ـ، لكن والدته غادرت دنياه منذ صباه، وفقدان هذا الجو العاطفي كان له أثر كبير على (تربيته) وطريقة تفكيره ومسار حياته وطبيعة سلوكه.

(وبيئة) الهنداوية كانت هادئة نوعاً ما، وتغلب عليها الفضائل، وتزدان بالشيم، لكن المحاضن التربوية لم تكن موجودة، وشيوخ الدعوة والتربية لم يكونوا ظاهرين، كل ما في الأمر كانت مواعظ الجمعة التي يلقيها الشيوخ الكبار.

وأما عن (التجربة) فكانت المجادلات والمضاربات هي التي تظهر قوة الحي وقوة شبابه، وهي الأسلوب الوحيد الذي يجعل إعلانات الجدران تتزين بأسمائهم ورسوماتهم، هكذا كانت الحياة تسير.

وظلَّ خالي (عبادي) على هذا المنوال من مدافعة عن شباب الحارة إلى مدافعة أخرى، وغاب عن ناظري عشرات السنين، لا أراه فيها إلا لماماً.

ويشاء الله في مشارف عمره في أواخر الثلاثين، وبعد خروجه من السجن

أن يجلس مع إخوانه (أخوالي) فينصحوه ويوجهوه، فوجدوا أنه مهيء لذلك بقدر رباني، ليس لهم فيه كبير نصيب.

وكانت (الهنداوية) تلك الفترة بدأت فيها بوادر الصحوة المباركة، وصار خالي يرى شباباً غاب عنهم يذهبون للمسجد، فملابسهم ووجوههم وكلماتهم واهتماماتهم غير التي كان يعهدها عنهم!.وتركت تلك البصمات في كل (زقاق) و(برحة) في الهنداوية أثرها على خالي.

ولأن دماء الرجولة والإباء في دمه، كان يأبى أن يحدثه أحد عن الصلاة، بل كان يذهب إليها باختياره، حتى إنه إذا تأخر لأي ظرف وناداه أحد لا يذهب إليها!

إنها بقايا موروثات الماضي.

فكان يدور ما بين المسجد وما بين البيت، والفزعة لطلبات البيت، خدمة وتوصيلاً إلى حيث ما يردون.

(يا ألله) .. ما الذي يجري؟ إنها أقدار الله وألطافه.

وفي يوم من الأيام ذهب (عبادي) إلى الطائف وأوصل أخته لبيتها، وعاد إلى مرتعه الأحب (الهنداوية)، وقال لخالته بعد أن وصل ضحاً: (صحوني للظهر)، ولأن خالته الحنون رأت علائم التعب تركته للعصر، فلما أرادت أن توقظه للصلاة كان قد أدى المهمة، وأنهى الرحلة، ومات البطل النشمي على فراشه ـ رحمه الله ـ من غير مرض أو سابق إنذار، وهو في قمة شبابه وعنفوانه، ولكن في اللحظة التي رقّ فيها قلبه، وأنست فيها نفسه، وكان ينتظر فيها الزوجة التي ستكمل معه مشوار الحياة!

❊ ❊ ❊

الطفولة.. مطلب ومهرب!

بلا مبالغة، قرأت عشرات المجلدات عن هذا العالَم البريء والمستتر (عالم الطفولة).

قرأت رسائل ماجستير ودكتوراه، وكتب طبية وثقافية وسلوكية، وتابعت مجلات متخصصة، ونظرت في برامج متعددة، وحفظت قصائد متنوعة، كل ذلك عن الطفولة.

ومع كل ما قرأت وتابعت ونظرت وسمعت تبقى الطفولة عالماً آخر.

أجلس أحياناً جلسات رقيقة مع بعض الأصدقاء وأسألهم عن مرحلة الطفولة فأجد أجوبة متباينة، خلاصتها:

أن منهم من يتمنى العودة لأيام الصبا، ومراتع اللهو، ولحظات البراءة، حيث المتعة والدلال، والنظافة، والعفوية، والاهتمام من الوالدين.

ومنهم من لا يتمنى العودة حيث الضرب، والذكريات الأليمة، والحرمان، والإهمال.

لقد عشت الطفولة بكل تفاصيلها، وأنعم الله عليَّ بمواقف أحفظ أدق

تفاصـيلها وأنا بين السـنة (٣ ـ ٥)، وأنسـى أخرى تروى لي اليوم من إخواني وأمي وقد مسحت من ذاكرتي تماماً.

عندما أتذكر تلك اللحظات بكل تفاصيلها أقول في نفسي: إن للطفل قدرة عالية بل وعالية جداً على اختزان المعلومات وتذكرها ولو بعد عدة عقود.

وعندمـا أحسُّ إلى هذه اللحظة ببعض الحرمان مـن مطالب كنت أود أن أحصل عليها ومنعت منها لأسباب البيئة والتربية آنذاك، أدرك خطورة الجانب الإنساني، وعمق دوره ولو كبر الإنسان وشاب رأسه.

نسـمع اليوم ونشـاهد نماذج كثيرة وكثيرة جداً ليسـت بالضرورة أن تكون ذكية جداً وعبقرية إلى أعلى مسـتوى، بقدر ما كانت البيئة ممتازة في العناية بالطفل من الناحية العقلية.

ومن صور ذلك ما حدثني به شيخنا العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي ـ حفظـه الله ـ أن أمـه كانت تطلب منه إعراب بيت من الشـعر وعمره خمس سنوات!

وقـرأت في إحدى المجلات أن طفلاً عمره (٥ سـنوات) قفز من الطائرة من على بعد (٨٠٠٠ م) في الهواء عبر المظلية، وقد جربت هذا الأمر الخطير والمغامرة الصعبة وأنا على مشارف الأربعين، فكيف بابن الخمس سنين؟!

ما تفسير ذلك: هل هو القدرات الخاصة، أوالعبقرية المميزة، أو ما يسميه علماء النفس (الفروقات الفردية)؟!

إن هذا الأمر صحيح بنسبة ما، ولكنه بالعموم ليس صحيحاً بحكم التجربة، والمعرفة الدقيقة، والاحتكاك المباشر بالأشخاص الذين كانت طفولتهم مميزة وصاروا حفظةً وعباقرةً بعدئذ.

القضـية في تمرين الطفل، واحتضـانه نفسـياً وتربوياً وجسدياً وعقلياً.

والاهتمام في هذه المرحلة بنسبة كبيرة له تأثيره العظيم، ويصدق عليه قول الحكيم: الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر.

أتذكرُ الآن ما حفظته ما بين سن (٣ ـ ٥) سنوات، الطريق الذي كان يأخذني فيه أبي من البيت للروضة، وأشكال وأماكن بيوت حارتنا وحارة الجيران، وأشكال الحلويات واللعب، وصور بعض الزوار للبيت، أحفظ هذا وأتذكره الآن بلا كبير عناء، وأتساءل عن غيري ماذا يمكن أن يحفظ ويتذكر اليوم؟

دائماً ما أضع المقارنة بيني وبين ابني حمزة والذي هو الآن في السنة الرابعة ـ حفظه الله ـ.

أقارن ما عشته وقرأته وما كنت أتمنى أن أكون عليه آنذاك في ولدي.

إنها أحلى وأجمل وأفضل فرصة للتجديد والتعبير عما أريده في الطفولة.

أريده أن يتمتع ويلهو ببراءة الطفولة، وأريده أن يتعلم بما يتناسب مع قدراته وما أعدُّه له من أجواء لتتراكم في ذاكرته ـ بإذن الله ـ.

بل وفي الوقت نفسه ألتقط له الصور وأحفظها له، ليتذكر الجميل والمفيد في مرحلته.

إنني كل ما شاهدت منظراً لأطفال مميزين (كمجلس شورى الأطفال) بالشارقة، وبرمجة إلكترونيات يسيرة في أمريكا، إلا وتجدني متحفزاً لتربية إبني على المعالي والنجاح.

ولكن أهم من هذا كله أتذكر ما يجب أن أحمله من (نية خالصة و(قدوة حسنة)، و(نفسية متعافية)، و(عمل صالح)، و(روح طيبة)، و(تفاؤل جميل)، ليؤثر هذا كله على ولدي ـ بإذن الله ـ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وكلما كبر ابني يوماً أتساءل ماذا يجب عليَّ من أمانة لأعينه على حياة

طيبة وذاكرة تستوعب كل جميل، وإذا لا قدر الله مرَّ عليه أمر سيئ فلتلتقط ذاكرته الرضا عن الله والصبر الجميل.. وفي كل الحالات لا بد أن يكون معنى (الجمال) مصاحباً له.

وطفولتي تسجل معاني جميلة ورائعة ومشهودة امتدت وتجذرت، بل وتفاعلت في نفسي كالمركبات الكيميائية، وأجمل وأرقى ما أحفظه وأسجله لنفسي لأول مرة، وللتاريخ إلى يوم القيامة، قصة والديَّ معي منذ الطفولة إلى يومي هذا.

وإن كنت سأذكر عناوين عامة لما سأقوله، فيمكنني القول ـ والله يشهد ـ: إنني لم أر وأسمع في حياتي عن طيبةٍ ونبلٍ وتدينٍ واحترامٍ وإنسانيةٍ ما عرفته عن والديَّ، فلا تلوموني إن قلت هذا ولم تقرأوا بعد خبرهما وعجائب قصصهما، وإن رقصتم طرباً لحالهما، ودمعت أعينكم لخبرهما، فما هو ذنبي؟! فالملك يَشهد، وقد سجَّل ما جرى.

❊ ❊ ❊

أحبك أبي

لعل من أجمل وأمتع وأقرب الكتب التي ألفتها ومادتها بين يدي أضيف عليها كل يوم ما أجمِّلها وأرجو أن يعينني المولى على إخراجها قريباً، كتابي (الأنيس)، والذي هو صور عن مشاعر الحياة.

وأول موضوع كتبته وأحببته بعنوان: (مشاعر أب).

فقد جمعت من الأخبار والقصص والأشعار والأحاديث ما كنت أفرح به، وآنس لتوفيق اللّه لي، كلما وجدت ما يمكن أن يسجل عن الأب، مما هو جميل ومؤثر.

وواللّه إنني كلما قرأت ما كتبت وجمعت يتوقف شعر رأسي، وأصاب بالذهول.

فلا تظنونني أكتب عن ترويج لكتاب، فما الحديث عن الأب بحاجة لهذا!

أكتب عن أبي الآن وهو بعيد عني، بل أكتب عنه للمرة الأولى في حياتي وما أذكره هو محطات فقط، فقلمي لا يمكن بحال أن يستعير مشاعري لذكر مواقفه النبيلة الصادقة معي، بل لا يمكن أن يسجل مهما بلغ من براعة في الوصف أحاسيس رجل مؤمن صالح، بلغ القمة في السماحة واللطف والإنسانية.

دوري أن أحكي مجرد حكاية صادقة، وأقوم بدور مخرج الفلم أو السينما ليحرك الشريط فقط، والشخوص غائبة.

نعـم قد يبكي الحاضـرون، ويخرجون عن طورهم أحيانـاً، ولا يُلاموا على ذلك، فكيف لو عاشوا؟!

أبي وما أدراكم ما أبي؟

لو أخذت صورته وذهبت بها إلى حي الفنانين في باريس، وطلبت منهم أن يتعرفوا على شخصـيته، ويعيدوا رسـمها، وينبئوني بما لديهم من تأمل و نظر متوقـع لما ظننتهم يبعـدون عن معاني إنسـانية بحتة يهديهـم الله إليها، لأن ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩].

ولا عجـب فقد جربت هذا بنفسـي في حي الفنانيـن (بباريس) وتمتم لي الرسام ملامح في شخصيتي صدق فيها!

وخبـري هـذا فـي برنامجي (مذكرات سـائح٣) مشـهود، وهو في سـاحة الإنترنت موجود.

أبي رجل متدين بالفطرة.

كان يحكـي لـي أن أباه (جدي) دائماً ما كان يأخذه وأحد إخوانه راكبين (البغال) ويصعدون الجبال لإلقاء الدروس وهم دون العشر سنين.

وممـا كان يقولـه جـدي في الدرس علـى الناس في القبائـل والقرى: هذا ولدي (حمزة) سأسأله ويسمعكم. فيقول: ماذا أوجب اللّه على العبيد يا حمزة؟ فيقول أبي: أن يعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئاً.

ثم يسـأله: ما هي أركان الإيمان؟ فيقولها. ثم يسـأله عن أركان الإسلام. فيقولها. ثم يسأله عن فضل الصلاة. فيذكر أحاديثها.

ثـم يتـم جـدي الموعظة ويختمهـا بقولـه: لا يراكم اللّه حيـث نهاكم، ولا يفقدكم حيث أمركم. والسلام.

مـن هذا الجو الإيماني، ومن هذه الرحلات المتواصـلة، وفي تلك الأماكن الوعرة نشأ أبي.

ولد أبي في مدينة المخواة، وهي إحدى مدن إمارة الباحة جنوب المملكة. وأجداده من بني (عُمَر). ولهذه القبيلة ومكانها أثر في التربية!

فالمنطقة التي نشأ فيها أبي (المخواة) منطقة تهامية.

وتهامة أسفل الجبال وهي ممتدة على الساحل الحجازي، وفي أهلها يصدق قول الرسول ﷺ كما في أول صحيح مسلم: (والإيمان في أهل الحجاز).

وأهل تهامة أهل شهامة ومروءة، وسماحة وطيبة، وكرم ومساندة للمظلوم.

ومواقفهم في القتال ضد المعتدين مشهورة ومشكورة.

وقدم لي بعض المؤرخين مخطوطات فيها أن نسـبة (بني عُمر) تعود إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، ولم يتسنَ لي التأكد.

وذكـر لي العالـم والمفكر والبحاثة النسـابة د. عوض القرنـي أن منطقة المخواة أكرم قبائل الأزد، وهم الأشهر في الوفادة وإغاثة الملهوف.

من هذه الأجواء الدينية والاجتماعية والبطولية نشأ والدي.

فهو متدين بالفطرة، وقّاف عند حدود اللّه، يحب أهل العلم والخير.

كلامه قليل جداً، مشغول بالتسبيح والتحميد والتهليل طوال يومه.

يحب الصـلاة حباً عظيماً، ويقدمها على كل شـيء في الحياة، بل ويبرمج أعماله مهما كانت على الصلاة.

لا يقابل أحداً، ولا يواعد شخصاً إلا بعد الصلاة إن كان في الحي.

أما إذا كان خارج الحي وحان وقت الصـلاة وسمع المؤذن، يقول لنا: اللّه أكبـر .. اللّه أكبـر، يعني: قفوا بالسـيارة عند أقرب مسـجد لندرك الصـلاة،

وليبارك الله لنا في عملنا، وبعد الصلاة كل شيء يهون.

أحياناً نكون في الخط السريع قرب الجامعة، ويؤذن العشاء، ويكون عندي ارتباط مع طلاب التحفيظ بعد الصلاة، فيقول: الصلاة، والشباب ملحوق عليهم! علماً أنه يمكن إدراك الصلاة في الحي بعد مرور سبع أو عشر دقائق بالكثير بعد أذان العشاء، ولكن كانت عنده فلسفة ربانية لمعنى الله أكبر،.. حي على الفلاح.

وكان يحافظ على ورده القرآني بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر مهما كانت الظروف، بل حتى الظروف الصعبة.

وأتذكر أن أحد أقاربه توفي ـ رحمه الله ـ وتواعد مع إخوانه (أعمامي) أن يتقابلوا بعد صلاة العصر لعزاء قريبهم في منطقة الجنوب، وهو في جدة.

وبعد صلاة العصر ـ وعلى غير العادة ـ رجع إلى البيت مسرعاً، ولحقته فوجدته يمسك بالمصحف ويكمل ورده، فقلت له بعد فترة: أعمامي تحت ينتظروك، فقال: الله المستعان، دقائق إن شاء الله، لأني لا أستطيع قراءة الورد مع سفرنا في المساء!

وكان يحب الإعذار للناس، ولا يقبل أن يتكلم أحد في المجلس على أحد، ولا يقبل حتى من (المطاوعة) أن ينتقص أو يقلل أحد دور الآخر.

جاءه إمام مسجد يثق فيه والدي كثيراً، وقال له: إن ابنك علي ـ وكنت وقتها في الصف الثاني متوسط ـ، في فترة الصيف لا يذهب إلى بعض الدروس العلمية، وبعض أساتذته مهتمون بالدروس الثقافية العامة وليست العلمية.

وابنك (علي) لديه حب واهتمام بالدروس الشرعية وحب العلماء، فأنصح أن يذهب إلى الشيخ فلان وفلان، وأنا مستعد لذلك.

ووالدي كان رجلاً عاقلاً وحكيماً ومتسامحاً وبسيطاً في الوقت نفسه، وهو

على نهج (جدي) من حب المنهج السلفي وحب رجاله، ولكنه لم يكن متعصباً ولا متمذهباً، بل رجل فطرة!

فنادى أحد أساتذتي وقال له ما سمعه من إمام المسجد، فقال له الأستاذ: إننا ندرس مادة التفسير وصحيح البخاري، والشيوخ هم فلان وفلان. فقال والدي وهو ابن الخمسين: لم أنادك يا أخي لتبرهن لي ما تقومون به، إنما ناديتك لتتنبهوا ممن يتكلم عنكم. أما ولدي فأنا أرى سلوكه من خلال ما تعلمونه إياه!.

ألم أقل لكم كان رجلاً عجيباً؟!

❊ ❊ ❊

لـن أنساك يـا أبــي

دعوني هذه المرأة أبدأ من النهاية.

فـي يوم العزاء بوفـاة والدي ـ رحمـه اللّه ـ، زارنا عامل مصــري للتعزية، فدخل باكياً، وخرج باكياً وهو يقول: هو في زيك يا شـيخ حمزة، اللّه يرحمك. وصدق واللّه!

لقـد كان مـن عجائب أبـي ـ رحمه اللّه ـ عندما كان قنصــلاً سـعودياً في مدينة الســويس بمصــر، يزور المحلات، ويفرح إذا وجد عاملاً يُسـمع الناس القــرآن وخاصــة الشـيخ سـعد الغامدي والشـيخ أحمـد العجمي، حيـث كانت أشرطتهما متوفرة إلى أن جاء بعدهما كثير من القراء والحمد للّه.

ثم يحرص أن يتعامل معه بالبيع والشراء، فإذا وجده أميناً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى، وتفرس به غير مرة، يدعوه لزيارته في المكتب، ويعرض له تأشيرة العمل في السعودية!.

وكان هــذا العامل المصــري الضـعيف بركة هــذه الطريقــة (الحمزاوية) العجيبة.

وأتذكر أنني زرت ســوريا قبل ثلاث ســنين، فتحدثت مع شــاب صالح من

منطقة الشمال، وأخبرته أن والدي كان فترة من الفترات قنصلاً في سوريا، فدار الحديث بيننا، ثم قال: كان هناك رجل سعودي صالح، خدمنا خدمة عظيمة ندعو له بسببها إلى يومنا هذا.

حيث مكننا من تأشيرة السفر للسعودية بعد محنة مريرة، وبلاء عظيم، ولم يخدمنا رغم كل علاقاتنا أحد إلا هو بعد فضل الله، ثم قال: وكان هذا الشيخ والقنصل الوقور في عام ١٩٨٠م، والتي هي فترة أبي، فلما ذكرت وصفه عجب من ذلك إذ كيف ينساه؟!

اسألوا عنه الجيران والأصحاب والأقارب وكل من سمع عنه، هل أحد منهم ذكر موقفاً عنه لا يرضي أو مظلمة لا سمح الله؟!

ثم اسألوا بم كانوا يصفونه ويدلوا الناس عليه؟

إنه الشيخ حمزة، الصامت، الهادئ، المتواضع، الجامع للخير، الرزين، العف اللسان، النظيف اليد، المتدين، صاحب الصف الأول، المحب لأقربائه، المؤدب في كلماته، الرباني في سمعته.

كان ذواقاً نظيفاً أنيقاً في مقابل التواضع الجم.

نعم إنها معادلة صعبة.

يحب أن يلبس الجميل والأبيض النظيف، لا يحب الأوراق ولا المحافظ العريضة في جيبه، لا يحب أن يرى منديلاً أو قصاصة مرمية في غرفة أو سيارة. يحب الزرع والزهور، يحب المواعيد والتقيد بها، يحب الترتيب والنظام، يحب السماع والإنصات، يحب الصالحين جداً ويقربهم، يحب التفاؤل وإحسان الظن، يحب الخبر الجميل والرفقة الطيبة، يحب القراءة والقرآن.

كنت قريباً من أبي فترات العمر الأولى وفتراته الأخيرة، ولكنه غاب فترات

مختلفة بحكم عمله فترة المراهقة وبعد الجامعة، كنت أفتخر به كثيراً، ولكن غيابه من أجلنا وإسعاده لأسرته ترك فراغاً كبيراً واضحاً.

نعم كلماته ومواعظه كانت قصيرة، ولكن مواقف حياته كانت بليغة.

في الطفولة كان يحكي لي كل يوم قصة قبل النوم، أتذكر والله وأنا بعد في بداية المرحلة الابتدائية طريقة إلقائه لها، وتفاصيل حديثها.

يا الله.. كل يوم قبل النوم قصة! نعم، لقد أشبعنا عاطفياً وحبب إلينا القيم عملياً.

وكانت الصلاة شغله الشاغل، يأخذنا إليها ونحن في سوريا فترة الشتاء القارص على أقدامنا نخوض الثلج، أو بالسيارة إن لم نستطع المشي.

ولم تكن مساجد سوريا تحيي صلاة التهجد في رمضان، فكان يصفني وأخي الأصغر عبداللطيف بجواره في البيت ويصلي بنا ومن خلفنا بقية الأهل بقراءة طويلة خاشعة.

لم تكن أحاديث السياسة والمناصب ومجالس الكبراء تمنعه أو تعيقه عن إبداء موقفه من ضرورة المحافظة على الصلاة جماعة، وإحياء الليل بالقرآن، وتقريب العلماء الثقات وتكريمهم.

فتح الباب على مصراعيه لأولي العلم الثقات، حتى أحبوه وأحبهم، وازدانت مكتبته بمؤلفاتهم القيمة وتحقيقاتهم النفيسة، بل حتى مخطوطاتهم النادرة.

كان أباً بمعنى الكلمة. لا يفكر في نفسه، بل في مستقبل أولاده. لا أتذكر أنه اشترى سيارة لمثل منصبه أحسبها جيدة، بل كانت كل سياراته متواضعة.

يجمع الريال على الريال ليبني لأولاده مسكناً جامعاً يؤويهم ويساندهم في مشوار حياتهم الزوجية، فقد تفضل على الجميع، ولم يكن على طريقة الآباء الذين يقولون: ربينا والباقي عليكم!

عرض له أثناء وجوده في مصر منصب عال، وكان من مميزات المنصب قصر كبير، وخدم، وسيارة مرسيدس خاصة، وثلاث سيارات عائلية، وحرس، وطاهي للطعام، وآخرون للنظافة وجمال الحديقة، إضافة إلى علو الراتب وعلو المكانة. فزهد بهذا كله، ورمى به عرض الحائط، وسكن لوحده أربع سنين في شقة متواضعة، يطبخ بنفسه، وينظف ملابسه بنفسه، ويكنس بيته بنفسه، وعاش لوحده.

فسألته عن سر ذلك، وزهده بالمنصب الذي جاء إليه وهو أهل له، فقال: ما وراء هذه المناصب والزخارف إلا وسخ الدنيا!.

وكأنه يشير إلى أن من كان في هذا المنصب لا بد أن يستقبل بعض الوفود رجالاً ونساءً.

فأدركت ما كان يقصد، وتمتمت له مازحاً: إن هذه اللقاءات نادرة وعابرة. فقال: ولكن أثرها غير عابر! وأنا هنا أتحكم في وقت نومي وأكلي وحركتي وهي بكنوز الدنيا.

وحدث ذات يوم أنني أخبرته في المسجد عن قبولي في الجامعة في الكلية التي سعيت لها من أجل اهتمامي بالإعجاز العلمي وهي كلية العلوم، ففرح وبارك لي الخبر ودعا لي في المسجد بعد صلاة العصر، فقلت له مازحاً: ومكافآة الكلية ٨٠٠ ريال، فنظر إلي وقال: لا نتحدث يا ابني في بيت الله عن الدنيا!.

وعندما أراد أن يشتري لي سيارة جديدة عند دخولي في الجامعة مازحني

هو هذه المرة فقال: أتدري عندما سمعنا في القرية عن شيء اسمه سيارة ماذا عملنا لنراها؟

قلت: ماذا؟، قال: حملنا الأعلاف على ظهورنا لنستقبلها ونقدم لها واجب الضيافة!.

هكذا كانت طيبته وهكذا طابت أيامنا معه.

مرض أبي ـ رحمه الله ـ بالسرطان، وبقي في المستشفى أكثر من أسبوعين، وفي يوم الجمعة الأخير طلب أمراً عجيباً رفضه الأطباء، واختلف عليه إخواني لفرط محبتهم وخوفهم عليه، ألا وهو رغبته الذهاب للبيت.

أوصلناه للمنزل بِراً به وهو لا يكاد يتحرك، طلبنا في غرفته وجمعنا حوله، وقدَّم وصيته، فقال بعض إخوتي: أطال الله عمرك، لا تفكر بهذا. فقلت حينها: دعوه يقول ما يريد ولن يُكتب إلا ما أراده الله. فرح بتسليم الوصية، وتوزيع الأوراق وهو في غاية الألم والتعب، ثم طلب أمراً يفطِّر القلب، ألا وهو زيارة غرف البيت التي كنا ننام فيها، فمر عليها غرفة غرفة ونظر إلى زواياها، ونحن نتأمل في هذا المشهد المحزن.

ثم ذهب إلى غرفته التي كان يقرأ فيها القرآن وارتاح قليلاً، إلى أن عدنا به إلى المستشفى. وكانت هذه زيارته الأخيرة لدار الدنيا.

اشتد ألمه وهو بالمستشفى التخصصي بالرياض، ومكثنا قرابة الأسبوعين هناك، وسبحان من جمع القلوب على المحبة، لقد غاب وعيه تماماً في آخر يومين، ولم يعد يحس أو يدري بمن حوله، وكانت نفس أمي مطمئنة محتسبة طيلة بقائنا في المستشفى مع دعائها له وهي في جدة. لكن أمراً غريباً وشعوراً فياضاً احتواها فطلبت زيارته، ووصلت إلينا عصراً، فدخلت عليه وسلمت، ووضعت يدها على يده فنظر إليها متبسماً، وهذا والله

من عجائب رحمة اللّه وعظيم قدرته. وغادرت يومها راضية داعية.

وكأنها لحظات الوداع، ونظرات الفراق، أتت إليه بدافع فطري غريب قبل وفاته بأقل من ليلة!

وقبيل عصر اليوم التالي وأنا أقرأ عليه سورة يس، جاء الطبيب وكشف عليه، وأعطاه جرعة من دواء، وبعد دقيقة قال أخي محمد: كأنه عندما جاء الطبيب كانت عينه ترمش، فقلت: ناده إن شئت، وناداه، فلما نظر الطبيب، قال: سبحان اللّه توفي قبل دقيقة!

وهكذا غاب عنا من غير أن نشعر، متذكرين دعاء النبي ﷺ «اللهم اجعل موتي نوما»، وهكذا كانت موتته واللّه.

وكأنه لم يرد كما كان طبعه أن يزعجنا أو يفجؤنا برحيله.

أخبرنا الأقارب والأهل، وأبلغناهم أننا سندفنه بمكة كما كان يقول في آخر أيامه وهو لا يشعر: أريد الذهاب لمكة للصلاة وشرب زمزم!

وكان عمي الشيخ داود العلواني القاضي والعالم المعروف قد قال لنا وهو في الطائرة إلينا وسماعه الخبر عند بابها: إذن فلنصلِّ عليه في الرياض!

ولما وصل إلينا، قال: من حضر من الأقارب فالحمد للّه، ومن لم يحضر فمعذور، وليكتفوا بالدعاء. وكان حرصه ـ جزاه اللّه خيراً ـ على سنة إسراع تجهيز الجنازة ودفنها. فأخبرته بما كان يقول ـ رحمه اللّه ـ وسهولة نقله مع وسائل العصر إلى مكة، لكنني كنت مضطراً لإبلاغ شيخنا العلامة محمد الحسن الددو الذي كان يقرأ على والدي يومياً ـ جزاه اللّه خيراً ـ فوصل إلينا وذكر النصوص الشرعية عن مواقف الصحابة في نقل الجنائز للأماكن الأفضل، فاقتنع عمي، وطابت نفوسنا، وصلينا عليه بمكة، وأدى الصلاة عليه الشيخ الفاضل: سعود الشريم.

ودفـن بجوار قبر الشـيخ عبدالعزيز بن باز والشـيخ بـن عثيمين ـ رحمهم اللّه ـ جميعاً.

وطويت صـفحة من حياة أهل الخير والفضـل والإحسـان، واقتضت حكمة اللّه أن أسـير في حياتي بعدئذ من غير أب، راضـياً بما قدر اللّه، مستعيناً به في إتمام المسيرة والمشوار الطويل!

على أن اللّه أكرمني بأمٍّ صالحة تقيَّة بارَّة، هي عندي زينة الدنيا وبهجتها، لا يكفي لوصـفها واللّه عشرات الكتب. وسأروي عنها بعض ما في قلبي ونفسي في كتاب مستقل بإذن اللّه.

إذ من الصـعوبة وصـف امرأة جمعت بين الكرم والخُلق الرفيع، وصـيانة النفس واللسـان، ومحبة الناس كل الناس بالإجماع، والتفهم لمتطلبات الجيل، والحرص على القرآن، مع التشجيع وبث التفاؤل والثقة، وشدّة التحمل، والرفق، وطول العبادة، وعظيم البر.

ألا يكون كل ذلك نعمة من اللّه لي؟!

❋ ❋ ❋

دورة منبر الملابس

أتذكَّر هذا الموقف جيداً، بل أتذكر هيئة أدائه.

إنه موقف البداية مع عالم الخطابة، عند (علاقة) الملابس.

(إن الحديد والحديد) تلك كانت المقدمة النارية!

بهذه الكلمات الغريبة (إن الحديد والحديد) يداعبني شقيقي الأكبر (أسامة)، كلما هيجته الذكريات عني.

يُجمع كل من في البيت أنني كنت آخذ (علاقة الملابس) وأقف على كرسي، وأجعل فمي تجاه الجزء المتفرع من (علاقة الملابس العامودية) وكأنه ميكرفون وأتخيل نفسي خطيباً، وأذكر تلك الكلماتِ الرنانةِ التي لا أعرف إلى اليومِ ما التي أدخلها وحشاها في دماغي و(لعلع) بها لساني.

أتذكر المكان والحركات والعلاَّقة، بل أتذكر تماماً أنني كنت أخطب بالفلينة والسروال الطويل من غير ثوب، وطبعاً من غير أي غطاء على رأسي.

يالله، لقد بدأت الخطابة وعمري خمس سنوات!! لعل السبب ـ والله أعلم ـ في التعلق بالخطابة ولعي بجدي ـ عم أمي ـ الشيخ بركات العُمري ـ رحمه الله ـ.

فقد كان يخطب بنا أحياناً في مسجد (الحفني) بحي الهنداوية.

وكان شيخاً صالحاً وقوراً، عف اللسان، سميراً للكتاب، كريم الوفادة، متألهاً في العبادة.

لاحظت عادة الكرماء منه وأنا دون الخامسة، حيث كان يحب أن يترك الضيوف لوحدهم في الغرفة ولا يشاركهم حتى يأكلوا ما طاب دون تحرّج من اختيار قطعة دون أخرى.

ولم أعرف عبادة الاعتكاف إلا من طريقه، حيث كنا نأخذ طعام الإفطار والسحور ونقربه له في آخر المسجد في أيام رمضان الأخيرة، ولم يكن يوجد في الحي معتكف غيره.

هذا هو جدي ـ عم أمي ـ الذي أحببته وتأثرت به، وقادني لعالم الخطابة في سطوح المنزل.

نعم، فقد كنا نسكن في الهنداوية في السطوح، وبيتنا عبارة عن غرفتين بناء، وحمام واحد، وغرفتين خشب لا مكيف فيها، وعددنا ثمانية! والسعة والحمد للّه كانت في باقي السطوح المفتوح، الذي كنت أضع فيه (علاقة الملابس) وأصيح (إن الحديد والحديد)!

والحقيقة أن هذه القصة أعطتني ثقة كبيرة في نفسي، وشجعتني على البدأ في الخطابة، وحملتها في ذاكرتي حتى جاء الموعد المقدَّر.

كان هذا الموعد في غرة شهر رجب عام (١٤١٣هـ) بمسجد الرحمة بجدة.

وأتذكر قبل هذا الموعد أنه حانت فرصة للخطابة في مسجد سابق وتحمست لذلك، وتكلمت مع أحد أساتذتي فأشار عليَّ إن لم تتيسر الأمور أن أتأخر. وكان الحق معه، والخير لي.

لأنني لم أكن أملك حينها مفاتيح الخطابة بالشكل المرضي، وهذا كان أول درس عميق في فقه المرحليات.

وقبل إتمام بناء مسجد الرحمة، استشرت العالم المربي الفقيه الذي كان جاراً لي وللمسجد الجديد الشيخ (حسن أيوب) ـ رحمه اللّه ـ، ففرح بذلك، وقال: حتصير إمامنا يا شيخ علي!

كان هذا اللقاء عام (١٤١١هـ) وعمري آنذاك سبعة عشر عاماً.

وفي التاسعة عشر حان موعد الخطابة.

وقد يتساءل البعض ما عنوان الخطبة، وما عناصرها، وما كلام الناس عنها، وهل كانت مكتوبة أم مرتجلة، وما شعورك فيها؟ ولكني في الحقيقة كنت أمام مشكلة أكبر من هذا بكثير، وهي مشكلة عدم قدرتي على الصعود إلى المنبر في أول خطبة لي والناس ينتظرون!!

❊ ❊ ❊

وانكسر الحاجز

في الأسبوع الأخير قبل افتتاح مسجد الرحمة والبدأ بالخطابة فيه، استشرت جاري الأخ والأستاذ المربي المخضرم محمد بنون عن موضوع أول خطبة، فترك لي حرية الاختيار، لمعرفته بقدراتي الثقافية.

وأخذت بعد جلستي معه أضرب أخماساً في أسداس، ماذا يا ترى سأفعل، وبأي موضوع سأبدأ؟

وعادت بي الذاكرة لدرس أسبوعي كل خميس بعد صلاة الظهر في منزل أستاذي المربي وجاري الحبيب: ياسر ابن الشيخ علي موريا مؤذن مسجد الفتح.

ولهذه الأسرة الصالحة حديث خاص، ولابنها البار المميز ياسر أرق ما كتبته الأقلام وجادت به الأفهام وغنت به الحياة.

كان الأستاذ ياسر يقرأ ويعلق بعد صلاة ظهر كل خميس في بيته من كتاب (رجال حول الرسول) للأستاذ: خالد محمد خالد ـ رحمه اللّه ـ، ومن ثمّ كتاب رياض الصالحين للإمام النووي ـ رحمه اللّه ـ.

فتذكرت القصص التي نشأت عليها وأحببتها وتعلّقت بذاكرتي وقلت: وجدت الموضوع.

إنهـا قصـة البطولة والقوة التي تناسـب البدايـة الجادة لـي، فليكن إذن حديثي في أول خطبة جمعة عن سـعد بن أبي وقاص، وليكن المرجع الأساسي الذي ألِفْته وأحببته كتاب (رجال حول الرسول).

وأقبل يوم الجمعة!

ولكن شـعوراً غريباً أصـابني، ووسوس لي بأن أعتذر عن أول خطبة، وقلت حينها لجاري وأستاذنا القدوة محمد بنون: كنتَ قد وعدتني إن لم أكن مطمئناً بإخبارك. وهذا ما حصل حقاً فطمأنني صبيحتها، ومرَّ على بيتي قرابة الساعة التاسعة صباحاً وقال: لدي ظرف فسأضطر الذهاب إلى المطار، واستعن بالله وابدأ عالم الخطابة!!

أغلقت باب البيت واستلقيت على ظهري، وبعد نصف ساعة ركبت سيارتي وكنت قد صورت الخطبة من كتاب (رجال حول الرسول) عن سيرة (سعد بن أبـي وقاص)، واتجهت إلـى الهنداوية لأفطر مـن فول (عم عبده) وأتناسـى الموقف!

فلعل بدايتي مع الخطابة عند علاقة الملابس في الهنداوية، تهيجني وتشد من أزري!.

فـي طريـق العودة أخـذت أخطب فـي السـيارة، وأراجع المكتـوب، وأثبِّت الروايات والقصص.

إلا أن صراعاً كبيراً كان في نفسي لم أستطع الانفكاك منه حينها ولا حتى بعد أشهر طويلة من خطابتي، هذا الأمر هو أسلوب الخطابة.

نعم قصـة (سـعد بن أبي وقاص) من كتاب (رجال حول الرسـول) تعتبر مادة ثرية، وبأسـلوب أدبي وتشـويقي عالٍ، لكنني وقتها كنت عاشـقاً لأسلوبين متضادين.

أسلوب الشيخ علي الطنطاوي في التشويق والبلاغة وسحر الكلمات وإبداع الوصف والخيال. حيث كنت وقتذاك متشرباً لمؤلفاته، مواظب على حضور مجلسه الأسبوعي، وبين مدرسة شيخي الأول في الخطابة والعلم العلامة المحدث عبدالقادر الأرناؤوط، ثم الشيخ عبدالرحيم الطحان في أسلوب التأصيل والتقعيد والتحرير!.

فيا ترى كيف سيكون موقع موضوع (سعد بن أبي وقاص) بين هاتين المدرستين؟!

استعنت بالله، وقررت أن أبدأ الخطابة مرتجلاً، وأن أحفظ القصص، وأن أذكر الموضوع بأسلوب الطنطاوي، وأن تكون الخطبة الثانية منهجية على أسلوب الأرناؤوط والطحان، وأن تعرض فيها الدروس والعبر مع ذكر تأصيلات وأحاديث مخرجة وموثقة.

وبدأت الخطبة وانتهت في عشر دقائق، وأثنى عليها الناس، ولا أدري هل كان ثناؤهم لتنوع أسلوبها، ووحدة موضوعها، وطبيعة تشويقها، أم لقصرها، ومراعاة لسن قائلها؟!

ووجدت نفسي تلك الفترة ألعب بالناس يميناً ويساراً!

فمرة أميل أكثر لأسلوب الطنطاوي في كتابته، ومرة لأسلوب الأرناؤوط في تأصيله، إلى أن مزجت بين الروحين، وصنعت منهما مذاقاً جديداً ولوناً بهيجاً ووصفة خاصة.

والحمد لله طَبعتُ (لوني الخطابي) بعدما عُرفت بخطيب (المنبر الحر)، وها هي ذي خطبي موجودة في مجلد كبير تحمل عنوان (المنبر الحر) في قرابة خمسمائة صفحة، تشكل قرابة ثلاثين خطبة منوعة، يمكن لمن قرأها أن يستشف منهجي وأسلوبي فيها، الذي زاوج بين العواطف والعواصف.

وحـول (المنبر الحر) قصـص تروى ولا تطوى، فمنـه تعرفت على الآلاف من الناس، ووصـلت خطبي إلى الملايين ـ بفضل اللّه ـ، وما نبأ خطبتي (أمير الأنام) التي طبع منها تسجيلاً في دول العالم حسب ما سمعت من أرقام تفوق المليون، الا دليلاً على ذلك.

ومن (المنبر الحر) إلى السجن غير الحر!

❊ ❊ ❊

زنـزانـة (٣٧)

أيـهـا الـبـلـبـل إنـا أخـوان | بيدَ أنّا يا أخـي مختلفان
أنـت تـحـيـا لـتـغـنـي وأنـا | أجرع الصبر وأجترُّ الهوان
صوتك الـوردي لـحنٌ ساحرٌ | وفــؤادي فـيـه نــارٌ ودخـان

❊ ❊ ❊

صـبـراً أخــي لا تـبـتـأس | فالـسـجـن لـيـس لـه اعـتـبـارُ
والـقـيـدُ مـن أجـل الإلـه | فـي شـرعـنـا لـهـو الـفـخـار
ونـفـوسـنـا مـهـمـا عـدى | أعــداؤنــا تـبـقـى كـبـار

هذه أبيات لأناشيد تغني الحرية والحياة التي تسأم القيد والذل.

عندما سألني الشيخ علي الغامدي والد زوجتي في أول حوار بيننا وأنا أتقدم لخِطبة ابنته: ما هي مبادؤك في الحياة؟! قلت: الحرية!

إنني مؤمن تمام الإيمان بالحرية، الحرية الجميلة المتفتحة الواعية العاقلة البانية الممتعة السهلة الممتدة.

والحرية غير التحرر.

ولم أكن أفكر في حياتي أن أستعدي أحداً، أو أعتدي على أحد، أو لا سمح الله أسلب حرية أحد ولو لرأي رآه، وأرى أنني معارض له.

على هذا نشأت، وعلى هذا دعوت، وعلى هذا المبدأ غنيت في نفسي، وأنِست بنشيد الأحرار.

والعجيب أنني كنت أقرأ في كتب السجناء من أصحاب التوجه الإسلامي الأحرار، أو حتى من غير الإسلاميين التحرريين، قرأت: حكومة الظل، ومن وراء الشمس، وأيام من حياتي، وقصة أيامي، ونساء في السجن، ومغامرات طبيب صدام، وعشرات الكتب، حتى أنه في الليلة التي استجوبت فيها، وأدخلت فيها السجن، كان بجواري كتاب (قصة أيامي) للشيخ المرحوم ـ بإذن الله ـ عبدالحميد كشك عند وسادة نومي، أقرأه للمرة العاشرة!

ولهذا الكتاب خصوصية عندي، لأنني أحببت الشيخ في الله حباً عظيماً، وعندما قرأت سيرته في كتابه هذا وأنا في الصف الثالث متوسط أذهلني الواقع الذي عاشه!

وهزتني بعده كتب في هذا المسار كثيرة أهمها: كتاب (أيام من حياتي) لزينب الغزالي، وقد زرتها في بيتها، وتحدثت عنها بحب وإعجاب في كتابي (كلمات في شموخ إنسان)، ورواية الشاعر الذي يقطر إنسانية (سليم عبدالقادر) في روايته (مالا تتوقعونه)، وكتاب (نساء في السجن) للأديبة المشاغبة نوال السعداوي ـ هداها الله ـ، والكتاب الذي هزني (رحلتي مع الأخوات المسلمات للداعية فاطمة عبد الهادي، وغيرهم ممن لو سردت نقاط تأثيرهم في حياتي لما توقفت.

في المرة الأولى لاستجوابي وسجني كنت مسافراً إلى بيروت لتسليم النسخة الختامية لرسالة الدكتوراة، وترتيب أمور المناقشة.

دخلت المطار ولما وصلت المنفذ (قطع كرت صعود الطائرة) عند الباصات، قال لي الموظف: انتظر قليلاً!

تعجبت من الموقف، إذ لم يحصل لي هذا الطلب في حياتي على كثرة أسفاري للقارات كلها.

بعد عشر دقائق جاءني رجل بثوب رسمي وطلب الذهاب معه لأحد المكاتب، ذهبت معه وقلت له: ما الأمر؟، قال: هناك ستعرف!، وسلمت الأمر لله.

عند قربي من مدخل الجوازات قدم أمامي ثلاثة شباب يرتدون لبساً رياضياً ومن خلفهم ثلاثة لمحتهم، وفي لحظة واحدة اجتمعوا عليَّ ووضعوا القيود في يدي ورجلي وغطوا بشماغي على عيني ورأسي!!

في غرفة المطار طلبت من الشباب الذين يبدوا أن فيهم الخير أن يسمحوا لي بالوضوء للصلاة، فسمحوا مشكورين فك قيد اليد فقط!

صليت ما شاء الله أن أصلي، ثم توجهوا بي إلى المنزل، وفتشوا كل البيت وأخذوا كتباً أتذكر منها للشيخ القرضاوي وأخرى للشيخ عائض القرني وكتباً تراثية وفكرية عامة كانت على طاولة مكتبي، وتركوا الذي على سريري (قصة أيامي) للشيخ كشك!

أصاب الذهول والدتي ـ رعاها الله ـ، وسلمت عليها وودعتها، بعد أن قرأت في عيني كل ألوان البراءة، وأن هذا أول طريق البلاء.

ذهبت لسجن الرويس، واستجوبت استجوابات عن حياتي وهل أعرف فلاناً أو فلاناً، وأخذوا بصماتي، إلى أن قابلني مدير السجن ومدير المباحث بعد يومين تقريباً، فقدم اعتذاراً عما جرى، وطلب أن يُنهى الملف سريعاً، واهتم بي بإعطائي بطانية ومخدة جديدة، وبت ليلتي هذه في غرفة خاصة فيها سجينان شابان، أحدهما مطلوب منه ألا ينام ويسمى بلغة السجون (تسهير) حتى يعترف، والآخر عليه علائم الضرب وقد اعترف بقضيته، ولم أضطر أن أسألهما عن قضيتهما، فأنا هنا في شأن آخر، إذ إني لأول مرة في حياتي

أدخل سجناً، وكنت أكره هذا المكان تماماً، ولكني ألفته بغير أمري.

في اليوم الخامس تم إخراجي بريئاً من السجن، وليس هناك أي إدانة، أو حتى أي سبب أو مبرر لما حصل!، وقدم لي في ليلتها المحقق شوكلاته (كتكات) وقهوة، وقال لي: يا ولدي، وجهك وجه خير، وسامحنا!

خرجت من هذا المكان (البلشة)، وكتبت خطاباً لمساعد وزير الداخلية الأمير محمد بن نايف، عما حصل بالتفصيل، وأن هذا الموقف يعتبر مخزياً في حق إنسان شاب مسالم، وتمنيت في الخطاب أن تكون الحلول في حالات تصيد الأخطاء من الحاقدين أو الحاسدين بغير هذه الطريقة.

وحقاً بعد أسبوع تقريباً من خطابي اتصل بي الأمير بنفسه معتذراً عما جرى، متأسفاً جداً مما حصل، وأخبرته بأنني أمثل نفسي وكل الشباب الطيب العاقل، وأن المطلوب هو التناصح بين الجميع لمصلحة الدين والوطن، فشكرته وشكرني، وطويت هذه الصفحة التي اعتبرتها تجربة جديدة، لا ناقة لي فيها ولا جمل، سوى حسد الحاسد، وحقد الحاقد، ثم مرّت سنة كاملة، وفي نفس التوقيت دخلت السجن بحسد حاسد، وحقد حاقد، وطال البلاء في زنزانة رقم (٣٧) ثم في العنبر العام مدة (٩٩ يوماً) تقريباً، وخرجت بفضل الله وحده، ثم بدعوات الصالحين الشرفاء الأحرار، ثم بوجاهة أحد القدوات الكبار الذي أبلغ مساعد وزير الداخلية بشأني، وقال له الأمير: والله لا أعلم عن الأخ علي شيئاً، وبادر بإخراجي مباشرة. ولكني هذه المرة لم أكتب للأمير حرفاً إلا بعد خمس سنين في رسالة طويلة!

❊ ❊ ❊

من عـالم السجن إلى عـالم الحرية

المؤمـن دائمـاً يطلب السـتر والعافية، لكنـه يتأدب عند الأقـدار، وينتظر اللطف!

بعد خروجي المرة الثانية من سجني (٩٩) يوماً، وعظني بعض الأحبة أن أهجـر الخطابـة، أو أنتقل عن الناس الذين أخطب فيهـم، أو أغير في خطتي الدعوية، أو نوعية المخاطبين.

وكنت أقول لكل واحد منهم: إنني عندما أصعد المنبر أذكِّر الناس بتقوى اللّه، والصـبر علـى أقداره، وأعرض قصـص موسـى ويوسـف ومحمد عليهم الصـلاة والسـلام، وأطلب مـن النـاس أن يمتثلوا هديهم، ويقتـدوا بهم، وأن الطريق الذي سـلكوه لا بد فيه من الابتلاء، والصـبر، والرضـا، والتماسـك، وطلب العافية، أفبعد الابتلاء على نهجهم، من غير تقدير أو طلب بلاء، نكون قد خضنا في غير طريق اللّه؟!

أو يصـح أن ننصـح الناس على الصبر على البلاء، حتى إذا جاءنا رجونا بلاءً آخر، وكأننا نرتب الأقدار؟!

والحقيقة أن السـجن وإن كان لا دخل لي في ترتيبه، وليس في سـجلي أي خطوات تدعو لدخوله، إلا أنه كان فرصة لأمور عدة:

١ ـ **التعرف على طبائع المبتلين**، المتعمد منهم فعل الخطأ، أو المظلوم.

٢ ـ **التفرغ شبه التام لمراجعة القرآن**، فقد منَّ الله عليَّ بمراجعة (١٠ أجزاء) غيباً كل يوم.

٣ ـ **التدرّع بالصبر الجميل**، إذ لا حيلة في زنزانة حديدية، لا تتجاوز (مترين طولاً × متر ونصف عرضاً) لا يوجد فيها ضوء، ولا يدخلها الهواء الصحي، ومسار التكييف فيها موحد، بمعنى مقياس برودة واحدة لكل المساجين، ومروراً بروائح التدخين (لمن منهم مدخناً) على الجميع، إضافة إلى وجود حمام واحد فقط لـ (٣٧) سجيناً، يتصبرون المرَّ خاصة فترة اليقظة، وانتظار الدور للصلاة، وفوق ذلك سماع أنَّات المرضى، وصراخ من لم يصبر لطول انتظاره، خاصة إذا عُلم أن السجين لربما يقضي سنة أو أكثر لوحده في غرفة ضيقة لا يناديه أحد للحديث معه!

٤ ـ **الفأل الحسن**، والتعبد لله بانتظار الفرج، والتبسم للحياة رغم المصاعب والمصاب، وهذا ما كنت أفعله مع السجناء جميعاً، فقد أقمت (دورياً رياضياً)، واشتريت من حسابي (ترتة كيك من حلويات العماد) ـ عن طريق العسكري ـ، وكرتون (سنتوب) للفريق الفائز!

وكان عددنا في العنبر (مرحلة انتقالية ويسمى السجن العام بعد فترة الزنازين)، قرابة (١٠٠).

٥ ـ تطبيق فن التفاوض!

فكنت معروفاً عند مسؤولي السجن، مقدَّراً عندهم، فكلما حلت بلية، أو أصيب بعض السجناء بالملل والضجر، أو المطالبة بالمحاكمة التي طالت، وتسببوا في اعتصامات وأفعال مبتكرة وجنونية، كان دوري التفاوض بين السجناء وإدارة السجن، وطالما حللنا مشكلة انتحار شاب، أو إضراب مزعج شبه جماعي!

٦ ـ **لأن صنعتي إشاعة الوعي**، وبث الجو الصحي الآمن للحوار، كنت يومياً أجلس قرابة (٦ ساعات) مع أحد الأفراد الذين يفكرون بالجهاد بطريق خاطئ، أو أنه مقتنع بسبيل العنف لشبهات مختلفة، وقد أثر الحوار مع عشرة منهم، وفتحوا لي غرفهم عند انتقالي (للعنابر) المفتوحة، بعد أن كانت ممنوعة الدخول!

٧ ـ **كنت أقدم كل يوم (٥ دروس)!**

بعد الفجر في التفسير، وبعد الظهر في العقيدة، وبعد العصر في الفقه، وبعد المغرب في السلوك مع مراجعة للقرآن وتحفيظ شبه جماعي، وبعد العشاء في الدعوة، وفي الساعة (١٠ ليلاً) دورات مفتوحة في شؤون الحياة!

كما كنت أخطب الجمعة واقفاً، وأجلس فترة انتظار الأذان وبين الخطبتين على (قدر طعام) فوقه بطانية أو شرشف!

وخلاصة ما رأيت من السجناء، شباب ظالم لنفسه، قليل التفكير، بسيط الثقافة، ضحل المعرفة، غائب عن التاريخ، غير ممارس للدعوة، فقير في فهم الواقع، وهم القلة.

وطائفة متحمسة تفتقد الموجه الرباني، والداعية الواعي، والأسلوب الأمثل للنصح، وهم الأكثر.

وطائفة مظلومة (١٠٠٪) جاءت بهم الأقدار، وعصفت بهم البلايا، تمحيصاً لحالهم، ورفعة لدرجاتهم، وتكفيراً لسيئاتهم، وتجربة في حياتهم، وعددهم غير قليل!!

وبعد، فإن كل من قرأت له وعاصرته قد دخل عالم السجن، فصبر، وتمسك بمنهجه المعتدل، ونفسيته المتعافية، وقوة إيمانه بالله، خرج أصلب عوداً، وأقوى يقيناً، وأقدر على انتظار ألوان البلاء، وجعل الله أعداءه أصدقاء،

ومن تربص به صاروا هم الذين أحاط بهم القلق! لما حصل للمفرج عنهم من ثبات، ثم ما جعله الله من سنة كونية ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦] من تيسير أمور عجيبة في حياتهم، وتجديد في أعمالهم، وفتوح في برامجهم، وتوسع في نشاطاتهم، ووثوق الجماهير ـ التي تضاعفت ـ بهم.

ورغم كل ذلك، فإن البلاء فتنة، والعافية مطلوبة، والحذر واجب، ولكن الأقدار تسبق الخطى والأفكار!

❊ ❊ ❊

يا نايم إلحق الغنايم

إنه صوت جدي والد أبي الشيخ أحمد العلواني العمري ـ طيب اللّه ثراه ـ.

اللّه، ما أطيب هذا الرجل، وما أحلى يومه.

إنه من أهم الشخصيات في تكوين حياتي، بل في حياة عائلته كلها، أبناءً وأحفاداً.

إنه الإنسان الذي قال عنه الشيخ الألباني ـ رحمه اللّه ـ: لم أرَ في حياتي رجلاً أتبع للسنة من أحمد العلواني، وصدق واللّه.

لا أعتبر جدي إلا رجلاً من بقية السلف في الخلف.

رجل جميل الهيئة، ضحوك بسام، يألفه الصغير والكبير، عف اللسان، طيب القلب، كريم السجايا، وقور مهيب، من عباد اللّه الصالحين، ولا نزكي أحداً على رب العالمين.

كلما زار بيتاً جمع الصغار، وسألهم: ما أول ما أوجب اللّه على العبيد؟، ثم يسألهم عن أركان الإيمان وأركان الإسلام، وأحاديث الصلاة.

يحفظهم إياها بأسلوب سهل وممتع. حتى كنا ونحن كبار نفرح بدوران الأجيال عليها بنفس الأنغام!

يحرص على زيارة أبنائه والبيات عندهم ليالي متعددة مؤانساً وناصحاً.

فإذا جاء الدور في بيتنا حلَّت والله البركة والسكينة وخلَّفنا الدنيا وراءنا.

يستيقظ قبل صلاة الفجر بساعتين، ويصلي ما شاء الله له أن يصلي، ثم يستعدُّ للصلاة، وقبل الأذان بنصف ساعة يمسك العصا، ويطرق أبواب الغرف ويقول بصوت رخيم عذب حنون:

يا نايم إلحق الغنايم.. يا نايم إلحق الغنايم.

وكنا قد تعودنا إذا جاء إلى حينا أن نطلب من مؤذن المسجد مفتاح المسجد لأنه يحرص على دخوله مبكراً، وخاصة في صلاة الفجر قبل نصف ساعة!

لا أدري والله ما الذي ملك أحاسيسه وفكره ومشاعره حتى تراه في كل ساعة بل في كل دقيقة بل في كل لحظة لا يفتر عن ذكر الله، وتتحرك أصابعه بطريقة شبه (أتوماتيكية) تسبيحاً وتحميداً وتهليلاً وتكبيراً. بل حتى إنني والله استغرقت في عجبي وتأملي وأنا أراه على نفس الطريقة يحرك أصابعه اليمنى ذاكراً وهو في جلطة شبه تامة، وغيبوبة شبه كاملة.

هنا أتذكر البيت الشهير الذي كان يتمثل به الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ:

وإذا خطرت لي في سواك إرادة يوماً حكمت على نفسي بردتي

وقد شدني هذا الحال للتأمل في أذكار والدي ـ رحمه الله ـ والذي كانت طريقته كطريقة أبيه (جدي)، فوالله ما ركبت معه السيارة إلا وتحركت يده كذلك (أتوماتيكياً) على مقود السيارة، ولهج لسانه بالذكر، دون أن ينظر إلى أحد، أو يشعر به أحد!

وترى أثر هذا الذكر عليهم في الخشية والإنابة، وهدوء النفس، وقوة

الصلة بالله، والربانية الظاهرة، والوضاءة، والتوفيق، وحب الناس، وحفظ الله ورعايته لهم.

فيالله كم بنوا من مساكن في الجنة وأقاموا حولها البساتين؟

والحقيقة أن هذه الحال قربتني جداً جداً من تأمل موضـوع الأذكار بشكل دقيق، وتتبع ما جاء في القرآن والسنة وأقوال السلف، وجمعت مادة كبيرة حول هذا الموضوع، ونظرت في تأملات عالية القيمة، وغاية في النفاسة والدقة.

وكنت أزكي اهتمامي هذا بدرسـي الشهير في كتاب (الوابل الصيب) لابن القيم الجوزية الذي دام ثلاث سنين.

وهو الموضوع الأحب إلى قلبي وأكثر ما ألقيه في الدروس العامة في بلاد الله الواسعة.

رضي الله عنك يا جدي فلك بإذن الله الأجر الوفير عن كل درس ألقيته.

وقد يظن الظان أن جدي المشـغول بالأذكار الشـرعية رجل درويش أو هو من أهل الله الطيبين فحسب.

بـل كان ـ رضـي الله عنـه ورحمه ـ آية فـي العلم والعمل، فـي أمور الدين والدنيا!

أما في العمل فقد كان تاجراً مرموقاً، ووهب لأبنائه أراضـي واسـعة ذات قيمة عالية في قبيلته، وغدت اليوم معلماً حضارياً في المنطقة. وفي العلم كان مهتماً بالجلوس مع العلماء والاستفادة منهم، ومن فتاواهم، كما كان على علاقة واسعة ممتدة مع كثير من أهل العلم والوجاهة.

وكان وقـوراً يحـب النظام جـداً، ودقيقاً في المواعيد أكثـر من الأوروبيين واليابانيين!

نعم بلا مبالغة أو مجاملة.

دقيق في علاقته مع الله في الصلوات، فهو يحضرها قبل موعدها، ويستعدُّ لها بالحب لله، والتجمل بين يديه.

ودقيق في مواعيده، يسعى في الترتيب مع من سيوصله ويستقبله قبل الموعد، ليتأكد أن الأمور تسير بدقة.

وكم مرة كنت أسمعه يقول: غداً التاسعة صباحاً نمشي، أو الخامسة عصراً نخرج، أو الواحدة ظهراً نسافر، وتجده متهيئاً مع كل ما يحتاجه في الموعد المحدد تماماً!

وفوق ذلك كله هو رجل أنيق بسيط.

يلبس لباساً متواضعاً، لكنه الأبيض النظيف الجميل، وتعلو محياه أنوار الطاعة التي تضيف لمسة من جمال ساحر آخاذ، وأضف إلى كل ذلك جمال كلامه وابتسامته، وحفظه لأشعار الحكماء والظرفاء ما يوظفها ببراعة في المجلس الذي يرتاده.

وكان يلقي المواعظ القصيرة التي لا تتجاوز سبع دقائق كلما زار مسجداً جديداً، ويلخص كلماته العامية البسيطة في عبادة الله والخوف منه، وأداء الفرائض واجتناب النواهي، والحرص على طلب العلم، ويوصي بذلك الشباب، ويذكرهم بالمقاساة التي وجدوها في شغوف الجبال من حرمان للكهرباء والقلم والكتاب ووسائل التنقل.

ولربما سمعت مواعظه عشرات المرات التي لا بد أن يختمها بقوله:

(الله.. الله.. لا يرانا الله حيث نهانا، ولا يفقدنا حيث أمرنا).

لقد أسر جدي بأخلاقه ودعابته ورعايته كل أولاده بالحب والعاطفة الصادقة، وجعلهم محبين للتدين بالفطرة، وشوَّقهم إلى الصلاة وحب النبي ﷺ وحب العلماء.

لم أسمعه يوماً يعنِّف أحداً، أو ينتقصه، أو يتندر بخطئه، إنما يقول مثلاً: أنا ما أحب اللي ياكل متكي ـ أي يأكل متكئاً ـ، مستدلاً بحديث النهي.

نعم لم يكن على صلة وثيقة بتفريعات العلماء والفقهاء والمحدثين، ولكنه كان يملك الأسس العامة، والقواعد الكبرى في الدعوة وسبل الإنكار، حتى اختاره مفتي عام المملكة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ طيب الله ثراه ـ موفداً للدعوة في الجنوب.

ودامت بينهما أجمل أيام العمر، ووجد فيه الشيخ الألباني القدوة في السلوك والعمل واتباع السنة.

وأنا إلى اليوم لم أرَ رجلاً يتحرى السنة النبوية في أدق تفاصيلها كما وردت في زاد المعاد والوابل الصيب وكتب الأذكار المختلفة مثل جدي، كأن يلبس ثوبه وحذاءه ابتداءً باليمين، وينزعهما بالشمال، ويتوقف قبل دخول الخلاء، وقبل دخول المسجد، وكذا طريقة الأكل، والجلوس!

هذا في الأمور الظاهرة، وقل مثل ذلك في التعامل بالأدب النبوي، فجمع بين قول اللسان، وعمل الجوارح والأركان.

رحمك الله يا جدي ورضي عنك، فقد كنت والله المثل الحي لما قاله الإمام أحمد عن شيخه الشافعي ـ رحمهما الله جميعاً ـ:

لقد كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن.

❊ ❊ ❊

١٢

خلطة التعليم

إلى فترة قريبة كان يأتني حلم تكرر عليَّ عشرات المرات، وبنفس الصيغة، خلاصته أنني لم أتخرج من الجامعة، وأنهم اكتشفوا بالخطأ أن مادة بقيت عليَّ من النظام لم أدرسها، وإن كنت في الحقيقة قد درست كل المواد المطلوبة، وشهادتي بيدي!

لعل هذا الحلم يعبّر عن حالة التنقل والمعاناة التي أصابتني أثناء مراحل الدراسة.

وقصتي مع الدراسة لا أرى وصفاً يناسبها إلا (الخلطة).

فقد درست الروضة (بجدة)، والابتدائي بمدرسة (ابن زهر) بدمشق، وأول المتوسط بمدرسة (عز الدين التنوخي) بدمشق كذلك، وكنا ملزمين بدراسة المواد العسكرية والفنون وحتى الفرنسية وهي اللغة التي اخترتها! ثم واصلت المتوسطة في مدرسة (حسان بن ثابت) بجدة، وبعدها دخلت (ثانوية القدس) بجدة في تخصص (الكيمياء والأحياء)، وكانت دراستي على قسمين في الثانوية، قسم على نظام الثانوية الشاملة وهي نفس طريقة الجامعة في الحضور والانصراف الاختياري وتسجيل المواد حسب الطلب، والقسم الآخر انتظام كامل على الطريقة المعروفة اليوم.

وأمـا الجامعـة، فكانت مرحلـة البكالوريوس في جامعة الملـك عبدالعزيز بجدة، بكلية العلوم في قسـم الأحياء، وبعدها مباشرة درست تخصصاً جديداً آخر وهو دبلوم علم النفس من نفس الجامعة، ثم يلي ذلك تخصص جديد وهو دبلوم الشريعة العالي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ـ حرسها اللّه ـ، وبعد أن أُغلقت أبواب تقديم أوراق التسـجيل للماجسـتير، انتقلت لدراسة ماجستير الشـريعة في تخصـص جديد كذلـك وهو أصـول الفقه في الجامعـة الوطنية باليمن، ليستقر بي المقام في تخصص جديد كذلك وهو (الفقه المقارن) من جامعة الجنان بطرابلس في لبنان.

ألا تظنون أن وصفة (الخلطة) هي عين ما حصل لي؟!

(خلطـة) فـي التخصصـات، و(خلطـة) فـي الجامعـات، و(خلطـة) في التنقلات، و(خلطة) في الشخصيات، و(خلطة) في اللغات، بل وحتى (خلطة) في الاهتمامات، والنظرات، والمنهجيات.

ودعونـي أقف عند كل مرحلة أو (محطـة) لأنها في الحقيقة تعتبر تجربة فذّة، خاصـة مع التنقلات والمقارنات وما وصـلت إليه مـن قناعات، وما كنت مشغولاً به من اهتمامات.

وأعتقـد أن التركيز على نقطتـي (المقارنات، والاهتمامات) الناشـئة عن القناعات هو أهم ما ينبغي أن أعرض له أثناء وصف كل مرحلة، إذ إنه قد لا يتيسر لكثير من الناشئة ثم الشباب هذا التنقل لظروف عدة.

ولنبدأ حكاية المرحلة الابتدائية..

فقد بدأت الدراسة وعمري (٦ سنوات) إلا قليلاً، وكانت في مدرسة (ابن زُهْـر) ولـم أكـن حينها ولا بعدها بكثيـر أعرف من (ابن زُهر) هـذا! إلى أن قـرأت كتـب التاريخ الأندلسـي، وعرفـت أنه كان طبيبـاً أندلسـياً بارعاً، خدم

المرابطين، وابتكر عشرات طرق العلاج التي استفاد منها الناس.

ولم أكن أتخيل في حياتي أنني سأكون رجل إعلام، وأعود للمدرسة التي درست فيها المرحلة الابتدائية لأصورها في برنامجي (مذكرات سائح٢) في حلقة (سوريا) بعد (٢٥ سنة)، وهي موجودة في (اليوتيوب).

كنا في طابور الصباح نسمع عبارة (وحدة عربية اشتراكية).

وعبارة (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة).

وغير تلك الشعارات التي عدت إليها بعد ثلاثين سنة بالتمام والكمال فوجدت أنها تتكرر في طابور الصباح مع زيادات اقتضاها حال العصر!

ومن الطريف أنني وأنا سارح في خيالي أثناء تصوير حلقة (سوريا) وجدت الصغار يحملون (أكياس النفايات) ويقومون بتنظيف باحات المدرسة!

وهذه عادة مذ تركت الدراسة في سوريا قبل ثلاثين سنة، وهذه العادة الجميلة لازالت قائمة، إذ في كل يوم يأتي الدور على فصل من الفصول، ويحضرون للمدرسة وجوباً قبل حضور الطلاب لتنظيف المدرسة قبل وأثناء الفسحة!. كانت الدراسة مختلطة، ولم تكن اهتمامات الصغار تدور حول الوساوس، إلا بعض طلاب مرحلة الصف الخامس والسادس، وكنت في الحقيقة منذ الصغر مقاطعاً الجلسة مع صغار الفتيات، وكنت بالفطرة ـ والله يعلم ـ أقول لأصدقائي في الفسحة، (لازم الأولاد لحالهم والبنات لحالهم)!

وأكثر ما كنت أخاف منه عندما تأتي لجنة التفتيش المكونة من عشرة أشخاص لمراقبة أستاذ المادة، وقد يسألون أستاذهم الدائم الذي ربما يعاقبني إن لم أتجاوب مع لجنة التفتيش في حال ـ لا سمح الله ـ يسألوني عن شرح المدرس بغتة.

كانت أمي ـ حفظها الله ـ تكثر الزيارة للمدرسة، وتسأل عن دراستي

وعلاقتي بإدارة المدرسة، وهذا من أهم دوافع حبي للدراسة.

ولكني في الوقت نفسه كانت تنتابني لحظات خوف وقلق من الدراسة لأنني لم أكن أحصل على التشجيع الكافي رغم وجوده بين فترة وأخرى، والاختيار المناسب لنوعية أدوات الدراسة.

فقد كان والدي ـ رحمه اللّه ـ يتركني أشتري أدوات الدراسة لوحدي من المكتبة، ظناً منه أن اختياري سيساعد على الإبداع.

وهذا صحيح من الناحية التربوية في حالة وجود الأب مع الابن في أول المراحل فقط.

والصغير مهما كان صغيراً بحاجة إلى من يقف معه، ويسأله عن دراسته، بل ولربما يفصِّل نوعاً ما الحديث عن حياته الدراسية، ويديم تشجيعه.

وعندي حالات عملية على نجاح هذه القاعدة أثناء تدريسي لطلاب المرحلة الابتدائية، سيأتي الحديث عنها.

وأخطر شيء في المرحلة الإبتدائية أن يكتم الصغير مواقف مزعجة، أو يحرم من مطالب متنوعة.

وأنا إلى اليوم أتذكر أنني كتمت أشياء وأشياء وأشياء، قد تبدو بسيطة، ولكنها في عمري ونوعية اهتماماتي كبيرة.

❊ ❊ ❊

١٣

مرحلة المشاعر والبناء الصعب

من الحكم البليغة (النجاح سلَّم لا تستطيع تسلقه ويداك في جيبك).

من هذه الحكمة نستطيع أن نستبطن دواخلنا، فنحن نحب النجاح، والوصول إلى الغايات الكبرى التي نتمناها، ولكنَّا في الحقيقة قد نخطئ في اتخاذ القرارات الصحيحة، أو المجالات الأفضل، أو الوسائل الأنسب، (فالناس لا يخططون من أجل الفشل، ولكنهم يفشلون فقط في التخطيط).

في المرحلة الإبتدائية لم يكن لي خيار في نوعية المدرسة والمدرسين، لأني درستها في دمشق، وهي من أجمل بلادنا العربية، ولكن طبيعة التدريس، والتي كانت من قبل المعلمات، وشقاوة بعض الأولاد كانت تعكر صفو المرحلة.

وفي نهاية المرحلة الإبتدائية، أي في الخامس والسادس، كانت المعلمة امرأة كبيرة في السن، محافظة على الأخلاق، ومتدينة، وابنها صديقي في الصف، وهذا يعني الراحة النفسية.

وأهم ما في هذه المرحلة أن يشعر الطفل بالأمان والحنان.

الأمان حين الخطأ، والأمان مع بداية الضغوطات.

نعم، قد يضرب الطفل في المدرسة، وقد تسرق حاجياته، وقد يهان

بألفاظ جارحة، وقد يتعرض لإيذاء صديق أو جار أو قريب، وتبقى آلامها النفسية، مالم يأت توفيق الله.

والطفل بحاجة إلى حنان غير مزيف، يحببه في الدراسة، ويحببه في الحياة، ويحببه في القيم، ويحببه في الناس.

لا أدري كلما أسمع أناشيد (سنا) أو (الوردة الصفراء والحمراء) وما كتبه شعراء الأطفال (د. يوسف العظم) ـ رحمه الله ـ، و(محمود مفلح) و(سليم عبدالقادر)، وسواهم، أجد الحياة تتدفق في كل شراييني، وأحس بطعمها، وودت أن تعود لحظاتها لا أيامها، فالأيام لن تعود.

ولأن (الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر)، فقد حفظت ما درَّسه لي أبي من العقيدة، وكذا جدي، وحفظت الشوارع وأسماءها، وما حصل في كل زاوية ومرتع فيها، ومما حفظته ولا زلت أتذكره جيداً، نوعية اللباس، والغطاء الذي أتدثر به، واللعب التي ألعب بها.

أتذكر تماماً من كان يبيعنا الحلوى، وأدوات الدراسة، أتذكر الأصدقاء وحتى نطقهم.

ولم لا أتذكر الحياة الحلوة، وقد رباني والداي عليها؟

وقبل ليلة من حديثي هذا قابلت في إحدى المطاعم صديقاً لي غاب عني عشرين عاماً، فلما نظرت في وجهه، عرفته، وذكرته باسمه، وقصصت له بعض الحكايات التي نسيها، وما منَّ به عليَّ يوماً من إفطار على حسابه!

الحياة الحلوة لا تنسى بسرعة.

وأصعب موقف في حياتي الابتدائية عند إعلان نتائج الاختبارات، ومعرفة الراسب من الناجح.

نأتي في الصباح ونقف في الشارع كلنا، ويقف المعلم ينادي بالأسماء صفاً

صفاً، وبطريقة تشد الأعصاب، ومن غير ترتيب هجائي.

فإذا جاء دور الصف الدراسي الذي أنا فيه، ومعي قرابة خمسين طالباً تجدني في لحظة صعبة، حتى أنني أتذكر أن اسمي (علي) جاء مرة قبل الأخير.

لقد مررنا بحالات نفسية صعبة، بل صعبة جداً، فكيف لا تكون مرحلة الطفولة هي مرحلة بناء المشاعر؟!

وأتذكر قبل بضعة أسابيع قابلت صديقاً حبيباً يصف لي المدرسة الجديدة التي يشرف عليها، وهي في مدينة جدة، وتدرس المرحلة الابتدائية فقط، يدرس فيها الطلاب اللغة العربية والإنجليزية، وبعض المواد الدينية، والحديث كله بين المعلمات والصغار بالإنجليزي، ويدرسونهم فيها كيف يبيعون ويشترون، ويعطونهم أموالاً غير حقيقة ليتاجروا، فيقولون لهم: اذهبوا إلى التاجر الفلاني، وانظروا أسعار البورصة، واسألوا عن الشحنة التجارية، وأنهوا إجراءات الجمارك...!

وأحيناً يدخلونهم غرفة طبيب الأسنان، وفيها أدوات غير حديدية، ويجرب الصغار دور طبيب الأسنان (بالدور).

كما يعلمونهم صناعة الأفلام القصيرة، لأن بحث التخرج في السنة الثالثة الابتدائي عبارة عن فيلم قصير مدته ثلاث دقائق، تقيمّه مشرفة تأتي خصيصاً من كندا.

وذكر طرفة مفادها أنه بعد الأسبوع الثاني من الدراسة سأل أحد الآباء إدارة المدرسة: لقد اشترينا (الشنط) للأولاد، فأين الكتب؟ فقالوا: الدراسة هنا من غير كتب!

صمتُّ في نفسي وأنا أسمع وأشاهد الصور عن هذا الواقع الجديد للصغار، وقلت: ما أعظمه وأجمله، لقد فات علينا، ولكن لم تفت علينا حياة المشاعر والاستمتاع بالكتاب!

❋ ❋ ❋

عندما كنت مراهقاً

المراهقة في الحقيقة ليست متعلقة بسن محدد، بل هي متعلقة بالرَّهَق! فمن الناس من تبدأ مراهقته منذ المرحلة الابتدائية، ومنهم من تبدأ بعد ذلك.

فأنا تعبت نفسياً في المرحلة الابتدائية أكثر من المتوسطة والثانوية وما تلاها.

ففي الابتدائية كان جوّ دمشق الشام شديد البرودة، وكان جدول اللقاء بالأصدقاء صعباً، وكان أقربائي بعيدون عني، وكانت القيم التي أتعلمها من والدي كالصلاة وألوان الطاعة واحترام أهل الفضل والعلم، محفوفة داخل البيت، ومع بعض أصدقاء الوالد، بينما كانت المتعة غير بريئة في خارجه.

والسبب باختصار عدم تحبيب كثير من العوائل لأولادها معنى الصلاة، وعدم وجود برامج هادفة، خاصة إذ عرفتم أنني كنت هناك فترة (١٩٧٩ ـ ١٩٨٥م).

أي فترة (ضرب الحركة الإسلامية في سوريا)، والتشديد على البرامج الهادفة.

وأتذكر ونحن في عمارة كبيرة أدوارها عشــرة، وشققها ستون شقة ـ ولكم أن تتخيلوا هذا العدد الكبير من الشقق في عمارة واحدة، وما يمكن أن يحصل فيها من شقاوة الأولاد ـ أنني لم أعرف من أصدقائي من كان يُصلي أو يذهب معي للصلاة في المسجد سوى صديق واحد في الدور العاشر، وبعد ذلك أحد الأسـاتذة الفضـلاء الذين هداهم الله بالفطرة كان يصلي بنا إماماً في شقته ومعي أربعة من أصـدقائي كنت أحضـرهم له في الصـلاة، حيث كانت أغلب صلواتهم ابتسامات، لأنهم أتوا مجاملة لي!

وفرح والدي كثيراً بوجود مجموعة يسيرة في العمارة تحافظ على الصلاة، وكان هذا الأستاذ يذهب كل عصر عبر الباص إلى محل الحلويات، ويشتري لنا (حلاوة نارجين)، ويلتقي بنا في صـلاة المغرب في شـقة أهله، فيصـلي بنا، وأحيانـاً يقـدم واحداً منا لتشـجيعه، وبعد ذلـك يقدم الحلوى مع العصـير أو الشـاي، ويلقي خواطره الإيمانية، وأحاديثه الرقيقة، وكانت هذه الجلسـات من أعظم جلسات حياتي، وكنت وقتها في الصف الخامس إبتدائي.

وأتذكـر كذلك أن أسـتاذاً من عائلة (الطحـان) كان يجمعنا في داره بعد الانتهاء من الدراسـة مباشرة يوم الخميس، وهو آخر أيام الدراسة في سوريا، وفـي فتـرة الظهيـرة أي قرابـة الثانية ظهـراً نجتمع فـي بيته وعددنـا قرابة الخمسـين، فيلقي علينا درسـاً تربوياً رائعاً، لازلت واللّه أتذكر أحداثه، وطبيعة اللقاء، وفرحتي غير العادية به، وإلى يومي هذا أقول في نفسـي: سـبحان من هيَّأ هذه اللقاءات في مثل تلك الظروف.

ورغم هذه اللقاءات القليلة والهادفة والمؤثرة، إلا أن الشارع العام بعمومه لم يكن مرضـياً، ولم تكن البرامج التلفزيونية تسـر، وفـي هذه المرحلة كانت تساؤلاتي الداخلية أعمق وأكبر بكثير من المرحلة المتوسطة.

وكانت المواقف التي أشاهدها وأعاصرها في المدرسة وفي الطريق تشدّني أكثر لأعرف كيف يفكر الصبيان!

حتى إنني في مرة من المرات كنت أتابع مسلسل الأطفال الكرتوني (توم آند سُوَيَر)، وهو بالمناسبة موجود على اليوتيوب، ولا يعرفه أكثر شباب اليوم.

المهم أن هذا المسلسل التلفزيوني الكرتوني كان فيه جذب غير طبيعي، ومغامرة لا نظير لها!

وفي إحدى حلقاته أنهم كانوا يتمرسون على صناعة القوس والسهم، والهجوم بها ضد كل من يعاديهم.

وأتذكر في تلك اللحظات أن بعض الجيران كانوا يرفعون أصواتهم علينا عندما نلعب الكرة، ولربما أوقفوا سياراتهم عناداً في ناحية ملعب العمارة، فقلت لأصدقائي: فلنفعل ما قام به (توم آند سُوَيَر)، أي نضع الأقواس والسهم الخشبي ونرمي بها عليهم، وهذا ما حصل حقاً!

أعتقد أنني في تلك المرحلة (الابتدائي) كنت أمام تيارات متعددة.

تيار البيت المحافظ الذي أنتمي إليه، وأحبه، وأطبق كل ما يدعو إليه، وتيار التلفاز ببرامجه الطفولية الكرتونية الثائرة، والتي تدعو للخيال والخروج عن المألوف، والتمرد على الواقع للاستكشاف على أقل تقدير.

إضافة إلى حماقات بعض الأصدقاء، وتصرفاتهم المشوهة.

وعندما دخلت المرحلة المتوسطة التي يفترض أن تكون الأصعب، والتي يسمح فيها الإنسان لنفسه أن يجرب، لأنه خرج من عالم الطفولة كما كان يقول لنا الكثير وأهمها مدير المدرسة الابتدائية في حفل التخرج، أقول: لقد خرجت من الإبتدائية إلى المتوسطة وأنا بفضل الله، أحسن حالاً نفسياً، وأكثر تمسكاً بما أؤمن به وأتطلع إليه، وكانت كل المواقف والأحداث التي

أسمعها أو أرى بعضها ـ يعلم الله ـ لا تحرك فيَّ ساكناً.

ولكنـي وبعـد مرور عقود من الزمـان، أتذكر المرحلـة الابتدائية أكثر من المتوسـطة، وأتذكر مقالبها وأخطاءها، وبعض جمالها، وكيف كنا ننظر للحياة حينها.

❊ ❊ ❊

أول فتاة أحبها!

صحيح أنني في المرحلة الابتدائية، وأنني قطعاً غير بالغ، ولكنني رغم ذلك أحببت إحدى الفتيات!

ليس السبب هو أن المدرسة الابتدائية التي تعلمت فيها كانت مختلطة، فليس في هذا المكان ولد مشروع الحب هذا.

وليس السبب في العمارة التي كانت خليطاً من الأشكال والألوان ومدخلها الرئيسي واحد.

والحب يدخل القلب لا تعرف له مدخلاً، ولا تدرك له سراً!

دخل حب هذه الفتاة لأول مرة في حياتي، وإن كان يجوز الاستغفار وقتها، وأدركت قيمته لفعلت.

بدأت حكاية هذه الفتاة عندما زارتني أول مرة في بيت الأهل، وربما كنت وقتها لوحدي، أو بصحبة أحد إخواني، لا أدري.

نشأت علاقة لطيفة، وأخذت من أول انطباع أميل إليها.

نعم هي فتاة، وصغيرة، ولم أكن أدري وقتها في أي سنة تدرس، ولا في أي حي تسكن.

وجرَّ اللقاءُ اللقاءَ في مواعيد ثابتة، ولكن برضى الوالدين!

أخذت من شخصيتها دون أن يدرك الأهل ذلك.

فهي رشيقة، أنيقة، مألوفة، بريئة، تحب الخير، مبتسمة، اجتماعية، تعشق الطبيعة، تهوى المرح. آهٍ، كنت أتمنى أن أحتفظ بذكر اسـمها لنفسـي، ولكني آثرت أن تشاركوني معرفتها، والترحم على أيامها.

إنها صديقتي التي تعرفت عليها لأول مرة، وتسمى (هايدي)!

نعم (هايدي)..!

أول مسلسـل كرتوني أشـاهده، أشـاهد البراءة، والطفولة، أشاهد العالم مـن وراء الجـدران، أشـاهد الجَمال، بل أشـاهد السـماء والغيـوم من عيون (هايدي).

كان يُقال عن (هايدي) في (تتر البداية): عاشت حياتها في الحب والخير.

وهما أصدق كلمتين تعبر عن الطفولة، فهل سمعتم أبلغ وصفاً منهما؟

الطفـل يمنح الحب للآخريـن، ويمنحهم الخير، وأحلى وأجمل الخير الذي يحمله (الابتسامة) التي تعوِّض عن كل هم، وتفتح صفحة جميلة جديدة.

لم أعرف في حياتي ـ والله يعلم ـ سـوى (هايدي)، ثم فتاة صـغيرة كانت جارة لنا، قابلتها وأنا في الصف الأول ابتدائي، عند زيارة أهلي لبيتهم، فعرفت اسـمها، ومدرستها، وبعض صـفاتها كالهدوء حيناً، والشقاوة حيناً، ولم أجلس معها بعدها في حضـرة أهلي، اللهم إلا إذا أحضـرت عند باب شـقتنا طعاماً يُدعى (تسقية) وهي أكلة شامية جميلة، إذا استهوتني نفسي لأكلها، أطلب من صـديقي السـوري (محمد نور) أن تعدها أمه، فهي ماهرة في طبخها، مميَّزة في عملها!

ولربمـا أتت أحياناً بصـحن (مجدَّرة)، وهاتان الأكلتـان الوحيدتان اللتان

وجدت الحاجة، مع الصيانة، والوضوح، وفي المكان العام، ومراقبة الرقيب، كل ذلك له وقته، وحدُّه.

والأيام تزيدني احتراماً للأنثى، ولكن بتقدير خصوصيتها!

* * *

أحببتهما وعرفتهما، فلا أدري هل نبع حبهما لجمال الطعام، أم لأخلاق مقدِّمة الطعام؟!

وبالعمـوم، كان هذا الحال ما بين الأول والثاني ولربما الثالث الابتدائي لا أكثر، وأما الجلوس بحضرة الأهل فهي المرة الوحيدة في الأول ابتدائي.

وبعدها لا أعرف في حياتي فتاة أنثى غير أختي الوحيدة والحبيبة والحنونة والرحيمة التي هي مفخرتنا وتاج رأسنا، والخلوقة دوماً بيننا.

وحصـلت حادثة وحيـدة خرقت هذا الحـال، أنني وأنا في الصـف الثاني ابتدائي، (قرقرت) بطني، أي: جاعت! وكنت يومها أبيت في بيت عمتي وجدي في آن واحد، فحدثت ابنة عمي عن داء الجوع!

فأَخَـذَتْ (قِدْراً) من تحت سـرير حديدي، ووضـعت فيـه رزاً، أَخَذَته من (خيش) في المطبخ، فسألتها: هل تعرفين طبخ الرز؟!

قالت: سأفعل كما تفعل أمي.

وكنا في الغرفة أربعة أو خمسة!

فدخلت وطبخت (الرز) لمدة سـاعة دون أن يسـتوي، وإذا سـألتموني، ما السبب، قلت: الفيلم انقطع!!

أي: أنني نمت بعد طول انتظار!

هنـاك ـ أيهـا الأحبة ـ أناس مهووسـون بذكر الأنثـى، وأن لا جمال إلا في مؤانستها، ومشاركتها همها وفكرها وطموحها.

والأنثى كائن مستقل، ومخلوق فريد جميل، تشارك الرجل في الشأن العام، والحديث العام، وتشاركه خصوصياتها يوم تسعد به زوجاً.

وعندمـا يكون الفتى والفتاة عاقلين، سـيدركان تمامـاً أن العلاقة الطيبة، بالذكر الطيب، والكلام المهذَّب، والتعاون الصـحيح، واحترام الخصوصية، إن

وعشت السياسة منذ الصغر!

إنه عام ١٩٧٩م في سوريا..

يكفي ذكر هذا العام لمعرفة مسلسل لم ينته إلى هذه اللحظة!

يكفي أن تتذكر هذا العام لتدر الذاكرة بكل تفاصيل ذلك العام المشؤوم، وتجاعيده المشوَّهة.

إنه العام الذي دُمرت فيه (حَماة)، وقُتل فيه الآلاف، وعذب فيه الآلاف، وشرِّد فيه الآلاف.

مأساة (حماة)، في عام (١٩٧٩م) أو مأساة (الإخوان المسلمين) في سوريا.

نعم كنت صغيراً حينها، وفي المرحلة الابتدائية، لكنني شاهدت صوراً متعددة كانت تستبطنها الذاكرة وإن لم أكن أحمل خيوطها كاملة لأنسج بفطرتي ما كان يحصل، حتى وإن كانت السياسة لا تعرف أو لا تعترف بالفطرة!

شاهدت عند الإشارة المرورية شرطية سورية تطوف بين السيارات، سيارة سيارة، ولكنها لا تقترب من سيارتنا لأنها تحمل لوحة (دبلوماسيِّة) بحكم طبيعة عمل والدي قنصلاً سعودياً في دمشق آنذاك.

سألته عن سر تحرك هذه الشرطية بفضول، فأجابني بصراحة مذهلة: إنها تبحث عن النساء اللواتي يتحجبن!

وصمت أبي بعدها، وتركني في اللاشعور، ولم يدرِ ـ رحمه الله ـ أن هذه القصة بحادثتها الأليمة بقيت عقوداً من الزمان لم تُمح.

وشاهد آخر عند وقوف باصات كثيرة عند باب عمارتنا، فسألت والدي عنها، فقال: هذه تتعلق بأناس اسمهم (الإخوان المسلمين)!

ولا تعليق كذلك منه بعد هذه الكلمات العفوية الصريحة.

لم أفهم حينها الأمر، إنما فهمت تركيب الحوادث، وأن فيها صوراً بشعة!

بعد هذه الصور بفترة وجيزة وفي حدود عام (١٩٨١م) سمعت شريطاً مسجلاً بعنوان (نحن جدار الصامتين) للشيخ الكبير والخطيب البارز (أحمد القطان).

وصل هذه الشريط مع جملة من الأشرطة كنا نحصل عليها من السعودية عن طريق الأقارب كآخر الإصدارات في السوق، وكانت أشرطة الشيخ القطان هي الأكثر والأبرز، ولم تكن ثمَّة ما يسجل عنها رضاً أو سُخطاً.

وصل إلينا الشريط واستمعت إليه، وإذا بالشيخ يتحدث عن رسالة وصلته من سجون حماة، كتبتها امرأة مسلمة تصف المعاناة والويل الذي قاسته هناك.

وقفت حينها كل شعرة في جسدي، وأصابتني القشعريرة، وأخذت أسأل من لحظتها عن حقيقة المأساة وتفاصيلها وأنا صغير، فطلب مني غير مرَّة السكوت، أحياناً بلطف، وأحياناً بـ...!

ولكن وللأسف لم تكن لتمر هذه الواقعة بسلام، أو يتنازل جزء من دماغي عن تخزين وقائعها.

نعم لم تكن الصورة مشوشة، بل كانت مستفزة!

ومنذ ذلك الحين وإلى يوم الناس هذا، وأنا أقرأ عن هذه الحادثة كل شيء امتدت له يدي، وأتسمَّر عند كل برنامج لقطت أذناي نبأه.

أعلم تماماً أنه من الظلم الإفصاح في سطور عن خلاصة ما تتبعته بدقة، وما قرأته بعمق وتفصيل دقيق، بل أزعم أني جالست الكثير والكثير لمعرفة الآراء المتناقضة أحياناً، والصور المختلفة بين الوقائع، ولربما المختلطة.

نعم لن أعيد الماضي، ولن أكون قاضياً لأحاكم أحد، ولكن لأفهم المشهد السياسي بوضوح وعمق، وإن كان الدخول في الأعماق يقترب من الظلام أو الظلمات!

هنا وبلغة عصر السرعة يمكنني أن أقول:

إن مأساة (حماة)، هي حادثة أليمة دُمِّرت فيها هذه المدينة الجميلة بشكل شبه تام، وقتل فيها عشرات الآلاف من الكبار والصغار، والرجال والنساء، وشرِّد فيها علماء وفضلاء عرفنا نخباً كثيرة منهم في بلادنا وفي أرجاء العالم الفسيح.

ولعل في صور الكتب والروايات والأفلام وبعض مقاطع (اليوتيوب) ما يدل شيئاً ما عما نتحدث.

بدأت المأساة بصدمات محدودة ومتقطِّعة بين الحكومة وبعض الدعاة الذين خرجوا عن فكر (الإخوان المسلمين) في سوريا أو فهموا الفكر بمنظورهم الخاص، ومالوا إلى العنف والتطرف والتجمّع لإزاحة الحكومة البعثية القومية، ومنطق القوة إذا سيطر على العقل، فالفكر يتلاشى غالباً!

فكانت التجمعات والتحزبات والعلاقات مع دول مختلفة.

ثم كان الصدام المسلح في علميات متفرقة، أحياناً بين أفراد، وأخرى بين مجموعات.

ومع محاولات المصلحين من العلماء والدعاة للم الشمل، وحصر المشكلة، واستيعاب ما يمكن استيعابه، إلا أن الفتنة العمياء سيطرت، لأن لغة السلاح لا تسمح بالتفاهم!

فقررت الحكومة السورية شلّ أكبر تجمع دعوي لأصحاب فكرة المقاومة المسلحة.

إن تداعيات الحادثة وملابساتها المتقطعة والمتشابكة رغم وضوح تفاصيلها قبل الحادث المشؤوم، إلا أنها في المآل تعود لفكرة التطرف والعنف الذي يقضي على كل تفكير أو رغبة في التغيير.

ولا أدل على ذلك من بلد المليون شهيد (الجزائر) الذي لم يستفد دعاة العنف فيه من تجربة (حماة) وللأسف.

والدعوة إلى العنف دعوة متراكبة مختلطة في صورة غير منسجمة فكرياً ونفسياً.

ولعلَّ في كتابي (الشباب .. بين الجهاد والإرهاب) مزيد توضيح، وكشف عملي، واستقراء ميداني، وتحليل منطقي لترابط الضعف العلمي، واليبوسة البيئية، والإضطراب النفسي، والتعرض للإيذاء، للمقاومة بعنف مضاد، لا ينبع من دين، ولا يستوعبه عقل.

لم أكن أود أن أروي فصولاً مأساوية في ذكرياتي هذه بشكلها البشع، ولكنها الحقيقة التي لابد أن تستقر في العقول قبل الوجدان.

ولأثبت قيمة هذا المعنى، كنت أسأل بعض السجناء الموقوفين بسبب

العنف في السجون السعودية من الشباب الذين لا يتجاوز عمرهم الخمسة وعشرين عاماً: هل سمعتم بمأساة حماة ومشكلة الجزائر؟!

فقال لي الجميع: لم نسمع بهما!

فهلاَّ عذرتموني إذاً على طرح هذه الصفحة السوداء من الذاكرة؟!

❊ ❊ ❊

الحس الغنائي والعسكري في المتوسطة

ربما يكون بيني وبين المفكر العراقي الكبير (علي الوردي) تشابه إلى حد بعيد.

فهو عندما حفظ القرآن فرح والده بهذا الخبر فرحاً كبيراً، وأقيمت له (زفَّة) من الكُتَّاب إلى البيت، وأنا عندما أخبرت والدي بإتمامي حفظ كتاب اللّه، دعا بعض الأقارب في حفلة خاصة!

وعندما وصل (الوردي) إلى المتوسطة اضطر إلى لباس البنطال والقميص والطاقية، ولم يكن هذا الزي مريحاً له لأنه كان يميل إلى اللباس العفوي وما اعتاد عليه من الجلابية والقبعة الخضراء، وأنا كذلك ما كنت أميل إلى هذه الملابس ذات اللون الزيتي الغامق الذي لا تفاؤل فيه ولا معه!

درست المتوسطة في دمشق وتحديداً في منطقة (المزَّة) وكان اسمها (عز الدين التنوخي).

وأذكر أن لهذا الرجل (عز الدين التنوخي) فضل عليَّ كبير لن أنساه طول حياتي.

وذلك أني في المرحلة الثانوية كنت مدمناً على قراءة كتب الشيخ علي

الطنطـاوي ـ رحمـه الله ـ، وكنـت أتابع مع أهلي برنامجه الأشـهر (على مائدة الإفطار)، وأعجب بأسـلوبه الجميـل، وعفويته، ولغته الشـامية التي أميل إليها لأني درست فيها.

لكنـي لـم أكن أتوقع أنه أديـب من الطراز الأول، وكاتب مبدع سـاحر في البلاغة و(رهيب) في التأثير.

وذلك لأن برنامجه التلفزيوني لم يكن يفصح كثيراً عن مواهبه.

وذات يوم وأنا أتجول في مكتبة البيت العامة، وجدت كتاباً صـغيراً عنوانه (القضـاء في الإسـلام) للشيخ علي الطنطاوي، وأذكر أني نظرت فيه أكثر من مرَّة، ولكني لم آمِل لتصفحه لأن العنوان غير مغرٍ لشاب في المتوسطة!

أخذت الكتاب وقرأت أوله، وإذ بالشيخ يذكر في هامش الصفحة الأولى أن أصل المكتوب محاضرة له كانت في إحدى مواسم الحج.

فتعجبت وقلت في نفسي: ما علاقة هذا الموضوع بالحج، وما الجديد فيه؟

ومع أول سطور الكتاب أسرني الشيخ ببراعة أسلوبه، وقوة بيانه، وجاذبيته التي تطربك وتسرق مشاعرك في آن واحد.

لقد حفظت المقدمة تماماً بحروفها، لأني لأول مرة أطرب لهذا الأسـلوب الرائع، والذي كان فاتحة الشهية لقراءة كل كتبه بعدئذ.

أعود لاسم مدرستنا في المتوسطة (عز الدين التنوخي) وصاحبها.

بنهايـة المرحلـة الثانوية كنت قد أتممت بتعمق ما كتب الشـيخ الطنطاوي وخاصة ذكرياته التي أثَّرت فيَّ كثيراً.

وعزمت على زيارة داره إلى أن حان القدر وأنا في أول المرحلة الجامعية، وقد عرفت أنه يسكن في عمارة (التأمينات الاجتماعية)، في جدة، في نهاية (شارع باخشب).

وصلت إلى العمارة التي دلني عليها أحد الأصدقاء بعد صلاة الظهر.

وهل يا ترى بعد الظهر يزور أحدٌ أحداً بلا موعد؟

إنه حب الشيخ وكفى!

العمارة كبيرة، وبدأت أسأل حتى هديت لرقم المدخل والشقة.

طرقت الباب، فردَّت علي (شغّالة أندونيسية)، فقلت لها: هل الشيخ علي الطنطاوي موجود، قالت: نعم، فقلت: وهل يمكن أن أسلِّم عليه فقط.

قد كان هذا هو كل همِّي ورجائي، ودعوت اللّه بعد صلاة الظهر أن ييسر لقاءه، فقد حاولت كثيراً الوصول إليه، وفي مخيلتي عشرات القصص، المدججة بالمواقف ضد المستعمرين، وفي ساحات القضاء، وفي مراتع الصبا، بل وأمام التلفاز، إضافة إلى الصور المعبِّرة والمشوقة والآسرة في نهاية ذكرياته.

وما إن قالت لي الخادمة: تفضَّل، وإذ بالفرحة تدب في كل جوانحي.

دخلت أول غرفة على اليمين، وإذ بالشيخ الوقور الحبيب إلى قلبي علي الطنطاوي جالس على كرسيه، يرتدي (بشتاً) بنياً، وهو حاسر الرأس.

سلَّم عليَّ، وصمتُّ من هول الموقف!

ثم سألني الشيخ متعجباً من الزيارة هذا الوقت: هل لديك أمر طارئ يا ولدي؟

فقلت له: لا يا شيخ، إنما أردت زيارتك! فقال: ولكني لا أستقبل هذا الوقت، إنما بعد العشاء فقط، ولك أن ترتب مع زوج ابنتي السيد: محمد نادر.

شكرت الشيخ على هذا الأمر، ووعدته بأن أرتب معه الموعد بعد اتصالي بداره العامرة التي يملكها (دار المنارة) الموزعة لكتب الشيخ.

ولكني أخبرته على وجه السرعة، عن دافع الشوق الذي دعاني لزيارته دون

أن أشعر بالوقت الذي أتيت فيه، وهو حبي له، وقراءتي لكتبه، وخاصة صوره التي ذكرتني بالشام عندما كنت طالباً فيها.

هنا انتفض الشيخ، وقال: هل درست في الشام؟

قلت له: نعم، قال: وأين درست؟

قلت: الابتدائية في (ابن زُهر) والمتوسطة في (عز الدين التنوخي).

ففرح كثيراً، وقال: (عز الدين التنوخي)؟!

وأخذ يسرد لي من هو عز الدين التنوخي، وحياة هذا الرجل العظيم.

ولما فَرغ، قال للخادمة: أحضري لنا طعاماً وضيافة!

وأكرمني بالضيافة، فحدثني عن بعض كتبه، فأجبته بمعرفتها وحفظ دقائقها وتفاصيلها.

فدهش من إجاباتي، واستنباطاتي، وتأملاتي، بل وحكايتي مع كتبه قبل النوم منذ المتوسطة إلى الثانوية.

وبينما هو في سروره ودهشته، وقد أخذت قرابة الساعة، دخل علينا الأستاذ: محمد نادر حتاحت، فحدثه الشيخ عني، وعن دراستي، واهتمامي بكتبه، وما جرى بيني وبينه خلال تلك الساعة، وعبر عن اندهاشه بمتابعتي وتأملاتي في ما كتب، ثم قال للسيد محمد: للأخ علي أن يأتي في أي وقت!

ومن بعدها لازمت داره كل أسبوع من يوم الثلاثاء بعد صلاة العشاء مباشرة ـ رحمه الله ـ.

أعود إلى مدرسة (عز الدين التنوخي).

لم تكن المدرسة مختلطة كما في الابتدائي ولا الثانوي كذلك، وهذا من عجيب الدراسة في سوريا، فأول مراحل الدراسة (الابتدائي) مختلطة، والأخيرة

(الجامعية) مختلطة، وما بينهما كل حزب بما لديهم فرحون!

لم يكن من شيء مثير تلك المرحلة سوى ثلاث أمور:

الأول: أنه لم تكن هناك أي مادة للدين، سوى مادة عامة ليس لها مدرس مختص، إنما في كل مرحلة يدرسها أي شخص، وهي مادة عامة في الأخلاق والقيم الكلية.

الثاني: أننا كنا ندرس مادة التربية العسكرية، وفيها تدريب عملي عسكري، يزداد ضراوة حيناً، ويخف حيناً آخر، إضافة إلى دراسة نظرية للأسس والقواعد والمفاهيم العسكرية العامة.

الثالث: دراسة التربية الموسيقية، من خلال الدرج الموسيقي، والتدريب على المقامات والألحان الصوتية، وأداء كل طالب مقطعاً صوتياً غنائياً لإحدى المغنين أو المغنيات المشتهرين تلك الفترة (فيروز، عبدالحليم، ميَّادة الحناوي...)، ويقوم الطلبة في الفصل بتقويم صوته، ومدى تطابقه مع النغم والدرج الموسيقي.

وعندما كان يأتي الدور عليَّ للغناء، كنت أقول للأستاذ: أنا سعودي!

وقد أخبرت والدي برفضي لهذا الطلب، فأتى إلى المدرسة وأقنع الإدارة بأن حضوري إن كان ملزماً، إلا أنني سأمتنع عن الغناء والأداء لعدم قناعتي، وأكتفي باختباري في معرفة الدرج وطبقات الصوت واللحن والنغم!

❋ ❋ ❋

شقاوة العمر اللطيف!

كثيرون يتحدثون وينبهون أن مرحلة المتوسطة هي أخطر وأتعب مرحلة يمر بها الشاب وأهله.

وكثيرون يقولون: إنها مرحلة المغامرات، وتشكيل القناعات، والخروج عن المألوف، والتمرد على النفس، والبدء بالعصيان المدني!

ولكن في الحقيقة يمكن القول: إنَّ هذه المرحلة يمكن أن تمر بسلام، وأن تكون هي المحفز الأقوى للصمود والعطاء والتمرد الإيجابي، أو بالتعبير النبوي «إن اللّه يعجب من شاب ليس له صبوة».

وهذا التعبير ليس بالضرورة أن يفهم في سياق قلتهم، إنما في سياق قوتهم وتماسكهم، والإعجاب بسلوكهم وعطائهم.

المرحلة المتوسطة باختصار تحتاج أمرين اثنين:

١ ـ بيئة جيدة.

٢ ـ تربية مميزة.

وأنا على استعداد أن أتحدى بهذين الأمرين أعتى وأقوى من يحاول أن يؤثر على الشباب بكل عددهم وعتادهم.

لقد واجهت في المرحلة المتوسطة أخلاطاً من الشباب، لكن التربية المميزة، وبيئة المسجد، والجلوس فيه، والتشجيع على حفظ القرآن الكريم، كانت تواجه كل مشكلات الشباب بحزم، ولا تشارك في مغرياتهم أو فزعاتهم الوهميَّة.

كان خطاب (الأنا) عميقاً وعميقاً جداً.

وأحياناً كنت أخرج عن هذه الدائرة والبيئة أحياناً فأكتشف خطئي بسهولة، وأحس أنني قصَّرت في بعض العبادات.

مرة أخرى كانت أعماقي مليئة بجانب الخوف والخدر، مليئة بمفهوم الحساب والعاقبة، مليئة بمعنى «احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده تجاهك».

ولو لا هذه المعاني القوية لكنت شاباً عادياً!

لا أزعم عدم الخطأ، أو ممارسة فكرة أو تصرف غير محمود، لكنني أصدق نفسي أنني كنت مشبعاً بدرجة مميَّزة من طُهر البيت، والتذكير بالرقيب.

ولذلك فإنني عندما أرى اليوم حلقات تحفيظ القرآن الكريم التي يدرس فيها شباب المتوسطة أفرح يعلم الله فرحاً شديداً، وأدعمها بكل ما أملك، وأرى نور المستقبل كلما رأيت محافظتهم وسمتهم الصالح البريء.

ولا أكتمكم سراً أنني كلما رأيتهم استبشرت خيراً بمستقبل ابني (حمزة).

دخلت في الصف الثاني متوسط مدرسة (حسان بن ثابت) بحي الجامعة بجدة، وكانت مدرسة عادية جداً، لم تعجبني طريقة طابور الشراء من المقصف، كما لم تعجبني آلية طابور الصباح.

فمرحلة الأول متوسط في سوريا لم يكن طابور الشراء ولا الوقوف بمثل هذا التخلف من الازدحام الشديد حتى يضيع وقت الفسحة.

ولا التخلف في الأماكن التي لا يستطيع المرء الجلوس لاستنشاق الهواء

الجميل، أو الراحة في الحركة، والسـبب باختصـار: أن (الفسحة) كانت فترة لمباريات الفصول، وبالتالي الملعب أو (ساحة المدرسة) مشغولة تماماً!

ومن هنا فإن مثلي ممن لا يهوى (الكرة) لن يستمتع في الساحة لا بالحركة ولا بالقراءة ولا بأي نشاط، لأن الأصوات المزعجة في المباراة هي سيدة الموقف.

كان هذا العام (١٤٠٥هـ)، لم يكن هناك أستاذ عليه أو منه خصال التدين الشامل المحمود، فالأغلب يسب ويشتم ويضرب بمن فيهم أساتذة الدين، حاشا رجلاً خمسينياً كبير السن، معه (العصا) فقط!

نعم لم يكن يسب أو يشتم لكنه كان يضرب بالخيزران كل من هب ودب.

قبل نهاية مرحلة الثاني متوسـط، طلب مني هذا المدرس الكبير أن أكون مندوبـاً عن المدرسـة وممثـلاً لها في رحلة سـتقام لمدة يوميـن لكل مدارس المتوسطة في جدة، والعجيب أن مكان الرحلة مدرسة كذلك.

قلـت حينها للأسـتاذ: ولكن ألا يمكن أن آخذ معي طالباً آخر للمشـاركة؟ فقال: من ترشـح يا ولدي؟ فقلت: فلاناً، وكان شاباً مصرياً مهذَّب الأخلاق لا ينبس ببنت شفة.

فوافق المدرس، وحضرت أنا وصديقي ممثلين عن المدرسة.

كان عنـوان المدرسـة (الثانوية الشـاملة) ولم يكن هنـاك برنامج يُذكر، سـوى بعض الألعاب، والمسابقات الخفيفة، ثم كانت مسرحية ختامية، كان قد أعدَّهـا بعض الأسـاتذة الملتزمين عن مشـكلات الشـباب، والتـي كان ختامها أنشودة (مؤامرة تدور على الشباب) وهي من ضمن شريط (الدمام١)!

في هذه الرحلة تعرفت على شخص كان أصغر مني بسنتين، ولا أدري لعله حينهـا كان فـي السـادس ابتدائي، أو أول متوسـط، وكان صـامتاً جـداً، قليل الحركة، قليل المشاركة، اضطررت أن أتعرف عليه حينها، لأنه كان بجواري في

الفصل ـ عفواً ـ غرفة النوم، إنه أخي وصديقي الشاعر الأديب والشيخ الأريب، والخطيب، والكاتب والإعلامي، عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى الدكتور: (عادل باناعمة).

وفي مرحلة الثالث متوسط بدت علائم (التدين) لأستاذ التفسير، وكان من أهل مكة، ولأول مرة نؤدي صلاة الضحى في المدرسة في الفسحة، ولأول مرة نجتمع في مسرح المدرسة، فترة الفسحة، بعيداً عن الضجيج والصخب.

وكان أستاذاً عاقلاً وحكيماً، لأنه لم يفرض أي لقاءات أو دروس أو ما شابه ذلك فترة الفسحة، لأننا في مدرسة وكل وقتها تعليم.

ولكنه كان يجمعنا، ويجلس معنا للمؤانسة، وتبادل الرأي العام، وأحياناً كثيرة يسمح لنا بالاستمتاع في المسرح، لنجلس كل إثنين، أو ثلاثة، أو أكثر، و(نتحكى) أو نتبادل القصص، وكان يعطينا الخيار، لمن رغب أن يشارك في اللعب أو المذاكرة أو الحوار أو...

نعم كنت أحب اللعب (كرة القدم) ولكن داخل البيوت في الأعم الأغلب، وأحياناً ألعب بجوار منزل الأخ والصديق والمحاضر والمدرب، أستاذ التربية البدنية بجامعة أم القرى، الأستاذ (بدر فلاته)، والذي هو حالياً (مدير فرق فور شباب).

إن مرحلة (المراهقة) بالنسبة لي كانت لطيفة وسهلة وبريئة، وإن لم تخل أحياناً من آحاد المضاربات (الفزعات)، والتمرد على الذات، والخلل في الأولويات.

❊ ❊ ❊

المراهقة العلميَّة والثقافية!

لا أدري كيف تخرجت من المتوسطة، إذ ليس هناك شيء ممتع، أو مما يسر ذكره كمكتشفات علمية أو مواهب فنية أو حتى رياضية.

كل ما في الأمر أنها مرحلة وانتهت.

وحانت الدراسة في المرحلة الثانوية، وسجَّلت في ثانوية (القدس) بحي الأمير فواز الذي أسكن فيه، وكانت مدرسة جديدة، ورقم تسجيلي فيها (٧٠).

لم يكن فيها أي مظهر حضاري أو تعليمي!

فليس هناك شيء يفتح النفس، كالورود أو الزهور أو حتى الأغصان المتدللة، كما لم يكن هناك أي كرسي أو طاولة للدراسة.

وطُلب منا أن نشتري الكراسي والطاولات ونحمِّلها في السيارات وندخلها داخل الصفوف.

ثم طلب مدير المدرسة أن من يأتي (بشتلة) زراعية صغيرة، سيعطى (١٠) درجات، توهب له في الوقت الذي تراه المدرسة!

وليس في ما مضى عجب كبير، بل العجب فيما هو آت من ناحية طبيعة الدراسة.

فقد قيل لنا: أنتم طلاب ثانوية شـاملة، بمعنى أنكم مثل طلاب الجامعة، الأبـواب الدراسـية مفتوحـة، وأنتـم تختـارون المواد والأقسـام التي تشـاؤون، وتتحملون مواد الدراسة وآثار الغياب، وخلافه.

والحقيقة أننا كنا جميعاً شباباً (طازة) لا نعرف عن هذه النظم والقوانين أي شيء، ولم يخبرنا أحد بما هو الأولى بمصلحتنا.

كان هذا العام (١٤٠٧هـ).

جلسـت أنا وخمسة من أصـدقاء الحي، وتبادلنا أطراف الحديث، ووجدنا أن الثانوية إما أن تختار فيها القسـم الأدبي، وهو يشـمل: اللغة أو الدراسـات الإسـلامية أو الاجتماعيـة، وإمـا أن تختار قسـم العلوم، وهي تشـمل قسـمي: (كيمياء أحياء) أو (رياضيات فيزياء).

ثم طلبوا مني الاختيار، فملت مع أصحاب (كيمياء أحياء) لأن أحداً ممن اختارها هو الأقرب إلى منزلي ونفسي فحسب.

وبدأنا نخبط خبط عشواء، ننزل المواد في كل قسم بأنفسنا، ولكم أن تتخيلوا شباباً من خريجي المتوسط يديرون حياتهم العلمية من خلال جداول وخطط لم يعرفوا عنها أي شيء، سوى شذرات من بعض المعلمين المصريين آنذاك!

وصار حالنا، كما قال د. القصيبي:

أنا أمامك.. أفكارٌ ممزقة

وحيرة.. وحماس ضائع السبلِ

لم ترتشف من ينابيع الرضا شفتي

ولم تنور براكين السنى مُقلي

ما زلت أبحث عن درب لقافلتي

ما زلت أسأل عن معنى لمرتحلي!

ومن عجائب الدراسة أنه يحق لكل طالب أن يغيب (٥) محاضرات في أي مادة بلا عذر، وبعدها يحاسب ولربما يتعرض للرسوب، والغياب بلا عذر يخسِّر الطالب (نصف) درجة.

وكنا ندخل المدرسة وكأننا ندخل سوقاً تجارياً، أو ملعباً رياضياً!

فالأبواب العامة للمدرسة مفتوحة، أناس يدخلون وآخرون يخرجون، طلاب يلعبون وآخرون يأكلون ويشترون.

ولكـن رغم ذلـك كله لم تكن هناك مؤثرات ومغامرات كبيرة، لأن (٩٩٪) من طلاب الثانوية ليس معهم أي سيارات.

وأنا وكل رفاقي كنا نأتي إلى المدرسة بالدراجات، رغم أننا في حي مرموق (فلل حي الأمير فواز)!

ولما وصـلنا (الثاني ثانوي) اشـترى أحد الأصـدقاء سـيارة هوندا موديل ٨٠م.

وكنا نخرج جل الأوقات من المدرسـة، لتغيير الأجواء، في رحلات إمتاعية بريئة، وأحياناً مراجعة لبعض ما يقوله الأساتذة، وكنا نحسب كيف نغيب (٥) محاضرات من كل مادة، وهي النسبة النظامية للغياب.

وأعتقد أنه لا تثريب علينا تلك الفترة، فقد كانت الأوضاع شبه فوضى.

وأحياناً كثيرة كنت آخذ الدراجة التي أربطها في حديد منارة مسجد (علي بن أبي طالب) بحي الأمير فواز الشـمالي، وأذهب إلى البيت، وأقرأ هناك، أو أراجع أو أستفيد من الوقت.

ولربما بعض الأحيان أذهب إلى صديق لي، كان طالب علم جيد، ويكبرني سـناً، فأصـلي في داره صـلاة الضـحى، ونقرأ من مكتبته، ونتبادل القصـص والفوائد، وخاصة في التفسير.

إن مرحلة الثانوية مرحلة خطيرة إذا لم يجد فيها الشاب الموجّه الناصح، وإذا لم ينظر فيها إلى المستقبل الواعد، وإذا لم يوجد من يراقب مسيرته التعليمية بشكل صحيح، وما ينقصها ليتمم ما فيها من خلل.

وهذه هي زبدة هذه المرحلة باختصار.

المهم أن المولى جلَّ جلاله أعان على التخرج من قسم (الكيمياء أحياء)، وملت إلى الجانب العلمي، وكنت أتابع وبشدة برنامج الشيخ الزنداني عن الإعجاز العلمي، واهتممت بهذا العلم، وتابعت الكتب القليلة، بل وحتى بعض المجلات التي يحضرها لي صديق في الخطوط السعودية، لقراءة ومتابعة كل ما يتعلق بالإعجاز العلمي.

وكنت أحلم أنني سأكون من المبدعين في هذا المجال، الذين يمكثون في المعامل للتحليل، والوصول إلى المخترعات والمكتشفات العلمية التي أربطها بالإيمان.

وكنت أجمع الصور والوثائق، حتى أعددت قرص كمبيوتر، يعمل فقط على كمبيوتر صخر (٣٨٦)! فيه مئات الصور العلمية المنتقاة من مئات المجلات، إضافة إلى جوانب الإعجاز العلمي فيها، وطلبته إحدى المؤسسات لبيعه ونشره، ولكني آثرت أن يكون منسوخاً بلا ثمن، لأن العبرة بنشر الحقائق لا بكسب الدراهم.

وكنت تلك الفترة مشدوداً جداً إلى الكتب الثقافية، وخاصة فترة الإجازات، فوالدي ـ رحمه الله ـ كان يملك مكتبة ثريَّة منوعة، بحكم علاقاته الكبرى بأهل العلم والفضل.

ففي الثانوية قرأت كتباً غريبة التنوع مثل شرح بلوغ المرام، وشرح عمدة الأحكام، وزاد المعاد، والمستطرف، وكتب الطنطاوي، وسيد قطب!

إنها تشكيلة غريبة وعجيبة، لم يأمرني بها أحد، ولم يمنعني عنها أحد.

أتذكر واللّه أنني قبل وبعد كل صلاة أقرأ من زاد المعاد، وظللت على هذه الطريقة حتى فرغت من الجزء الثالث، وهو بتحقيق شيخي الأول ومعلمي الأكبر، العلامة المحدث: عبدالقادر الأرناؤوط ـ رحمه اللّه ـ.

كما إنني بعد عودتي من المدرسة كنت أقرأ في شرح الأحكام، كل يوم قرابة خمسة أحاديث، وأسجل ما يصعب فهمه، لأسأل عنه سماحة العلامة عبداللّه بن بيه، والذي كان ولا يزال جاراً لنا.

كما أتذكر الآن وبشكل عجيب أضحك منه أنني قرأت كتاب: معالم على الطريق، للأستاذ سيد قطب، وأنا على الرصيف فترة الصيف، عندما أذهب إلى إحدى النوادي الصيفية، ولا يعجبني البرنامج الرياضي.

كل ما في الأمر أن عقلية والدي، المعروف بسلفيته، وأفتخر بها، وأدعو لها، لم تكن مأزومة أو منكفئة على نفسها، بل كان يفرح بأهل العلم، وكل ما في كتبهم من فرائد وفوائد.

كما أن والدي ـ رحمه اللّه ـ كان يفرح إذا ذهبت إلى المكتبة واشتريت كتباً متنوعة، فأرى من احتفائه ونظراته أنه كان يأخذ بعضها إلى حجرته فيقرأ منها، ثم يخبرني عما استفاده منها.

وقد ألهمني المولى جل جلاله أن أضع لنفسي جدولاً للقراءة في كتب منوعة، إلى أن وصلت المرحلة الجامعية، وجالست الكثير من العلماء والمفكرين والمتخصصين في قضايا علمية مختلفة، فأثر ذلك في وضع الأولويات، وبناء المنهجيات.

وأحمد اللّه أنني لم أكن مشوشاً، أو مستعيراً لفكر أحد، رغم أن أحد قرابتي كان ينصحني وأنا في الثانوية بترك كتب فلان وفلان، ولكن رحمة اللّه

لـي كانت أقرب، فرغم لصـوقي به، وشـدَّة قرابتي له، ورغـم علميته الجيدة، ومكتبته العامرة التي سحرتني، وشدتني لزيارته كل أسبوع.

أقـول: رغـم ذلك كله، كانت رحمة اللّه أقرب، فبصَّـرني أن لا أقع في فخ الاتهام لأحد، أو التشويش الفكري ضد أحد.

ومـرت مرحلة المراهقـة التعليمية والثقافية بسـلام ـ والحمـد للّه ـ وإنني اليوم لأحمد اللّه كثيراً، كلما رأيت أو سـمعت أو عاصـرت من الشـباب الذين عاشـوا مرحلـة الثقافة الشـرعية والفكرية والدعوية على حسـاب شخصـيات محدودة، ونظرات أفراد محدودي الفكر، متقوقعي الجغرافيا، أحاديي النظرة!

ومـن نافلـة القـول: أن أذكـر أن دعـاء الوالديـن ورعايتهمـا كانت سـبباً للحصـانة، وأن أخـلاق ومنهج بعض الأسـاتذة الذين تعرفـت عليهم، واقتنعت بصدق توجههم، ساندت في تشكيل هذا الانطباع، والإيمان به.

❊ ❊ ❊

لمسات تربويَّة وإيمانيَّة

أرجو ألا تكون اللحظات الجميلة في حياتي قليلة وسريعة!

أبدأ بذلك لأني سأروي لحظات لا يمكن أن أنساها، ومواقف لا يمكن أن يزول أثرها ـ بإذن اللّه ـ، ولكنها قديمة.

من هذه اللحظات السعيدة والسارة في حياتي الثانوية حبي للخلوة والنظر في السماء.

كنا نذهب مع أصدقاء الحي، وزملاء المسجد في رحلات بريّة، وكانت من الفقرات المؤنسة، أنّه في آخر الليل نجلس أو نمد ظهورنا على الأرض، ونسمع إلى الآيات التي يؤديها أحد القراء عبر المسجل، كصدر سورة يونس، والروم، مما تتضمن ذكر خلق اللّه تعالى وعظيم وبديع صنعته.

كنا نتخيل الجنة، والمأوى الذي نعمل له، نتخيل حجمنا مقارنة بالسماء العظيمة، نتأمل لحظات الخلود، نتأمل عظمة اللّه وضعف إمكاناتنا وقدراتنا ومدى تجاوزنا.

ولأن هذه الطريقة كانت عن صدق ورغبة في التأمل الحقيقي والإصلاح الداخلي، كنت كل يوم وأنا طالب في الثانوية أذهب إلى سطوح المنزل، وآخذ

مسجلاً يدوياً صغيراً بحجم الكف، وأسمع القرآن وأنا ممتد على سجادة، حتى إذا فرغت من سماع السورة، أقوم لأصلي الوتر.

ومن اللمسات الإيمانية الراسخة في نفسي والممتدة في كل كياني إلى الآن، أن أستاذنا المربي الدكتور: عدنان فقيه ـ حفظه الله ـ، كان يختار لنا صوراً من مجلات عن عظمة الله وبديع صنعته في الكون وفي الإنسان، ويعدها على شكل (سلايد)، وهي عبارة عن صور داخل مربع صغير تقلب صورة صورة بعد وضعها في جهاز، وكان يختار أناشيد إيمانية مناسبة لتسلسل الصور كأنه مخرج وهو كذلك، ولكنه مخرج إيماني!

ومن تلك الأناشيد مثلاً، أنشودة: إنه الله القدير، وأنشودة: قل للطبيب تخطّفته يد الردى، ولا تزال ألحانها وطريقة أدائها مصحوبة مع الصور، تشعرني بالغبطة الإيمانية، والتواضع لله، وحب التجليات الربانية.

لقد كانت أساليب أستاذنا في قمة التحضر الإيماني، وكان واعظاً صادقاً في موعظته، وبليغاً في أداء الأساليب التي تزكي القلب، وترقي الروح.

وكان صاحب عبادة وزهد، وتقوى وتألُّه، وأوراد وتلاوة، غمرنا بالمعاني التربوية والإيمانية، وأشهد أنه كان آية في فهمه للقرآن وتأمله فيه، وتمسكه به.

كل ذلك مع تمام المحافظة على منهج أهل السنة، والتقيّد بآثار الشرع، التي كانت لمساتها عنده غير جافّة ولا صعبة!

ومن اللمسات الإيمانية التي غذّتني مرحلة الثانوية كثيراً، الحفاظ على صلاة الفجر جماعة والمواظبة على درس التفسير اليومي.

فقد كان أستاذنا (د. عدنان فقيه) ومعه أستاذنا الأجل (حسن شاهين) يحضران في آخر مسجد الفتح بعد صلاة الفجر كل يوم، ويَقرأ كل منا صفحة

من القرآن، ثم يقوم أحدهما بالتعليق على بعض الآيات المختارة، وننصرف بعدئذ للاستعداد للمدرسة.

أما يومي الخميس والجمعة فقد كنا نستمر إلى الإشراق، ثم نزاول نشاطنا الرياضي أو الاجتماعي في البحر، أو الاستمرار في الصيام، كل ذلك حسب الحال.

وأحياناً كان يقرر أستاذنا (فقيه) أن نصلي الفجر عند إمام قارئ تؤثر تلاوته فينا، ولمدارسة بعض معاني القرآن في الطريق.

فكان يمر عليَّ وأنا في مرحلة الثانوي قبل آذان الفجر بدقائق، ليجدني مهيئاً، لنسير في رحلة إيمانية قلَّ نظيرها.

إن هذه اللمسات الإيمانية تسكب في قلب الشاب معاني راقية، وتؤسس في نفسه قيماً عميقة خالدة، وتغازله نفسياً ليؤوب ويمضي على نفس السيرة لأنها كانت صادقة، ولم أجد في الحقيقة وصفاً لواقع هذه اللمسات وأثرها الطيب على نفسي مثل ما وجدت في قصة قريبة للداعية محمد الراشد مع أبناء جيله في صلاة الفجر إذ يقول:

«يوم كانت الهمّة تامّة لم تنحت منها السنون بعد: كنتُ أجمع بعض إخواني الدعاة في جامعة بغداد، بعدد قليل دون العشرين كل أسبوعين، لنقوم الليل ونتلو القرآن، مع درس دعوي وموعظة مناسبة، ولأن الرقابة كانت هاجسنا: فإننا كنا نتجاوز المساجد الظاهرة العامرة إلى مسجد عتيق رطيب عريض الجدران واطئ الطاقات والأقواس، بالي الفراش، في زقاق ضيق قديم، يسمى «مسجد حسين باشا»، وهو الوالي العثماني الذي بناه قبل أربعمائة سنة تقريباً، ويبدو أن يد الصيانة لم تمتد إليه آنذاك، فكان التلف ظاهراً في أكثر أرجائه، والجص قد سقط من بعض حيطانه.

لكن أولئك المائة الروّاد الذين كانوا يتناوبون الحضور أفواجاً صدروا عن إجماع جازم أنهم لم يروا مكاناً تتجلى فيه البركة الربانية ظاهرة كمثل حَرَم ذاك المسجد، وكان أي مشارك يحسّ بروحانية عميقة تحت تلك الأقواس، ويشعر بشعور خاص إذ هو بين تلك الجدران الهرمة يفوق تأثير الموعظة، ويضاعف إخبات القلوب الذي يولِّده التهجد والتغنّي بالآي، حتى إذا حكَمَ وقت أذان الفجر: تصدى لرفع الأذان الحاج أحمد رحمه الله، مختار حي الحيدر خانة الذي يقع المسجد فيه، وكان رجلاً ميسوراً لكنه يسكن غرفة في المسجد تطل على ساحة واسعة، فكان إجماعٌ من إخواني أنهم لم يسمعوا أبداً أذاناً جميلاً آسراً مُطرباً كمثل أذانه، وكان عادل الشويخ يقول: يصح البيات في المسجد ثمناً لسماع ذلك الأذان، وأنا أشهد بما شهد به رحمه الله: أني حتى الآن وأنا في الرابعة والستين ما أتلذذ بسماع نغمات أذان تدق أبواب القلب دقاً كنغماته، وآثار أذانه في نفوس أولئك الدعاة تعدل ما يرجعون به من آثار التلاوة والتهجد.

وتفسير هاتين الظاهرتين عندي ـ والله أعلم ـ: أن هذا المسجد العتيق قد بناه صاحبه بنيّة خالصة، ثم تتابعت أجيال كثيرة من المؤمنين تصلّي فيه وتدعو، فحباه الله تعالى ببركة خاصة ميّزته عن مساجد أخرى، ثم يبدو أن هذا المؤذن الذي هو ليس بأجير كان على شعبة من الإخلاص واقتراف الحسنات، فأودع الله عز وجل في صوته تلك العذوبة والقوة التأثيرية».

❊ ❊ ❊

يوم قلت لنفسي: ألف مبارك!

لا أعلم يوماً أنني كرمت نفسي أو هنأتها على إنجاز أو عمل، فالأمور عندي بالتياسير ـ كما يقول العامة ـ.

لكنني مرة حضرت دورة للنجاح عند (د. إبراهيم فقي) ذكر فيها أنه عندما صار مديراً لمطعم بعد أن كان جرسوناً فيه، هنأ نفسه إذ لم يهنئه أحد، واشترى (باكيت ورد)، وكتب على كرته: إلى .. إبراهيم فقي: ألف مبروك!

والحقيقة أنني استخدمت ضمنياً هذا المعنى لنفسي يوم تخرجت من جامعة الملك عبدالعزيز في كلية العلوم، قسم الأحياء.

دخلت الجامعة وأنا مصرٌّ على الجمع بين العلم الشرعي والعلم التطبيقي، إذ كنت أتخيل المعامل والمكتشفات والوقوف لساعات للوصول لنتائج البحث، هذا كل تفكيري.

تخرجت من الثانوية بنسبة جيد جداً، وإن كان طموحي أكبر بكثير، لكن نظام الدراسة الشاملة ونفسي المؤجِّلة حالت دون ذلك.

دخلت الجامعة للتسجيل، وكان عميد القبول آنذاك جارنا في الحي (د. مازن بليلة)، وكان مدير القبول الأستاذ: غازي مفتي.

صدمت أول ما صدمت أن القبول في كلية العلوم انتهى، فألمح إليَّ والدي (بكلية الطب) لمعرفته بعميدها، ورضاه عن مستواي، والتوسط لقبولي.

لكن إصراري على كلية العلوم، وأنهماكي بالخيال في المعامل والمختبرات شغل كل كياني، فقلت لوالدي: سأواصل حتى أدخل كلية العلوم، وواصل بدوره الدعاء لي.

ذهبت للدكتور مازن لقبولي في كلية العلوم فأخبرني باكتمال المقاعد، وأنه لا بد من التسجيل في الكلية البديلة (البحار أو الأرصاد) وهذا ما رفضته.

استمرت اتصالاتي بمعارف والدي في الجامعة، وتمت المخاطبات دون جدوى مع عميد القبول الحازم د. مازن.

وما بقي إلا يوم على التسجيل أو ضياع مقعد كلية علوم البحار، وحينها سيكون الخيار الأخير (كلية الإدارة)!

تاهت من بين يدي الأحلام، وما عادت لي رغبة في الدراسة.

فالأمر عندي لا يقبل المساومة، إما كلية العلوم أو الانتظار لعام قادم.

كثَّفت الدعاء واللجوء إلى الله، واستخرته تعالى بصدق، ثم حصلت هذه الواقعة التي برهنت لي عن عظمة قدرة الله، وقوة تيسيره للأمور رغم كل الأسباب البشرية التي تبقى في النهاية مجرد خيوط يمسكها الله بقدرته ويوظفها بقدرته.

قصة من أعجب قصص الواقع لشاب في مقتبل عمره التعليمي الأكاديمي العالي.

أتيت أول الصباح وكان يوم أربعاء لإكمال تسجيلي في الكلية المتاحة، فقال مدير القبول، الأستاذ غازي: ما أمامك إلا كلية علوم البحار، فأكمل البيانات ووقَّع، وهذا ما حصل ثم قال: اذهب للغرفة المجاورة، للتصوير في

البطاقة، وهذا ما حصل أيضاً، وبقي الآن أن آخذ البطاقة للتوقيع عليها، لأصير طالباً في كلية علوم البحار.

استلمت البطاقة وعليها الصورة وبقي التوقيع من العميد، وأنا في هذه اللحظات وبعد استلامها من الأستاذ: غازي، أيقنت أن لا يعلم بهذا الحال سوى عالم السر والخفيات الذي يقول للشيء كن فيكون.

نظرت للسماء وقلت في نفسي: يارب طلبتك ورجوتك، وتعلم ما في نفسي وأنت على كل شيء قدير، وعيناي للسماء، وما إن أخفضتها، إلا وألمح في أعلى سقف الصالة ورقة مطبوعة فيها: هناك فرصة (٥) مقاعد للراغبين في التسجيل بكلية العلوم هذا اليوم الأربعاء!

يا الله.. أيعقل أن تكون هذه الورقة صحيحة، وما سرها، ولماذا تعلَّق بعيداً عن الأنظار؟!!

الجواب باختصار: أن مجموعة من الطلبة الذين قبلوا في كلية العلوم وقبل أن يستلموا بطاقاتهم وجدوا فرصاً دراسية في جامعات أخرى فقدموا اعتذارهم، ولما وصل الخبر للعميد طلب فتح القبول لخمس طلبات فقط.

وحتى لا تُحرج إدارة القبول والتسجيل وضعت هذا الخبر الصغير معلقاً في أعلى السقف، وبعيداً عن الأعين، ليختاروا من أحبابهم ما شاؤوا.

فلما وقعت عيني عليها سألت أحد مسؤولي القبول: هل هذا الخبر صحيح؟

فتلجلج ثم قال: نعم، قلت: إذن أريد التسجيل في العلوم.

فقال: لكنك سجَّلت في علوم البحار، وبطاقتك في يدك!

قلت: سأذهب الآن للعميد وأخبره بطلبي.

فلما رأى حماستي وقوتي في الطلب: أخذ الأوراق وسجلني مباشرة في كلية العلوم.

وانشرح صدري وحمدت ربي وأقررت له بنعيم فضله.

ودخلت كلية العلوم بهذه النفسية العلمية، وبدأت الصدمة تلو الأخرى، عند رؤيتي لكتب قديمة، ومذكرات عفى عليها الزمان، ومعامل متهالكة، ومضت نصف المرحلة الجامعية، ولا أذاكر إلا فترة الاختبارات فقط، وكل وقتي في المجالس الشرعية، والدروس اليومية، لأن صدمتي بالمعامل والكتب كانت عنيفة.

لقد كان المطلوب أن نحفظ فقط، نحفظ المصطلحات العلمية، ونحاول بعض التجارب المحدودة في المعامل التي يتكدس فيها ثلاثون طالباً!!

وأبدعت في المواد الاختيارية والأدبية والاجتماعية بامتياز، وضربت صفحاً عن كلية العلوم.

وكنت غير ميَّال لكثرة المناهج البعيدة عن التخصص كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والإحصاء، التي أهملتها لآخر سنة حتى تكدَّست عليَّ، وكان الفصل الدراسي الأخير فيه مادة الرياضيات ١٠١، ١٠٢، فيزياء ١٠١، و $E2$.

والحقيقة أنني أقنعت نفسي بضرورة التفاوض معها، لإنهاء الدراسة في الجامعة، وتركيز الذهن على هذه المواد، وأنشأت علاقة تفهم وحب جزئي لهذه المواد حتى أستطيع التخرج.

كنت أخاطب نفسي في الدراسة كأنني مدرس يعلِّم طلاباً، وأذاكر يومياً بعد صلاة الفجر، وتفرغت عن كثير من الهموم، وواظبت مع مدرس (كيني) كل يوم حتى الخميس والجمعة.

وتخرجت بفضل الله وأنا لا أصدق نفسي!

وأيقنت تماماً أن الشباب الذين يقولون لا نستطيع التخرج من كلية العلوم

وهم في وسط الطريق أو في نهايته، أو يجدون صعوبة في بعض المواد العلمية كالفيزياء والرياضيات والكيمياء والإحصاء وما حولها واهمون.

لأنهم درسوا أصولها وقواعدها وأكثر تطبيقاتها في الثانوي العلمي.

المسألة تحتاج مداراة مع النفس، وتشجيع لها، والمشاركة مع بعض الزملاء أو المعلمين.

المسألة تحتاج إلى إقناع بأنه ليس شيء صعب، بل يمكن تجاوزه ولو بالنسبة الوسطى (نجاح على الحفَّة).

كما أن المسألة تحتاج إلى تفريغ وقت وأولويات، والبدء الفعلي في حل المسائل العلمية، ومع الخطأ مرة والصواب مرة، واستشعار الفرح عند الحل الصحيح بعد تطبيق القواعد الرياضية، كل ذلك يسهل تكرار التجربة لحل المسائل مرة بعد مرة.

ولي الحق أن أقول لنفسي للمرة الأولى: ألف مبارك يا أبا حمزة!

❊ ❊ ❊

٢٢

حيٌّ يُضرب به المثل

وأنا في آخر الصف السادس ابتدائي، وفي بداية الصف الأول متوسط رأيت كتيباً جميلاً يعرضه عليَّ والدي ـ رحمه اللّه ـ في غرفته، ويقول: (هنا يا علولي غرفتك ومكتبتك، خلِّيتها على البلكونة).

اللّه.. اللّه.. ما أعظمك يا والدي وما أحنَّك وما أنبلك.

إنها صورة لفيلا في حي الأمير فواز، التي اختارها والدي ضمن عروض كثيرة جداً بعد أن رفض البناء رغم حصوله على العديد من المنح من قبل الدولة بحكم منصبه كقنصل ونائب سفير للسعودية في سوريا آنذاك، بل إن من المنح ما هو على البحر تماماً!

إنها الحكمة الإلهية وكفى.

ورغم أن الحي في بداية انتقالنا إليه (١٤٠٥هـ) لم يكن فيه أي منشآت كالمدارس أو حتى البقالات، فضلاً على عدم تزفيت طرقه، وهو من أهم وأغنى الأحياء، إلا أن والدي أصرَّ عليه!

اجتمعنا في هذا المنزل المبارك (الوالد والوالدة، وأخي صالح وكنا في غرفة واحدة، وأخي أسامة وعبداللطيف في غرفة، ثم أختي أم عبدالهادي التي لم تكن متزوجة آنذاك في غرفة).

بينما أخي الأكبر محمد كان مستقلاً في منزله المبارك العامر في الحي المجاور لنا منذ زواجه من ابنة الشيخ الفاضل سعيد الدعجاني.

وقد جمعنا اللّه سبحانه وتعالى كأسرة مع بعضنا، حتى بعد زواج الجميع سكنوا في الأحياء المجاورة تماماً لحينا، فلم نمر ـ بفضل اللّه ـ بمرارة الفرقة، وأعتقد أن هذا ببركة الوالدين، ودعائهما، وحسن توجيههما وتربيتهما.

وكان حي الأمير فواز رغم وجوده في منطقة واد إلا أن اتحاد الناس وعظيم خلقهم، كان مؤشر البقاء الأكبر.

نعم تعرَّض الحي لهزَّات عنيفة نتيجة السيول التي دخلت البيوت أكثر من مرة، ورغم هذه الحوادث لم يختر أحد الخروج من الحي، بل الصبر والمصابرة فيه رغم قدرتهم المادية على اختيار أحياء أكثر أماناً، لكن من عرف الحي وأهله لن يعجب من ذلك!

وكان الحي مليئاً بالرموز العلمية والفكرية، فنسبة كثيرة من أطباء الجامعات وعمداء الكليات فيه، وفيه قامات علمية مرموقة كمدير جامعة الملك عبدالعزيز الأستاذ الدكتور: محمد عمر الزبير، عمدة المشروع الدعوي، وكذا سماحة العلامة عبداللّه بن بيّه عمدته العلمية.

وعشرات المتخصصين في المجالات المختلفة، مما جعل للحي نكهة خاصة.

وفوق ذلك كان فيه مربع تربوي، مكون من أربعة أساتذة فضلاء، مختلفي الطباع، متحدي الحب والإنسانية.

أما الأول: فهو الأستاذ: حسن شاهين، وهو اليوم عَلَم في الإعلام، ومرب في التعليم، موهوب ومحبوب، ومنذ معرفتنا به لم يتغير في مذهبه في الرحمة والخلق الرفيع، وكان يدرسنا في المسجد (زاد المعاد) للإمام ابن القيم،

إضافة إلى خطبه المرتجلة المميَّزة التي كان يُرحل إليها، وكان في مصاف الخطباء المبرزين، ومن بركاته دعوة الشيخ: عائض القرني لأول مرة في جدة في محاضرة (أصحاب القلوب الحية) وتعريف الناس به! وكان من يومها متفتحا في التفكير، مستقلاً في القراءة، لا يحب العصبيات لا الدينية ولا القبلية، وكان محط إجماع الحي.

والثاني: هو الأستاذ: ياسر موريا، ونلقبه (خالو) لأنه خال للكثير ـ ما شاء الله ـ، وصار لنا بمنزلة الخال، وفي الحديث (الخال والد)!

وهو أعجوبة في العمل الاجتماعي، عاشق له، كان يعلمنا كيف نجمع المال، وكيف نشتري من السوق، وكيف نتعامل مع الناس، وكيف نراجع الدروس، وكيف نهتم بأوقاتنا، وكان يخاف علينا كخوف الأب والأم على أولادهم، ويقف معنا في الصباح قبل الطابور المدرسي، وكان قمة في التواضع والأدب والمناصحة الهادئة، ولم يكن يسمح لأحد أن يؤذي أحداً، وكان داعية بطريقة عصرية عبر المسابقات الرياضية، والثقافية، كان درع الخير والفضيلة، عفيف اللسان واليد.

وأما الثالث: فهو الأستاذ: شاكر باشعب، نعم لم يكن يزورنا كثيراً لوجوده في حي الأمير فواز الشمالي، لكنه كان يشارك في الرحلات وأغلب الأنشطة، وأشهد الله أنه رغم بعض ما يظهر من قوته وشدته أحياناً، إلا أنه كان حكيماً، وصادقاً مع نفسه، ومستمعاً منصتاً لغيره، رجّاعاً للحق، مربياً بالصدق، وقّافاً عند حدود الله، ولا نزكيه على الله.

ثم الرابع: وهو الأستاذ: عدنان فقيه، الذي صار دكتوراً في قسم الإحصاء بعدئذ، وقد جمَّله الله بفضائل نادرة، أهمها إنصاته للآخر، وهدوؤه ورفقه، ورقته وشاعريته، وعبادته وتخصصه في القرآن وتدبره، وكان داعية حكمة

ووسطية ورحمة. يزن الأمور بميزان دقيق، ويراعي المشاعر، إضافة إلى احترامه للوقت، وتنظيمه للعمل، وتقديره للآخرين.

وأذكر هنا قصة طريفة بالغة التأثير عن تفكير أساتذة الحي الأربعة ومنهجيتهم:

حصل أن مجموعة من الشباب أنشأوا ملعباً رياضياً بجوار المسجد، وكان الأستاذ حسن شاهين، معروفاً عندهم، محبوباً لديهم، بل يدعوهم لرحلات عامة اجتماعية لطيفة، لا تتعلق بنشاط تحفيظ أو شيء من ذلك، بل لجلب قلوبهم للخير!

لكن بعضهم تمرَّد، وأصرَّ على اللعب فترة الصلاة بجوار المسجد، فنصحهم الشيخ حسن إمام المسجد مراراً وبكل أسلوب، إلى أن بلغ به الضيق أن يأتي متأخراً في وسط الصلاة لنهرهم بعد كثرة موعظتهم، فهم بجوار المسجد تماماً، بأصواتهم العالية، وتشجيعهم المستمر.

فجمعنا بعد الصلاة أنا وزملائي، واستشارنا، ثم أخبرنا أن هذا السلوك خطأ، ويجب إزالة هذا الملعب الذي آذى الناس، والحل هو كسر (أبواب المرمى)، ووضعه في مبنى البلدية!

وكان هذا الأمر بعد صلاة الفجر، وممن عُرض عليهم الأمر الأستاذ: عدنان فقيه، الذي رفض الفكرة، وقال: المسألة مسألة وقت، والعناد مع الشباب لا ينفع، ولعلنا نحاول أكثر من محاولاتنا السابقة، في حين تحفَّظ كل من الأساتذة شاكر وياسر على الأمر.

أما أنا فلم أشارك في الأمر، ولكني حضرت فعالياته!

فقد قلَّبت الأمر سريعاً، ورأيت أن لكل وجهته، ولكن لن أحسب في هذا الموقف إلا على نفسي.

إن هذه المجموعة المربية الرباعية ساهمت بكل أمانة في تكوين شخصيتنا نحن التلاميذ، وأنا منهم.

وأستحضر في هذا المقام ما نقلة الإمام ابن كثير في البداية والنهاية عن الإمام مجاهد، قوله: أفضل العبادة الرأي الحسن. وما نقله الزبيدي في حكمة الإشراف عن بعض الأخيار، قولهم: لولا المربي ما عرفت ربي.

ورغم ما كان يحدث في عصر الصحوة من تخبطات ومشكلات وتوترات وصراعات هنا وهناك، نأت هذه المجموعة بنفسها عن ذلك، ولم أسمع يعلم اللّه طيلة عشرين سنة كلمة انتقاص لشيخ أو جماعة أو طائفة، بل كان التعامل باللين، وبالتي هي أحسن، وعدم الدخول في أي عمل ينقص الأجر.

وعلى هذا العهد مضينا، وعليه نلقى اللّه بإذن اللّه.

❊ ❊ ❊

التصنيف الدعوي

في بداية المرحلة الجامعية كانت التصنيفات في الساحة الدعوية على أشدِّها، كان هذا عام (١٤٠٩هـ).

فكل ما يتعلق بالإنشاد والمسرح والرحلات (إخوان)، والذين يحضرون دروس العلماء وبعض لقاءات الشيخ بن باز والألباني والعثيمين (سلف)، والذين يدورون في البيوت ويسافرون للدعوة (تبليغ)، والذين يجمعون بين هذا وذاك مع شيء من الحزم (سرورية).

ولأني شاب متدين ـ والحمد لله ـ في الجامعة، ولو ظاهرياً، فقد تم إبلاغي أن (الجوالة) فكر إخوان، والنادي الاجتماعي (سرورية)!

وبدأت الجامعة وتخرجت منها وأنا عضو في الناديين، ولكني رفضت المشاركة في أي رحلة للفصيلين.

واستمرت علاقتي طول الجامعة وحتى تخرجي بعلاقة وطيدة برئيس الناديين، ممتنعاً عن قبول أي رحلة، موافقاً بلا تردد على المشاركة في أي نشاط داخل صرح الجامعة.

كما شاركت الفصيل (السلفي) توزيع الكتيبات وإعداد الكلمات بعد الصلاة في الكليات!

فأنا مواظب على دروس الشيخ بن باز ـ رحمه الله ـ والذي كان يبات في منزل عمي الشيخ داود العلواني، ومدرسة الشيخ بن باز أصيلة فينا، وعلاقته بعائلتنا (جدي ـ عمي) قوية، إذ لا يبات في جدة إلا في داره، وحضور زواج كثير من أبناء العائلة دليل ذلك، ومنهجه السلفي منهجنا.

وكذا الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ الذي كان على كفالة عمي، ودروسه وأشرطته ترن في أذني، وتؤكد منهجيتي العلمية في التعامل مع الحديث الشريف على نهج السلف رسائلي في الماجستير والدكتوراه وعشرات الكتب الشاهدة على ذلك، فأنا أصيل المنهج (السلفي) تربية وتعاملاً.

كما أني أستقبل دعاة (التبليغ) في بيتي، وأشاركهم خواطرهم التربوية، ولكني لم أسافر معهم رغم كل دعواتهم الطيبة.

وكذا فأنا محب للفن الهادف والمسرح الهادف والعمل الدعوي المرتب والاستبشار بفقه الدعوة وحيويتها (الإخوان).

كما أن علاقتي ممتدة في التعامل والقراءة مع من يقال أنهم خرجوا من عباءتهم (السرورية)، أو من انفصل أو كان له تموجات خاصة.

هذه قناعتي التي تشربتها، بل وتعاملت معها، وطبقتها واقعاً، لا أخفيها، ولا أدَّعي سواها، فليس في عنقي بيعة إلا لله ورسوله، وأنا مع المؤمنين في كل الديار، والإقرار بولي أمر بلادي.

ولي عهد مع الله أن أدعو مع كل من يؤمن بالحكمة والموعظة الحسنة ويختارها طريقة للدعوة. وكل من وجدت منهم هذه المنهجية تعاملت معهم وشاركتهم أياً كان وصفهم.

ولم أمرَّ في حياتي بفضل الله بفترة تخبط وازدراء لداعية أو طائفة كائنة من كانت.

وأروي لأول مـرة هنـا: أن أول فصـيل سـمِّي (الجامية) تحـاور معي وأنا في مرحلتـي الثانويـة، عن خطورة الأحزاب بمن فيهم كل من في المراكز الصـيفية، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، إضافة إلى إهدائي كتباً عن دعوة (الإخوان) الأم.

وقرأتها وتأثرت ببعض ما وصـل إليه أصحابها، ولكني بفضل الله رغم كل محاولاتهم رفضـت المسـاس بأحد، وذهبت للمكتبة واشـتريت بنفسي بلا علم أحد، كتباً عن الإخوان، لأقارن ما قيل بما قالوا!

وبعـد الانتهاء من القراءة الطويلة وفي مرحلة صـعبة لشـاب في الثانوية، حدثـت بعض الأسـاتذة بالموقف، وكانوا من ديانتهم وصـدقهم أن دلوني على كتب أخرى للقراءة، وهذا ما حصل، وأكد لدي أهمية التحري والبحث الدقيق، وأن الخطـأ البشـري بـل وحتـى الجماعـي أحيانـاً وارد، لكن المنهج الراسـخ والتأصيل المعمق هو العمدة والمعتمد.

ومـن تلـك اللحظـة وإلـى يومـي هـذا فأنـا مـع الجميـع، مـع الاحتـرام للعاملين، والعهد مع الله للعمل مع كل من يخدم الدين لأخذ الأجر.

وما عدت يوماً أفكِّر بالتصنيف، ولا عاد يهمني لحظة، ولا يشكل عندي انزعاجاً أو توتراً أو قلقاً من مستقبل أو يحدث عندي شبحاً وهمياً أو حاجزاً مصطنعاً أمام النجاح.

فأنا على يقين كبير أن المليء هو سيد الساحات، وأن العاقل لا يستفزه الرويبضة، وأن الوفاء للدعوة شرف.

وأقول لنفسي دوماً أنني مصنَّف على طريقة أبي العلاء المعري:

القـول سهل باللسـان وإنـما بالفعل يمتحن الفتى ويصنَّفُ

ولذا أبارك عملاً وقولاً كل مشروع إصلاحي سديد رشيد، حركياً كان أو سلفياً أو لا تصنيف.

وصار مما أقوله للمحبين والراغبين في سماع الحق:

علينا أن نتعاون على البر والتقوى، والسعي للإصلاح والاستخلاف في الأرض، بعقيدة السلفي، وحيوية الحركي، وعقلية الفكري، ومنهجية الخططي، وروحانية التبليغي، ليكون الجميع على نَفَس واحد، ويعملون تحت شعار واحد «هو سماكم المسلمين».

ولعل هذا هو سر كتابي «جمِّع تسد».

وإني لآمل أن يجعلنا الله دوماً خَدَماً لدينه، وأن يكرمنا بشرف الانتساب إلى الدعوة، والوفاء لأهلها ورجالها العاملين، والعهد مع الله لنصرة الشريعة الربانية، والتمسك بالروابط الأخوية، مترنمين في طريقنا الطويل كلمات الدكتور القرضاوي:

تالله ما الدعوات تهزم بالأذى ... يوماً وفي التاريخ بِرُّ يميني
دع في يديَّ القيدَ ألهب أضلعي ... بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة ... أو نزع إيماني ونور يقيني

❊ ❊ ❊

٢٤

علماء ومفكرون عاصرتهم (١)

ليعذرني المئات من العلماء والدعاة والمربين ممن عرفتهم، وأدين لهم بالفضل في جوانب استفدتها منهم، والتمستها من شخصيتهم، لأني لم أذكرهم لا لكثرتهم، ولكني هنا أذكر من عاصرتهم، أي من جالستهم كثيراً، وسافرت معهم، وعرفت كثيراً من أمور حياتهم، وحصلت لي مواقف خاصة معهم تستحق الإشادة، والتحليل السليم!

وأول هؤلاء وفي صدارتهم سماحة العلامة المحدث الشيخ: عبدالقادر الأرناؤوط ـ رحمه الله ـ.

فهو صديق والدي الوفي، ورفيقه في دربه، وشيخي الأول.

حضرت خطبه قرابة خمس سنوات، وقرأت كل تحقيقاته المباركة، ودرست على يديه في المصطلح أول الأمر، ثم قراءة عامة في أحاديث مختصر شعب الإيمان، وفصولاً كثيرة من جامع الأصول.

وهو عالم متمكن في علمه، زاهد في معيشته، ورع في تصرفاته، مؤثِّر في إلقائه، عفٌّ في كلماته، وسطيٌّ في أحكامه.

فهو أول من علمني مصطلح الحديث، وقرَّبني من كتب الحديث، وهو أول

من لفت انتباهي وشدني لأسلوبه الخطابي العجيب، ما بين رفع صوت وخفض، وما بين استرسال وصمت.

وكانت لقاءاته الدورية في بيتنا مشهودة، وإهداءاته المستمرة لتحقيقاته موضع اعتزاز وفخر لي أولاً ولكل عائلتي.

وبموته ـ رحمه اللّه ـ خسر العالم الإسلامي قامة نادرة لها الفضل في إخراج كثرة كاثرة من الكتب العلمية المهمة المحققة التي شهدته يحققها ـ رحمه اللّه ـ ليلاً ونهاراً، وسمعت منه مراراً أنه كان يكتفي بكوب الحليب والخبز صباحاً لئلا يشغله شيء عن التحقيق لآخر النهار!!

وكان من توفيق اللّه العظيم له، أن وفقه لاختيار أهم الكتب المفيدة والعظيمة، وهذا عندي سر رباني.

وله قصة ظريفة مع سماحة العلامة عبدالعزيز بن باز ـ رحمه اللّه ـ عندما كان رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث كان إلقاء المواعظ في الحرم النبوي بعد صلاة الظهر لا يتطلب كبير عناء.

فقام الشيخ الأرناؤوط بعد صلاة الظهر، وذكر حديثاً شريفاً مع شرحه مختصراً كعادته في المواعظ العامة.

وبعد فراغه طلبه الشيخ عبدالعزيز بن باز وأبلغه أن الحديث الذي ذكره ضعيف، وكان لا يعرفه آنذاك، فأخبره الشيخ الأرناؤوط: أن الحديث حسن، وله شواهد وطرق كثيرة، فطلبها منه الشيخ بن باز، وهذا ما حصل، وصار بينهما مودة وثقة كبيرة، وكان يعود إليه الشيخ بن باز في التخريج والتوثيق.

كان شيخنا الأرناؤوط يحضر خطب الجمعة مبكراً ويكثر من الأذكار، ثم يصعد المنبر فيروي حديثاً بسند مختصر مع إثبات رواته ومن صححه، وبعد ذلك يرويه من حفظه ويشرحه شرحاً مفصلاً محرراً، يجمع بين أسلوب الوعظ والإقناع.

وكثيراً ما كان يُطفئ الكهرباء في النهار، فكان صوته وطريقة أدائه هو

التيــار الحيوي الحقيقي الذي يشـدُّ الناس، وهو والله من أميز الخطباء الذين عرفتهم وسمعت لهم.

وهو من أجلِّ علماء هذا العصر، ممن جمع بين العلم والمعاصرة، فهو لم يخض فيما خاضه بعض المنتسبين للعلم في السعودية من النقائص أو الازدراء لأصـحاب المذاهـب الأخرى، كما لـم ينح ما نحى إليه بعضـ تلاميذ العلامة الألباني من الوقيعة بينه وبين بعض العلماء.

لقد كان حكيماً رزيناً وسـطياً مفتخراً بمنهج أهل السـنة، وطريقة الشـيخ محمد بن عبدالوهاب، ولكن دون ضجيج أو تسبب فتنة.

وهو أول من وضعني على خط الوعي العلمي الصحيح.

وقد أكرمني المولى جل جلاله باستخراج الفوائد التربوية من (جامع الأصول) الذي حققه شـيخنا الأرناؤوط، بعد قراءتي المتأنية والطويلة له، وأسـميته (بدائع الفصـول من جامع الأصـول)، وأجره بإذن اللّه لسماحة شيخنا العلامة المحدث: عبدالقادر الأرناؤوط، والذي أهديته كتابي (أمير الأنام)، ومما قلته في الإهداء:

إلى شيخنا الجليل وأستاذنا القدوة

الصالح المحدث الكبير ..

عبدالقادر الأرناؤوط «رحمه اللّه»

الذي تخلَّق بأخلاق العلماء، وكان معلماً في توحيد الكلمة.

رفـع اللّه قدره في عليين، وجمعنا به مع النبيين والصـديقين، والشـهداء والصالحين،،،

تلميذكم

علي

❊ ❊ ❊

علماء ومفكرون عاصرتهم (٢)

لو قيل إن هناك خمسة يعدون على أصابع اليد الواحدة عندهم كل مؤلفات هذا الرجل، وكل ما قيل عنه في كتاب لكنت واحداً منهم.

فلدي بفضل اللّه كل ما كَتب وكُتب عنه.

هذا الرجل أعجوبة زمانه، وهو نسيج وحده.

لا أعلم رجلاً في العقود الماضـية أطبقت الدنيا على إمامته في كثير من الأمور العلمية والربانية والخيرية والحياتية مثل سماحته.

إنه مدرسة متكاملة، وجامعة متنقلة، وجمعيات عاملة في آن واحد.

إنه سماحة العلامة عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ.

بـدأت اهتماماتـي بفتاواه وأنا طالب في الابتدائي أسـمع لفتاواه (نور على الدرب) كل إثنين وجمعة.

وسُرَّ والدي بذلك كثيراً، كلما أخبرته عما سمعت.

وفي المتوسطة والثانوي أدمنت فتاواه في نفس اليومين، وكنت أناقش فيها صحبي في الفسحة الدراسية.

وجالسته كثيراً عند زيارته لبيت عمي شقيق والدي الشيخ داود العلواني في جدة.

وكم صفا لي الوقت للجلوس بجواره متحدثاً معه، ومستمعاً إليه، ومتشرفاً بتقديمه الطعام سنوات طويلة جداً.

ومن أهم جلساتي الحاسمة معه بعد العشاء في منزل عمي وكان لوحده، فذكرت له ما قيل عن الشيخ المحدث: عبدالرحيم الطحان، وما أشيع عنه من أخبار منقولة بطرق غير صحيحة، وآراء لأئمة بترت في سياق الاستشهاد، ففرح الشيخ بما أخبرته به. ثم بشرته بمشروعي الأضخم والأهم، وهو جمعي لكتاب فقهي على غرار (فقه السنة) لسماحته مجموع من كتبه ومجموع فتاواه، وما وقَّع عليه في فتاوى اللجنة الدائمة، ولكن أمر اللّه كان سابقاً فلم ير جزأه الأول.

أعتقد أن شهرة الرجل وقبول الناس له تغنيك عن التعريف بمزاياه، وقصصه العجيبة.

لكني ألفت النظر هنا إلى جوانب ثلاثة لم يستفد منها كثير ممن أحبه والتزم طريقته، وللأسف.

أولاً: أن الرجل كان على علاقة ممتدة وقوية مع كل ساحات العمل الإسلامي، يعطيهم ثقته، ويقويهم بنفوذه وإمكاناته، ويبادلهم نصيحته، ويقبل نقدهم، وهذا وسَّع دوائر اهتمامه بهم، واهتمامهم به، ولم يسر على طريقته هذا إلا أندر النادر.

ثانياً: أن الرجل لا يقول إلا ما يقتنع به، لذا فقوله مقنع للكثير، وقد يسخط قوله البعض.

فإن رأى رأي الحكومات سديداً وقف معهم وأيدهم، رضي من رضي وسخط من سخط، وإن رأى منهم خللاً كتب إليهم وناصحهم بالحق.

وهذه الصفة لم يأخذها منه إلا أندر النادر.

ثالثاً: أن عطاء الرجل واضح، وصدقه الظاهر ماثل أمام كل الأعمال.

فهو لا يمنع عطاء لأحد، ولا يحرم نفسه الخير لأحد، وهو واضح مع نفسه، مبرمج في مسيرته، صادق في دعوته، عابد في تبتله.

وضوح سيرته وطريقته لم تدع مجالاً لأحد أن يتكلم.

صلواته في الجماعة، ودروسه اليومية، وذكره الدائم، وورعه عن مناصب الدنيا، وشفاعته التي لا تهدأ، وتواصله مع الناس الذي لا يسكن،كلها براهين واضحة ماثلة للعيان.

ومما وقفته مع نفسي، وتنفع الإشادة بذكره هنا، بعد معايشة حقيقية، وقراءة تامة لكل ما كتب، وتتبع دقيق لكثير من التفصيلات، أقول:

هناك مشاريع مهمة تنفع الدارسين في منهج حياة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ:

الأول: فتاواه التي اشتهر بها، وهي تشمل اعتماده على الدليل، وتحرره من أي مذهب.

وسنجد أن الشيخ له أراء واجتهادات وفتاوى عجيبة، وتسامح كبير في أمور يُظن فيها التشدد من مثله، وهي كثرة كاثرة، تحتاج إلى جمع، ودارس مهتم.

الثاني: قناعاته وأسلوب دعوته مع الولاة والحكام والدعاة والمتنطعين والمتطرفين والعلمانيين المعارضين، ففيها جوانب تحتاج متابعة للأسلوب والطريقة خاصة أن فيها نتائج مبهرة، وجمع للكلمة، وحل لكثير من العقبات.

رحمه الله رحمة الأبرار، وجمعنا الله به مع النبيين الأخيار.

❊ ❊ ❊

علماء ومفكرون عاصرتهم (٣)

من أجلِّ العلماء الربانيين الراسخين في العلم اليوم ممن عرفتهم، وأنست بهم، واستفدت منهم مبكراً، **سماحة العلاّمة الفقيه الأصولي الشيخ: عبدالله شيخ المحفوظ بن بيه.**

وهو اليوم واحد من أشـهر علماء المسلمين، ونائب الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

كان جـاراً لنـا ولم يزل في حي الأمير فواز أكثر من عشـرين سـنة، وهو عمدة الحي الشرعي، وآراؤه وفتاواه محل قبول وثناء في كل الأوساط.

بدأ أول ما بدأ بدرس اقترحته عليه، ووافق على فكرته بعد طول تأمل منه كعادتـه في (مسـجد الفتح) قبل عشـرين عامـاً من الآن، أي فـي حوالي عام (١٤١٠هـ)، وكان في شـرح سـيرة ابن هشام، وتم تسجيل الكثير من الحلقات على أشرطة، وأفاض الشيخ في الشرح بشكل مفصَّل وعميق.

والشيخ ـ متَّع الله به ـ في السيرة النبوية أعجوبة، ومعرفته بدقائق السيرة مما يلفت النظر، وحفظه للمنظومات المتعلقة بالأنساب وشجرة السيرة ملفتة، وهذا سرُّ تعلقنا بدرسه وبسيرة المصطفى ﷺ مبكراً.

ثم بعد ذلك دامت صلتي بالشيخ من خلال دراستي مع بعض أبنائه وتلاميذه في داره في شرح كتاب (رسالة ابن أبي زيد القيرواني) في الفقه المالكي، وكذا في عقيدته، ومن ثمَّ دروس في أصول الفقه، واللغة العربية.

وكانت الدروس في غاية العمق وبعد النظر، ومن منهجية الشيخ في الشرح إحضار أمهات الكتب للتأكد من راجح المذاهب المختلفة، وكذا صحة الأحاديث، وقد أثرى أكثر من خمس سنوات شبه متواصلة الدروس، وأشبعها بآرائه وترجيحاته ونظراته العميقة، حتى أكرمني المولى جل جلاله، فاخترت كتاب (الفتح الرباني شرح نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني) الذي درسناه على الشيخ خمس سنوات، رسالة علميَّة (للدكتوراه)، مع الدراسة والتحقيق لهذا الشرح، والتدقيق في نص النظم وتوثيقه، وتخريج أحاديث الكتاب وبيان صحيحه من ضعيفه.

وخرج الكتاب الذي أصرَّ الشيخ (بن بيه) على تقديمه بنفسه من غير طلب مني، بل وحرص ـ متَّع الله به ـ أن يكرم تلميذه بالتقديم، بل والتأكيد على تقديمه هو، حتى كان مما قال فيه:

«ولكن الإضافة المميزة للرسالة هي تلك التي قام بها بعض العلماء الشناقطة الموريتانيين لتسهيل حفظ الرسالة واستظهارها عن طريق النظم بدلاً من النثر وهو نظم العلامة الشيخ عبدالله بن الحاج حمى الله الشنقيطي الذي أقبل عليه أهل تلك البلاد حفظاً وشرقاً إلا أن الشيخ العالم الداه الشنقيطي الذي كان مقيماً في جمهورية السودان خطا خطوة مباركة عندما شرح هذا النص بفقه مقارن للمذاهب الأربعة مع ذكر الدليل غالباً من السنة وبهذا يعتبر هذا العمل تطويراً مهما للتعامل مع باكورة المذهب.

إلا أن عمله لم يحظ بتمحيص كاف وتخريج واف إلى أن سمت همة ابننا

الدكتور علي بن حمزة العمري إلى وضع رسالته هذه التي نقدم لها هنا في خدمة هذا الشرح تحقيقاً وتدقيقاً وفحصاً وتمحيصاً فرجع أقوال المذاهب المختلفة إلى أصحابها من خلال مراجعها فحقق عبارات نقولها وخرج أحاديثها بعزوها إلى كتب السنة مبيناً درجاتها متسنما شرفاتها مطلعاً على دهاليزها وردهاتها فكان عملاً مذكوراً وسعياً مشكوراً من أبواب الطهارة إلى الذكاة فسد خلة في هذا الباب واستخرج من جني فاكهته اللباب فنسأله سبحانه وتعالى لنا وله القبول ونيل المطلب والسول.

وللدكتور علي قصة مع الرسالة ذكرها في مقدمة بحثه إلا أني أضيف إلى ما ذكر أن ذلك حدث في مرحلة مبكرة من عمر هذا الفتى الذي ثاقف الشيوخ وزحمهم بالركب في حلقات الدرس الخاصة التي يرتادها إلى جانب ارتياده مع والده الشيخ الفاضل المرحوم حمزة العمري المساجد ومواطن الخير فتربى تربية حسنة علقت همته بمعالي الأمور وفضائل الأعمال. وقد درسته الرسالة وسنه تقارب سن الشيخ الإمام أبي إسحاق السبائي الذي يرى الدباغ أنه هو الذي طلب من الإمام أبي محمد تأليف الرسالة وهو في ١٧ من عمره وربما كان الشيخ علي أصغر سناً في هذه المرحلة.

لقد جاء التحقيق فقهاً مقارناً وتخريجاً محققاً للأحاديث وتصحيحاً للنظم وتهذيباً للأصل وترجمة لعلماء غير معروفين في المشرق وهو بين يديك أيها المطالع فأغتنم الفرصة للإفادة منه ولعل الابن الدكتور علي مع انشغالاته تسمح له بإكمال الكتاب على النسق الذي بدأه والأسلوب الذي أتبعه لما في ذلك من النفع.

سائلاً له التوفيق والسداد.»

والعلامة (عبدالله بن بيه) له مميزات وخصائص، من ذلك:

١ـ **رسوخه في العلم بالتلقي والمتابعة:** فالشيخ عبدالله راسخ العلم من

خـلال ما تلقاه عن شـيوخه في موريتانيا عبر الطريقة التقليدية في الدراسـة والتمكن في حفظ وضبط الفنون المختلفة، لكن الشيخ فوق هذا التمكن زاد في اسـتمرارية مطالعتـه وتركيزه على كتب المتقدمين من الفقهاء، فصـار خبيراً بحـق، ملتقطـاً لدرر ونفائس الأئمة بفن، متمرسـاً في اكتشـاف مظان الأقوال بأعجوبة.

٢ - **نذر وقته للبحوث العلمية:** وهذه خاصية عظيمة في الشيخ، فكثيراً ما ينكب على مسألة، بل ويحدثك وعينه على مخطوط، أو هامش مليء بالنفائس، أو استجلاء لرأي فقيه أحد المذاهب.

والشـيخ نظراً لعمق قراءته فـي دواوين العلماء، ومعرفتـه المميزة بمظانّ المسـائل، اسـتطاع أن يوظفها في بحوثه القيمة، التي أثرته كثيراً، وأثرت بها المجالس التي يُسأل فيها عن مسائل مستجدّة، فيجدون فيها الأجوبة الحاضرة، والأقوال المقنعة، والمناقشـات المستفيضـة المرتبة، مع سرد لشواهد ونقولات وأبيـات متنوعة وحاضـرة، وربطها بالواقع، المبني علـى معرفة ودراية بحقيقة المسـتجدات والدراسـات، بـل وما قيل في المسـألة في لغة العرب ومصـطلح الغرب.

٣ - **يدعو إلى الحق:** فالشيخ - يحفظه اللّه - يبحث دائماً عن الحق، ويقول به، سواء وافق رأيه الكثير أو خالفهم، وهذا دليل صدق وقبول.

وقد أعجبني تعليق العلامة الشـيخ يوسـف القرضاوي على شيخنا العلامة (بـن بيـه) في إحـدى مؤتمرات (المجلـس الأوروبي للبحـوث والإفتاء) عندما تشـدد في مسـألة، ويسَّـر في أخرى، فكان تعليق د. القرضـاوي: أنت يا شـيخ عبداللّه أحياناً تأخذ بشدائد ابن عمر، وأحياناً تأخذ برخص ابن عباس!

وهذه اللطيفة من العلامة القرضاوي في صديقه العلامة (بن بيه) حقيقة،

ووصـفة بليغة، ولكن العلامة (بن بيه) في موقفه بين شـدائد ابن عمر ورخص ابن عباس، إنما يعود لفقه المسألة، وقوة أدلتها، وطبيعة ورودها، وكيفية تحقيقها.

ولذا فهو رجل لا يُشق له غبار في بناء الأحكام، أو ما يسمى بأصول الفقه، ولذا يعتدُّ برأيه في تصـور المسـائل، لأنه يعرف ما يقبل من تخريجها وما لا يقبل.

٤ ـ **لديه منظومة متكاملة مترابطة**: وهذه لا يعرفها إلا من جالسه طويلاً، وسأله كثيراً، واستمع له متحدثاً وقرأ له متعمقاً.

فالشـيخ ـ حفظه الله ـ تسـتطيع أن تقول أنه كوَّن لنفسه (منظومة متكاملة مترابطة)، فأنت عندما تحدثه عن مسـألة شـرعية، أو قضية إسلامية فكرية، فتجده بسلاسـة، يربط المسألة الأصـولية برأي فقيه، أو بفتوى إمام، أو ببيت شاعر في لحظة واحدة، ومن جهات مختلفة، لينظم من خلالها رؤية ذات شأن!

وهذه سـر صنعته، ومكونات خلطته أُعلنها لأول مرة على الملأ، ولكن دون ذكر تفاصيلها.

حدثه مثلاً عن دقائق الاسـتنباط في الشـريعة، حدثه عـن الديمقراطية، حدثه عن البورصـات، حدثه عن التجديد، حدثه عن قضايا عصرية متشابكة، لتجد ما أقوله لك بالتمام.

ثم إنك عندما تسـمع سـتجد أن مـا يقوله مجرد لقطـات عميقة ومركزة تجمعها الفكرة والمنهجية، ولا تجمعها المصادر والمراجع.

وأعتقـد أنه تعـب كثيراً وكثيراً جداً للوصـول إلى هذه الطريقة الخالصـة والمبهرة لكل من ناقشه فيها.

ومع ذلك فالشيخ ليس متخصصاً بالمعنى الأكاديمي في كل العلوم الدقيقة، بل هو مستوعب لها، ولكنه يسأل ويدقق ويتابع مع المتخصصين فيها.

٥ ـ قدوة عملية: وهذه ربما التي يستطيع أن يقول فيها الآلاف من المحبين والمتابعين آلاف القصص والشواهد، فالشيخ رغم كبر سنه وآلامه العارضة والمستمرة، يواصل الأسفار بين القارات، وجدوله مليء بالمؤتمرات والمحاضرات والندوات العالية القيمة، وكم مرّة قلت لعشرات الدعاة: إن الشيخ (بن بيَّه) يخجلكم بكثرة تنقله رغم كبر سنه!

ولدى الشيخ قبول عند جهات كثيرة رسمية وحكومية وشعبية ودعوية، خطبت ودّه في وزارات وهيئات ولجان متعددة.

وفوق ذلك فالشيخ إنسان حاضر في المسجد جماعة كل الفروض، لا يغيب عنها، ومعروف بتبتله في الليل بعد العشاء، وجلوسه في خلوته كل ليلة، حتى فترة من الليل، ثم يمكن بعدها الاتصال عليه وسؤاله عن أمر مهم.

ولا غرو بعد هذا أن نقول: إنه عالم موسوعي، فهو فقيه، وأصولي، ومفكر، وسياسي، وأديب، وشاعر.

وبعد، فما قلت ما قلت إلا عن معرفة ودراية ومجالسة طويلة ومستمرة، عن عشرة دامت عشرين عاماً، وعن إشراف مباشر لدراستي في الماجستير والدكتوراه.

ولا زلت وبفضل الله تعالى، مع الشيخ ملازماً له في لقاءات مستمرة، وجلسات محضرة، وأسفار متعددة.

❊ ❊ ❊

علماء ومفكرون عاصرتهم (٤)

[١ـ٢]

إنه علامة فارقة في الأمة..

إذا حضر مجلساً نثر مسائل العلم بتوسع وتأصيل، وناقش القواعد والأصول، وإذا دار في المجلس حديث الرقة فهو الحاضر القلب، الملهب المشاعر.

وإذا سنحت لحظات الأنس حيث الأدب والشعر، شرَّق بك وغرَّب، من مقوله ومنقوله، بل من خزانته التي يصعب الحصول على دررها.

وإذا تفرَّع اللقاء إلى التاريخ قديمه وحديثه، فدونك الحوادث مسلسلة بتواريخها وتفصيلاتها وعبرها، وتقييم صحيحها من فاسدها.

ولا غرابة أن تجد تحليلاً سياسياً، أو تقييماً دعوياً، بل وحتى تفسيراً منامياً.

حقاً إنها خلطة خاصة، جعلته عندي شخصياً واحداً من أعلم علماء الأمة المعاصرة قاطبة.

إنه سماحة العلامة الموسوعي الشيخ: محمد الحسن الددو الشنقيطي.

إنني أعترف بملاقاتي أعلاماً كبار، ومتخصصين في بعض العلوم أو جملة منها يندر وجودهم، ولكني هنا أعترف بأن الشيخ (الددو) أمة وحده.

فهو (عرّاب) الشريعة، وعلوم الآلة، وفنون المعارف، وفقه الواقع.

وقطعاً هو بشر، له قدرات محدودة، وتنقصه كغيره ملكات، ومسائل مختلفة.

بدأ تعرفي على شيخنا الجليل: محمد الحسن الددو، بعد موسم الحج قبل أكثر من خمسة عشر عاماً.

حيث أخبرني والدي ـ رحمه الله ـ، أن أستاذي (د. عدنان فقيه) اتصل عليَّ ولم تكن آنذاك جوالات، كما أن والدي لم يكن يسمح بالكلام بعد العاشرة ليلاً مع أحد، إلا أن أقدار اللّه فوق كل شيء، ثم إن المتصل (د. عدنان) كانت له محبة خاصة عند والدي.

عند عودتي للبيت وسماعي خبر اتصال (د. عدنان)، بادرته بالاتصال، ولحبه الشديد لي، وشغفه أن ألتقي بالرموز العلمية، طلب مني الحضور لداره بحي الأمير فواز، لملاقاة هذا الضيف النادر، ولإيمانه بأنني من عاشقي جلسات العلماء الأكابر.

أتيت إلى مجلس أستاذنا (د. عدنان) وكنا أربعة، وكلنا جيران، والعجيب أن ثلاثة منا خطباء.

فكان من نباهة وذكاء (د. عدنان) أن طلب من الضيف إلقاء خاطرة عن أهمية دور الخطيب.

وبدأ سماحة العلامة محمد الحسن الددو، بالحديث من غير سابق تحضير، يذكر الآية، والحديث بالسند، وقصص كبار الصحابة، مستشهداً بأقوالهم بالنص، معرجاً على القيم التربوية والإيمانية، ومقولات الصالحين، وأشعار البلغاء، مما أذهلني في ربع ساعة.

وعلى طول خطابتي ومن معي لم أكد أسمع موعظة عن الخطابة غير محضَّرة مثلها.

وحـان موعد العشـاء وإذا بهذا الرجل المهيب الوقور، ذو الوجه الوضـاء، واللحيـة الكثَّة، والعلم الغزير، ينزع غترته، ويتباسـط، ويتضـاحك معنا، وينثر غرائب وعجائب الأشعار، فزاد ذهولي أكثر.

وفي وسـط الجلسـة كانت تدور كلمات عفوية، كالبدعة، والأشـاعرة، و....، وإذا بالشيخ يقف عند كل كلمة ويقسم ما قيل عنها من كلام الأئمة مع التوضيح المركـز، والدليـل من النقل والعقل، مما جعلني حقاً في حالة عجبٍ متواصـل، وأحياناً في حالة ابتسام عريض!

انتهى العشاء.. وحان وقت المغادرة.

ولأن أستاذي (د. عدنان) ذكي العقل، صافي القلب، نقي الفطرة، مرهف الحسـ، فنان الدعوة، طلب مني أن أصـاحبه لإيصـال الشـيخ إلـى الدار التي سينزل فيها.

وفرحت يعلم الله بهذا الطلب، وركبنا السـيارة (كاديلك)، وما إن خرجنا من طرف الحي، وإذا (د. عدنان) يقول للشـيخ محمد: هل تحفظ يا شـيخنا أبياتاً تنتهي بحرف (الضاد)؟!

فقال الشـيخ محمد على الفور: كثيرا!، وبدأ بإنشـاد الشـعر حتى ضـحك (د. عدنان) فهو شاعر، ويدرك صعوبة الطلب! ثم بعدها سأله عن بعض الرؤى المنامية، حتى وصلنا فأجابه الشيخ عليها، حتى ضحك (د. عدنان)!

وأما أنا فقد كان عقلي يدور في اتجاهين، اتجاه يلقط درر الشيخ وعجائبه في الجلسـة الأولى، واتجاه يحاول حفظ المكان الذي سينزل فيه داخل حارات جدة عند أحد أقاربه.

وصـلنا إلى البيت، وطلبت من الشـيخ محمد إعطائي عنوانه في الرياض، لأنـه كان طالبـاً آنذاك في السـنة التحضـيرية في الماجسـتير بجامعة الإمام

محمد بن سعود، فأعطاني رقم السكن الجامعي العام، فهو الرقم المتوفر..!

وعنـد العودة مع (د. عدنان) للبيت، حدثنـي عن معرفته به، وذهوله منه أول مـرة كما ذهلـت أنا، عند زيارته المتكررة لهم وهـم طلاب في بريطانيا، مما زادني حباً للشيخ، لأني عرفت سراً جديداً في حضوره لدول الغرب، وقربه من واقع المسلمين.

ومما كان في طريق العودة، ما أخبرني به (د. عدنان) عن الشـيخ محمد من مسائل أذهل بها الحضور، وأتذكر من ذلك تقسيمه لأنواع الجهاد خمسين قسماً مع التوضيح والاستدلال.

ثم قلت لأستاذي (د. عدنان): وكيف قابلته بعد الحج، فقال: سبحان اللّه، كنـت فـي مكة للذهاب إلـى أرحامي، فوجدت رجلاً واقفاً على رصـيف يؤشـر لتاكسي، وليس معه أحد، فالتفت، فإذا بالشيخ محمد.

وهذه الرواية زادت مشـاعري عن تواضـع الرجل وبساطته، رغم موسوعية علمه، وبعده عمن يحيطون به، لخدمته...

ودارت الأيام شهوراً تلو شهور، أبحث عن الشيخ فلم أجده، ودعوت ودعوت، وقلت في نفسـي: الذي أتى به من على الرصـيف بلا موعد، سـيأتيني به على غير موعد.

❊ ❊ ❊

علماء ومفكرون عاصرتهم (٤)

[٢ـ٢]

لا أعلم رجلاً أدمت البحث الطويل عنه شخصياً، وعن أعماله فكرياً ومعرفياً وتأصيلاً شرعياً، مثل العلاّمة محمد الحسن الددو الشنقيطي ـ حفظه اللّه ـ.

بعد آخر لقاء به في منزل صديقنا وأستاذنا (د. عدنان فقيه)، أخذت أبحث عنه في الرياض، فتوجهت لهذا الهدف ليس إلا، ولم يكن لي معارف ولا أصدقاء وقتها!

جُلْت بنفسي صرح جامعة الإمام محمد بن سعود التي كان يدرس فيها فلم أجده، وبحثت عنه في المقر السكني للطلاب فلم أفلح.

تواصلت مع الجهة المسؤولة عن تسجيل المحاضرات والدروس داخل الحرم الجامعي فلم يجدوا له شريطاً واحداً!

عدت أدراجي إلى جدة... فليس ثمة رقم هاتف، أو صديق يمكن الاستعانة به.

مرت الشهور والسنين وأنا أبحث.

حدثت عنه مشايخ عدة، وفضلاء كثر، ولكن دون جدوى.

وفي يوم من أيام الله المباركة تواصل معي ابن الشيخ العلامة عبدالله بن بيه (محمدو) عن طريق إما أحد الأصدقاء أو هاتف المنزل (لا أتذكر الآن)، وذلك لعدم وجود وسيلة الجوال، وأخبرني بزيارة الشيخ محمد الحسن الددو لهم، وكنت قد حرَّصت عليه أنه في حالة الزيارة فعليه إبلاغي.

أتيت مسرعاً بسيارتي (كريسيدا) إليهم، وفرحت فرحاً شديداً بمجرد رؤية هذا العَلَم الكبير.

وما إن رآني إلا و تذكرني - حفظه اللّه -، وبادلني الحديث، وطلبت بعد زيارته للشيخ عبدالله بن بيه، أن أقوم بإيصاله للمكان الذي يريد.

يا اللّه.. لقد حانت فرصة اللقاء، ومتعة الحوار، وجمال المؤانسة بالحبيب.

في الطريق سألته عن مسائل في الفكر والفقه والعقيدة والأحلام.

سؤال في كل اتجاه، ورغبة جامحة للبحث عن الأجوبة المقنعة التي أوقن أنه يحمل ما يشفي غليلي عنها.

عرفت سكناه، وعلمت أنه أتى (جدة) لعلاج والديه من موريتانيا.

فقلت له: يا شيخنا، إنها فرصة للذهاب معك نحو ما تريد، وأشرف بإيصالهم للمستشفى، فرحب الشيخ ووافق على ذلك.

وكنت أنتظر صوب المكان الذي يواعدني فيه، ولربما آتي مبكراً نصف ساعة أو ساعة أحياناً لحين خروج والديه، وكنت في كل مشوار أستمتع وأمتلئ بما يروي ظمأي العلمي.

ومن بعد هذه اللحظات الحاسمة في أوقاتي مع الشيخ، طاب اللقاء، وتوطدت العلاقة، وبنيت الثقة والمحبة، التي ربط أواصرها المولى جل جلاله.

لقد رأيت في الشيخ محمد الحسن الددو - حفظه اللّه - صفات نادرة، من الموسوعية العلمية، والمحفوظات الهائلة النادرة، والفهم العميق، والاستنباط

الدقيق، والدأب في العبادة، والحرص على نفع العامة، والحكمة والتوازن، والمروءة والخلق الرفيع، والورع والنبل، والاستيعاب لمجريات الأحداث، والتخلق بأخلاق العلماء الربانيين.

شهدت وما زلت أشهد أنه من أحفظ العلماء إن لم يكن أحفظهم في علوم شتَّى، مع فهم واستنباط نادرين.

ولعل اللّه أعطاني على قدر نيتي، فقرَّب اللّه سبحانه وتعالى فضيلة الشيخ العلامة محمد مني، فصار جاراً لي في السكن، وأكرمني الباري بجمع تراث الشيخ المسموع والمقروء والمنظور، وأشرفت عليه إشرافاً تاماً، وزرته في مستقر بلاده العظيمة (موريتانيا)، إلى أن عُرفت بصحبته، وعُرف بصحبتي.

فعرفت وعرف مني الخاص والعام من شؤوننا وأحوالنا، ودامت العشرة الطيبة بيننا ـ والحمد للّه ـ، مع احترام كامل، وتوقير تام، واستجابة سريعة للمطالب بيننا.

وقد تحدثت عنه طويلاً وكثيراً، وكتبت عنه كتابات عدة، وفي مناسبات مختلفة، أظن أن أجمعها وأركزها عنه ما كان في كتابي (كلمات في شموخ إنسان).

وما قلته هناك رغم خلاصة المجموع، وتنوع الأفكار، لا يفي بالغرض، لأنَّ ما لدى سماحته ـ ولا نزكيه على اللّه ـ يتطلب المزيد من الإثراء.

لعل عمر الشيخ الشبابي نسبياً لبقية أسنان العلماء الكبار، ما كان يدعو الكثيرين للتوقف والتأمل.

ورغم عاطفتي الشديدة تجاهه، وقناعتي الكبرى نحوه، إلا أنني أعترف أمام نفسي بأنني لا أقدس شخصاً، وأتحيَّز لنداء العقل إذا عدم صريح النقل، أو لم تكتمل أمامي قاعدة التأصيل.

أقـول رغم إيماني وقناعتي الكبرى بذلك وبعد ذلك أشـهد أنه أمة وحده، فـي العلـوم والمعـارف المختلفة، وآية فـي الإقناع العلمي، ومـن أكبر الوارثين للدين والشريعة.

ثـم إنـي أشـهد بإمامته فـي علوم الآلـة وعلوم الشـريعة بتنوعهـا ودقائق مسائلها، بعيداً عن لغة العاطفة، والمنْح لألقابٍ باتت سامجة.

﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

* * *

علماء ومفكرون عاصرتهم (٥)

أول مـا عرفت هذا الإنسـان الوقور، العالم المفكـر، الواعي المتقن، عند حضوري مادة الثقافة الإسلامية (٣٠١) في جامعة الملك عبدالعزيز، مع طلبة كلية الطب في المرحلة المسائية.

محاضـر كبير السـن، مشـبوب العاطفة، يتحدث واقفاً طوال المحاضـرة، ليس بيده ورقة ولا قلماً، يتكلم ويفكر في آن واحد!

تجـد أن الأفـكار التي يطرحها والرؤى التي ينثـر لآلئها، هي نور من اللّه، وفتح لأوليائه.

يتكلم من أعماق الفكرة المطروحة، حتى تصل لدرجة الإقناع واليقين.

وقد شدني لسببين:

الأول: أنه يتحدث بلغة سـلفية المشـرب، من تصـحيح الأحاديث الشريفة وتوثيقها، والتأكيد عليها، وعمق النظر في معانيها ودلائلها.

الثاني: نَفَس العالم المستوعب، الذي يرقى بمن أمامه، كأن شيئاً لا يشغله إلا هذا الدرس و الرقي بمحاضريه.

فـي نهاية أول لقاء في المحاضـرة زال عجبي عندما ذكر اسـمه لنا،

ووقت ساعاته المكتبية.. قال لنا: أنا أخوكم خلدون الأحدب.

ونِعْم هذا الاسم الكبير.. نِعْمَ العَلَم العلامة المحدث المفكر الشيخ الدكتور: خلدون محمد سليم الأحدب.

زال عجبي في نهاية اللقاء، لأني قد قرأت كتابه (سوانح وتأملات في قيمة الزمن).

نعم.. لقد لخصت الكتاب، ووزعته، وألقيت مضامينه في دروس شبابية كثيرة.

تحس أنه يهتم، ويبذل كل ما يمكن ليقرأ الشباب، ويرتقوا.

ثم إني وجدت عجباً عندما طلب منا كتابة بحث في المادة.

دلنا على المصادر والمراجع في مكتبة الجامعة، ومظان وجودها، مع أوراق مصورة عن الأسماء مكتوبة، والأرقام حسب ما هو مسجل في فهرسة المكتبة.

حقاً إنه شخصية نادرة في تعلم الإتقان وجودة الأعمال.

حصل أن كنا في قاعة المحاضرات الكبرى بكلية العلوم، وقدم أحد الطلاب بحثه، فإذا هو قليل الصفحات، غير منسق الشكل، فنظر الدكتور خلدون إلى البحث، ورفعه أمام الطلاب، ثم وضعه على الطاولة، وقال أمام الجميع: هزلت!!

فهزت هذه الكلمة الحاضرين.. نعم إننا أمام طريق واحد للنجاح والتفوق، (الإتقان) وليس ثمة آخر بديل عنه!

ومرّت السنوات وأنا أحتفظ في ذاكرتي بهذه القامة العلمية الكبيرة، ووصلت إلى قناعة مفادها: أن من أراد الله به خيراً جمع الله معه وبه الصالحين.

وبعد سنتين من التخرج، وأثناء وجودي في معهد البحوث والاستشارات في جامعة الملك عبدالعزيز موظفاً كباحث علمي، وتفكيري طباعة رسالتي (كنوز الحسنات)، بادرت مباشرة للذهاب لمكتبه في كلية الآداب والتي كانت مقابل المعهد الذي أعمل فيه.

وأراد الله خيراً، إذ لقيته مباشرة في صحبة صديقه الأثير الدكتور عبداللطيف الصباغ، والشيخ المرحوم بإذن الله الدكتور ناجي عجم.

سلمت على الشيخ خلدون، وبقية مشايخنا الأحبة، وقدمت له رسالتي (كنوز الحسنات) قبل طباعتها ليبدي رأيه الحديثي فيها.

حدد لي موعداً ولم يخلف رغم كثرة أعماله، فهو أستاذ المواعيد.

وقدم لي ملحوظة واحدة في عبارة كتبت خطأ مني، فشكرته عليها، وعلى تقبله النظر في الرسالة.

وقد بارك الله في هذه الرسالة ـ كنوز الحسنات ـ، وطبعت أكثر من عشرين طبعة، بعدة لغات، ونشر منها أكثر من مليون نسخة ـ والحمد لله ـ.

وبعد طبعها ذهبت بعدة نسخ للشيخ خلدون في مكتبه، ففرح بها، وبطريقة طبعها، خاصة أنني أشدت بمراجعته العلمية للرسالة.

دار بيننا حوار قصير، ذكَّرته فيه بدراستي مادة الثقافة (٣٠١) عنده، واطلاعي على مؤلفاته واهتمامي بعطائه.

وفي ذات الجلسة عرفت أكثر أنني أقترب منه في النظرة الاجتماعية، فقد عشت في سوريا التي ولد فيها، وهذا مما قرَّب النفوس، وهيَّج الذكريات!

وفي لقاء آخر معه في ذات الجامعة، كان ثمة قريب له فيما أتذكر تأخرت إجراءات التأشيرة الخاصة به، فسهَّل الله بتيسير الأمر عن طريقي.

وإذا بالرجل يُظهر وفاءه ونبله وتقديره لفعل المعروف ولو كان صغيراً،

فحمل على يديه كتابه الموسوعة الضخمة (زوائد تاريخ بغداد) في عشر مجلدات إلى مكتبي بالجامعة!

سأل عني بعد صلاة الظهر، وكنت في مكتب مدير شؤون الموظفين، أتابع معه بعض الأمور، وما إن عدت لمكتبي إلا قال لي أحد الزملاء، زارك شيخ كبير ووضع أكياساً ثقيلة...

تعجبت من هذا الذي زارني في مكتبي، وعلم حبي للكتب فأتى بها من غير طلب؟!

فتحت أحدها وعلى طرفه رسالة صغيرة في كرت جميل، مكتوب فيها الإهداء لي مع الشكر والتقدير وخالص المحبة والود والدعاء، ثم اسمه الكريم (خلدون الأحدب).

بادرته مباشرة بالزيارة لمكتبه وشكره على معروفه وتفضله بهذا الإهداء، وتواضعه الجم وحمله لرسالته العلمية الضخمة بنفسه.

ثم في آخر اللقاء دعاني لزيارته في داره العامرة، وأن ثمة طلبة من خيرة الدارسين النابهين يقرأون عليه كتاب (الباعث الحثيث) في مصطلح الحديث.

فشكرته على الدعوة، ولبيت الطلب وامتد هذا اللقاء الأسبوعي لسنين وسنين، وكان آخر ما أقرأه في مجلسه العلمي هذا: (الموطأ) للإمام مالك.

ومنح الشيخ الحاضرين خلاصة علومه، وفهومه، ودقائق نظراته، فوجدته قد حقق رجائي في أمور ثلاثة، أغناني بها عن كثير سواه:

الأول: رصانة البحث العلمي، وقوته، والتمحيص الدقيق، والصبر الطويل للوصول إلى النتيجة.

الثاني: الذوق الرفيع، والدقة، والأناقة، والجمال، فهو آية في حفظ المواعيد، والحرص على جمال المكان، وحسن الترتيب، فكل كتاب في مكانه،

قبـل اللقـاء وأثناءه وبعده. وأشـهد أنني رغم زيارته عشـرات المرات والمرات يبهرني فيه وفي مكتبته وداره الترتيب والأناقة.

الثالـث: سـعة المعارف الثقافية، فـلا يكاد لقاء يخلو من طـرح كتاب، أو تحقيق، أو مشـروع علمي، قديماً أو حديثاً، حتى لتكاد أن تقول أنه متخصـص في المصادر والمراجع لجملة كبيرة من العلوم والمعارف.

نعم لقد وجدت ضالتي، وحمدت ربي على هذه النعمة.

ومرة أخرى أكرر ما آمنت به من قناعة: إذا أراد اللّه بعبده خيراً جمع اللّه معه وبه الصالحين.

وياسبحان مقدر الأقدار.

قبل تقاعد الشـيخ من الجامعة، عرضـت عليه أن يكرمني بالإشـراف على الرسائل الجامعية، والتأسيس للجامعة التي طُرِحَ إنشاؤها مع ثُلَّة من كبار أهل العلـم والفِكْر داخل المملكـة وخارجها وهي (جامعة مكـة المكرمة المفتوحة) ـ للدراسات العليا ـ. سمع الشيخ مني الفكرة كاملة، وبكل تفاصيلها.

فاستخار اللّه تعالى، ووجد نفسه منشرحاً للفكرة.

وامتـدَّ اللقـاء بيننا ـ بفضـل اللّه ـ، وتواضـع كما هو عهده لأكون رئيسـاً للجامعة، وهو عميد لها.

ودامت اللقاءات أسـبوعياً في جلسـات الجامعة، ما بين حوار عن المجلس العلمي، وواقع الطلاب، ووضع المنح، مع مشاريع مختلفة، وفوق ذلك وأهم من ذلك حال أسرتي وأسرته، وحاله وحالي.

وكان لـه بعـد فضـل اللّه، السـبب الأكبر في بلـوغ (جامعة مكـة المكرمة المفتوحة) المكانة عند علماء الأمة الكبار في مشارق الأرض ومغاربها، وغدت موضـوعاتها مثـار حديث عند المهتميـن والمتابعين، بل أقول: وموقف سـكوت

وقبول عند المعارضين وشبه الحاسدين! وقد ضمَّت الجامعة بين جنباتها (ثلاثة عشر) تخصصاً، بعضها مما تميزت به واستقلت.

ولا يزال هذا العلم الكبير ـ د. خلدون الأحدب ـ مورداً لي بعد اللّه، في المناقشات الثقافية المتجددة.

وإن كان اللّه قد أمدني بتوفيقه وكرمه ولطف عنايته للاستفادة من الدكتور خلدون في الجامعة، فالأمل فيه تعالى أن يوفقني لإخراج مكنوزاته العلمية التي تنم عن فكر عالٍ، وثقافة نادرة، وتخصص حديثي متقن، وأصالة منهجية عميقة، وذلك عبر عدة مؤلفات ودراسات وكتابات، بدأت تخرج للنور، والمستقبل للباقي من الأهم آتٍ بإذن اللّه.

وما حرصي هذا إلا لإيماني بما حباه اللّه من سعة معرفية ثرة، وموسوعية ثقافية متنوعة، وحصيلة علمية وواقعية ضخمة، وأصالة منهجية محررة متقنة.

ولكل من دعا معي وأمَّن على دعائي بأن تخرج هذه المكنوزات للناس، الأجر والثواب، والنفع بما سيقرأ.

❊ ❊ ❊

علماء ومفكرون عاصرتهم (٦)

هذا الرجل وددت أن ألقاه بأي ثمن!

فهـو بعيـد، وبعيد جداً عـن الناس، ولكنـه قريب من قلوبهم، حاضـر في فكرهم.

قـرأت كتبه كلها، ولم أكن أدري أنني في يوم من الأيام سأصـير الناشـر لكتبه!

بعـد محاولات عديـدة عرفت أنه في سويسـرا، بل على حدود فرنسـا في منطقة نائية جداً، يعيش وزوجه الفلبينية لوحدهما، ولديه صديق وتلميذ مقرب يقوم على شؤونه.

رتبت مع أحد الدعاة الذين تواصلوا معه عبر أحد الأصدقاء في المغرب، لأن في سويسـرا دعاة من المغرب العربي كثيـر، فأخبره هذا الداعية برغبتي زيارته، فرحب ورتب الموعد يوم الجمعة في صـلاة الجمعة بالمركز الإسلامي بجنيف.

وصلت إلى المسجد قبيل الصلاة بساعتين، وطُلب مني إلقاء خطبة الجمعة

فيها، فأخبرتهم أن هذا الطلب يحتاج إلى ترتيب، وأنا أستحضر في ذاتي أنني أتيت لأستفيد قبل أن أفيد.

بعد صلاة الجمعة سألت عن صاحبنا فكان على كرسي في وسط المسجد ينتظر، فلما اقتربت رحب بي، وظنني شاب خليجي زائر، ثم عرف أنني أنا من أتى لاستقبالي من مدينته التي تبعد عن جنيف ست ساعات بالقطار السريع.

شاب يبدو أنه صغير، والسماع عنه - غفر الله لي - كبير، وتدارك الشيخ الأمر بالسؤال عن الدعاة والدعوة، فكانت إجاباتي مترادفة ومتعمقة، حتى أخبرته بسؤال الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - عنه، وسماعه لكتبه الثلاث (المنطلق، العوائق، الرقائق) وسروره البالغ بها، ثم أكد لي أن الشيخ بن باز بعث له يطلبه في زيارة للحج، لكن الأقدار الربانية لم تتيسر.

نعم، إنه الشيخ والداعية الإسلامي الكبير: محمد أحمد الراشد، أو: عبدالمنعم صالح العلي العزي (الاسم الحقيقي).

فرح بهذه الجلسة الأولية، ثم دعاني للغداء في أحد المطاعم العربية، وكان لقاءً جميلاً، قصَّ فيه من أخبار الشباب ما يمتع، ثم صارحني بعد الغداء أنه استأذن زوجته وقد تركها لوحدها، ليبات معي في جنيف ثلاث ليال، وهي إكرام الضيف. فلما رأى أنني خفيف وسهل، قال: بل نذهب إلى بيتي وتسكن معي، فحملت حقيبتي وماء زمزم الذي أتيت به كهدية للشيخ.

في الطريق فوجئ الشيخ بفتحي لدفتر عشرين صفحة، فيه أسئلة عن تجاربه وخبراته، ومواقفه العلمية، والسياسية، والتربوية، والاجتماعية!

فبدأ الإجابة في القطار، وأنا أسجل في دفتر آخر، وكان كلما لمح منظراً

جميــلاً، أو منطقة ذات بهجة قطع كلامه، وطلب مني النظر إليها والاســتمتاع بها، مع تعليق موجز عن المنطقة وطبائع أهلها!

واســتمر هذا الحال إلى أن وصلنا إلى بيته الذي يذكرني بالأفلام الغربية الكرتونية القديمة.

دخلنا البيت وصــلينا المغرب والعشاء، ثم أحضــر لي طعاماً بيتياً، وأراني بعضــ لوحاته الفنية، وكتاباته ومشــروعاته القادمة. واســتمر الحال بين نقاش وســرد لذكريات في غرفة مكتبته، ولم يكن بيته ســوى غرفتين أحدهما للنوم، والأخرى للمكتبة، وصالة صغيرة.

عندما حان موعد النوم أرشدني إلى مكان (الحمام)، وموقع الحذاء الذي على الجدار، والعطور، وأدوات التنظيف!

ولم لا يفعل ذلك وكان وقتها في الرابعة والســتين،وهو أستاذ الذوق والفن وجمالية الحياة؟

قبيل الفجر أيقظني، ولم أكن قد استغرقت في النوم، لذهول الموقف، فصلَّى بي الفجر بصوت رخيم، على نغم عراقي، وأداء روحاني خاشع. ثم قال لــي بعــد الصــلاة: يا أخي، لقد قســت قلوبنا فــي هذه الديــار، لأننا ما عدنا نسمع الأذان.

بعــد صــلاة الفجــر، رجا منــي أن أرتاح ويرتاح هــو قليلاً لأول الصــباح، للإفطار، وإكمال البرنامج.

في الثامنة أو التاســعة صــباحاً أفطرنــا، ثم أكملنا حوارنــا لحين الظهر، فتغدينا سمكاً زهريَّ اللون، شرح لي الشيخ فائدته، ومكان وجوده!

ثم فوجئ الشيخ بطلبي العودة إلى بلدي ..!

استغرب الشيخ من هذا الطلب الملح، وقال: إن إكرام الضيف ثلاثة أيام، فقلت له: لقد أشبعتني في يوم واحد.

ثم سألني: هل زرت جنيف من قبل فهي من أجمل بلاد الدنيا؟ فقلت للشيخ: لا، هذه أول مرة، ويكفيني ما رأيت، وقد أتيت لهدف اللقاء بك، والسلام عليك، وإبلاغك تحايا المحبين، والاستفادة منك، والإجابة عن جميع أسئلتي، وقد حدث كل ذلك بفضل الله وفي وقت وجيز، هو أربع وعشرون ساعة!

لم يشأ الشيخ أن يثنيني عن طلبي، وذهب معي عبر الباص إلى المطار القريب من مدينته، ووجدت الرحلة المناسبة، ولما ضاق مالي لشراء التذكرة لعدم وجود العملة، سألت عن جهاز الصراف الآلي، فرفض الشيخ، وبادر بأمر عرفته بعدئذ، أنه نادى شخصاً للاستدانة منه لشراء كامل التذكرة، وفاجأني بذلك، وعبَّر الشيخ عن ذلك بأنها من باب الضيافة التي لم تكتمل.

غادرت تلك الديار محملاً بحمولة إيمانية ودعوية وفكرية عظيمة، بل ومجالسة تضفي في النفس أسراراً عِذاباً.

نعم لست من نوع المريدين والمقدسين، ولكنني ـ غفر الله لي ـ من المتواضعين أمام أرباب المقامات العالية.

بعد أقل من عام اشتقت للشيخ واشتاق لي، ورتبت الزيارة له بحب كبير، وعند وصولي للمطار، تم إيقافي ومنعي واحتجازي على ذمة التحقيق خمسة أيام، وبعد فحص الحقيبة وجدوا كتباً ثقافية عامة، وشريطاً للقرآن.

فاعتذروا مني، وتذرعوا بالخطأ الذي اشتهرت به كل سلطات الدنيا، وما كانت سوى أخبار الكذب، ومعلومات الملفقين!

وما كان الشيخ يدري بحالي وإيقافي، حتى توالت اتصالاته هنا وهناك، فعرف الخبر، وأدرك أنني صاحب رسالة.

بعد أول لقاء به وسماعه خبري، حكى لي قصة عجيبة له في دولة خليجية كان يعمل في إداراتها الحكومية عندما سجن فيها، ووضع في غرفة تفتقد أبسط ألوان المعيشة الإنسانية، وأعطوه حصيراً نتناً، ووسادة بها رائحة الجيفة!

وعند خروجه من هذا النكد وغرفة اللاإنسانية، سألَ الشيخُ المحقق: أنتم تعرفون أنني ممن يدعو إلى الوسطية والاعتدال، وأكتب للشباب أن يهتموا بالحضارة والفن، وأسترسل بذكر الآداب والذوق الرفيع، أفيعقل أن يكون من يتكلم عن هذه الدقائق الذوقية والراقية داعية يدعو لغير السلام؟

فقال له المحقق: نعلم ذلك جيداً، ولهذا سجنّاك!

لقد وُجدت نغمة بوليسية آنذاك تستوعب أن إرشاد الشباب لفهم الحياة، بل صناعة الحياة، وتهذيب النفس ورقيها، سيعمق فيهم العمل للإسلام، والدعوة إليه، والحرص على نشره أمراً، والدعوة نهياً عن المنكرات، وما يخدش الذوق والأدب، فضلاً عن ترويج مالا يرضي في ساحات الحياة.

وامتدت الأيام فصار بيننا العيش الطيب الكريم، والاهتمام الأبوي الحاني، وأكرمني الكريم بنشر كتبه الجديدة كلها، والعناية بها، ومراعاة صحته، والحرص عليه.

وزدنا على ذلك في لقاءات المؤانسة الأكلَ من طعامه في داره من أكلة (الدولما) العراقية الشهيرة، والأكل في داري من السمك الذي ينحني ظهره لأجله.

وقد حصل أن داعبنا مرة، كان على طاولة الطعام ببيتي الدكتور طارق

السـويدان، الذي قال له: يا شـيخ محمد، لماذا لا تمتنع عن بعض اللحوم إن كانت ستؤثر عليك وعلى صحتك؟

فقال له الأسـتاذ الراشـد: أفعل هذا يا أخي، ولكن مثل هذه الولائم عند أهل القبائل لا تعترف بامتناعي، ويعدونها عدم رضا بطعامهم، فماذا نفعل؟!

وفـي ذات الجلسـة تحدث د. طـارق عن مهارات القائد، وأن صـفة الكرم ليست واجبة كما يقرر علم الإدارة الحديث، فقرر الأستاذ الراشد غير هذا من خلال وقائع التاريخ، وأحوال العرب التي يجيد أسانيدها ودلائلها.

ثم خرج الأسـتاذ الراشد يبشر بوعي متكامل في سيرة الدعوة، وجعل من أربابه أبا محمد، الدكتور طارق السويدان.

❊ ❊ ❊

علماء ومفكرون عاصرتهم (٧)

لا أدري على وجه الحقيقة كم عالماً ومفكراً جالستهم عدة مرَّات، وقرأت لهم، واستفدت من تجربتهم، وخالطتهم في عدة مواقف، إنهم كثير، وكثير جداً.

ولعل الصور التذكارية معهم تنم عن شيء من هذا، ولكني هنا أتحدث فقط عمن جالستهم طويلاً، وصحبتهم كثيراً، سفراً وحضراً، وخبرتهم وخبروني، ولهذا، فأنا أسجل هنا بعض الوقفات معهم، ذكراً للمودة والمحبة، وإشاعة لخيرهم، وعظيم جهدهم، ونبل أخلاقهم، وسمو تطلعاتهم، وجميل صحبتهم، ومنهم:

- الشيخ المبارك المحدث الورع، الرباني الصدوق: محمد الزعبي. وهو من أوائل من سمعت منه السيرة النبوية العطرة، والشمائل المحمدية للإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ، وكان درسه بعد صلاة الفجر في دمشق المحروسة.

  وكان له أسلوب ماتع في تدريس السيرة، يبدؤه بقراءة المنظومة ملحنة، ليحببها إلينا، ثم يقوم بالشرح.

  كان دائم الابتسامة، وضيئاً، وذا هيبة ووقار.

يمازح في الدرس دون الإخلال بآداب المجلس. ومن أهم صفاته الاحتواء للجميع، وعدم التعرض للشخصيات أو الهيئات، بل كان عفاً، يدرس السيرة عملياً لا نظرياً، ولذا لا زلت أحفظ طريقة آدائه وجميل ابتسامته، كما أحتفظ بعمق منهجه ودرسه، وإن مرَّ على هذه الدروس وصاحبها قرابة الثلاثين عاماً!

- ومن أجل الشيوخ وأكثرهم بركة ونوراً، شيخي الأجل: عبدالله الهندي، الذي قرأت عليه صحيح البخاري، وهو شيخ جليل، متقن متفنن، صاحب عبادة، ومبادرة لأداء الفرائض، والصدقة.

زاهد ورع، تراه فتغيب هموم الدنيا في مجلسه، ويحدثك حديث الكبار، بل والكبار جداً.

كان يقف عند إشكالات الحديث، ويتفنن في الشرح، والمناقشة والرد، وكثيراً ما يستشيرنا في المجلس، هل يسرع أم يبطئ، وعلى حسب حالنا كنا نطلبه إسراعاً أو إبطاءً!

وفي الحقيقة كان الاحتكاك به يتغلغل إلى كل أعماقي، فأحس بحياة التواضع في كل شيء، وإن كنت من داخلي عظيماً بما نلته.

لم تكن الإجازة عنده هدفاً لذاتها، بل كان يدعو لها مفخرة ومضياً على طريقة العلماء، ولكنه فوق ذلك كان يراقبنا في الدرس حضوراً واستيعاباً، ولا يمل من طول الدرس في خمس ساعات!

- ومن زمرة الشيوخ الربانيين والدعاة العاملين النادرين الداعية الشيخ: عبدالحميد البلالي، وهو نموذج للدعاة الذين يقولون ويفعلون، ويدققون في تفاصيل التربية، دون إفراط أو تفريط.

لا مجال هنا للتفصيل في مؤلفاته القيمة، فيكفيه إشادة كبار العلماء

والدعاة عنها، واعتماد بعضها كمقررات منهجية في الجامعات أو المعاهد البحثية الشرعية والتربوية، في كثير من الدول.

تفوح رائحة الطيبة، والأخلاق الندية، وتسيل العبارات التربوية والإيمانية منه بكل سلاسة وعفوية، ويقف عند بعض الملامح في حياة من يصاحبهم ليرقى بهم إيمانياً وتربوياً.

قد تسمع عن مواقف لمرتقين في مدارج السالكين وأخلاق الصحبة لدى السلف، ولا تعجب أن تتكرر في هذا الزمن، وأنت ترى الشيخ يطبقها عملياً.

بدأت قصتي الجميلة معه، وأنا أتابع عموده الشهير والنحيل والغني بالفائدة (وقفة تربوية)، بمجلة المجتمع الكويتية، وراسلته بالبريد ـ قبل عصر التكنولوجيا ـ لزيارتي في جدة إن سنحت له فرصة الزيارة للعمرة، وهو لا يعرفني.

بدأتُ المراسلة لمجلة المجتمع في مقالات تربوية عدة، وكان هو المشرف على الصفحة التربوية، فنشر لي العديد من المقالات والسلاسل القصيرة، وعرفني من خلال كتاباتي التي راقت له، ولم أكن أعرف أنه محتفظ برسالتي التي فيها عنواني لأجلٍ ما.

وفي يوم من الأيام وبعد عودتي من مقر عملي بالجامعة، أخبرتني والدتي بأني شخصاً اسمه عبدالحميد البلالي، اتصل بي، ويسأل عني، وهو في مكة المكرمة، دون أن يذكر مقر الإقامة بالتحديد، أو دون أن تسجل أمي ذلك، لا أتذكر.

توجهت إلى الحرم المكي الشريف للقائه من غير معرفة العنوان، وصليت في الحرم، وأخذت أنظر ذات اليمين والشمال قرب باب الملك عبدالعزيز،

لتوقعي أن يمر إلى الفنادق الأكثر والأشهر في ذلك الاتجاه.

وقد علم الله سبحانه وتعالى بنيتي، فهيَّأ اللقاء به.

فاجأت الشيخ بالسلام، وفرح به، وأخبرني عن سؤاله عني أكثر من مرة، كما أخبرته بذلك، ثم زاد عجبي أكثر أنه منذ قرابة الثلاثين عاماً يأتي لمكة وليس له فيها ولا في الحجاز صاحب واحد يزوره، أو طالب يلقاه، رغم شهرته في الأوساط التربوية والدعوية في كل المملكة. في لحظتها أخبرته بدعوتي للعشاء في داري وبصحبة جملة من أصدقاء الحي، فاستجاب لطلبي، وحضر عشاءي، ثم تنوعت الزيارات في بيوت بعض الأحبة في الحي.

وجد الشيخ ووجدت أن الحب في الله تعمق بيننا، وأن الشوق دائم، فصار لا يزور السعودية في السنة مرة أو مرتين إلا ويبات في منزلي، وصار له أحبة وصحبة غيري، ولكنهم من أحبابي وزملائي، وشاركنا بعضنا في رحلات، ومؤتمرات، ومشروعات، وأهم من ذلك المشاركة العائلية والوجدانية والنفسية.

وأشهد أني لم أر إنساناً من دعاة العصر يحافظ على الفرائض في جماعة، ويحزن على التأخر عنها، والالتزام بدقائق الأمور التربوية مثله.

حصل أن اجتمعنا في موقف طريف جداً أنا وهو في فندق (الحياة ريجنسي) بجدة، وأخبرته أن الشيخ سلمان العودة سيزور الفندق، ويرغب باللقاء به، ولم يكن قد التقى به قبل.

وتم اللقاء الجميل على رصيف جامعة الملك عبدالعزيز، وكان معي صديقي المهندس والمنشد المبدع: أسامة الصافي.

كانت في جلستنا فاكهة الرمان والبرشومي (الصبَّار الشوكي)، فأكلنا،

وحلَّق بنا أسامة في أناشيد الجمال وأسرار الحياة، حتى أطرب الشيخين بأنشـودة طلبتهـا منه، وكنـت قد سـمعتها وطربت لها أيـام تعرفي على أسامة في أمريكا، وهي أنشودة (أيها البلبل إنّا أخوان)!

- ولئن ذكرت هذا الشيخ آخراً، فلأن آخر ليلة قابلته فيها ليلة البارحة!

إنه داعية مخضـرم، وشيخ مبارك، عرف في الأوساط بواسطته في عمل الخير، وزادت محبتي له، عند سـماعي من والدي تعليقاً على محاضـرة سمعها في ديوانية ثقافية عند أحد الأطباء المعروفين لدى والدي، بقوله: إن هذا الشـيخ رجل ـ ولا نزكيه على الله ـ مخلص، فكلامه هادئ، ولكنه عميق ومؤثر.

وصدقاً ما قال، فأعماله أكثر من أقواله، ومصداقيته عندي عالية، وهذا سر بركته، وتوفيق الله له.

وثمـة أمـر آخـر، ألا وهـو اطلاعه الكبيـر علـى الثقافات، وسـبره لغور المشكلات، وحلها بطريقة أهل الخير والصلاح.

إنـه الداعيـة الكبير والمربي القدير والعلَم في وسـط العالم الإسـلامي، الشيخ الدكتور: علي بن عمر بادحدح.

رجل ميدان من الطراز الأول، ووقَّاف عند حدود الله، وجاد في المهمات، رغم صعوبة أعماله وكثرة أشغاله، وأهم من هذا إنصافه للجميع، وسكوته عنـد ذكـر أشـخاص أو مؤسسـات أو جماعات، بل وربما الـرد المهذب، والاعتراض الموثَّق، ممـا يدل على تشـربه لفقه الإنصـاف، بـل ربانية الأخلاق.

وماذا يريد المرء أكثر من صـحبة أهل المصـداقية والدلالة على أبوابٍ وليس باب واحد للخير؟

إن معاصــرتي لهذا الشـيخ متفاوتة، ولكنها مســتمرة، تتم في المآل عن وجـود رجـال مـن أهل العلـم والدعـوة، والحنكـة والتجربـة، تطمئنُّ أن بوجودهم إحياءً لسير الصالحين في عهدنا.

وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء.

❊ ❊ ❊

شــرطيّ في أزمـة الخليـج

سبحان اللّه كيف غيَّب اللّه عقل (صدام حسين) فغزا الكويت الحبيبة؟

وسبحان اللّه كيف ضـلَّ فكر بعض الدعاة فأيدوا صـداماً لدخول الكويت الغالية؟

وسبحان اللّه كيف صمت قوم يوم القبض عليه والحكم بإعدامه رغم كل جرائمه الجماعية الفاجرة؟

بـدأت أزمة الخليج (احتلال الكويت) فـي محرم عام (١٤١١هـ)، كما هو معلوم. كنت مع أصدقائي في رحلة صيفية لمدينة الطائف. وأبلغنا أحد الأسـاتذة وكان يسـتمع للإذاعة بالخبـر. فطلب منا أن نسـتعد للعودة إلى جدة.

وكنا كل يوم نسمع الإذاعة، ونتابع الأخبار ونحللها.

لقد كان شـباب الصـحوة أو الدعوة على درجة مـن الوعي ومعرفة الواقع إذن!

بدأنـا فـي حينا (حي الأمير فواز) برنامجاً من داخل المسـجد للحفاظ على المجتمع والوطن، **وهذه رسـالة لكل مسـؤول**: أنه إذا جدَّ الجد فشـباب

الخيـر والدعـوة أول الفرسـان لخدمـة المجتمـع والوطـن، دون أي مقابل أو شعارات.

كانت الطريقة أن الشيخ البطل (محمود باحاذق) يقوم بعد صلاة العصر كل يوم، ويذكر للمصلين برنامج العمل التطوعي لخدمة الوطن من خلال الحي الذي نسكن فيه بالتعاون مع جهاز الشرطة.

وبدأنا بحصـر السـيارات في الحي، ووضـع (ستيكرات) خاصـة، وبشعار خاص، وتبرع صاحب مكتبة (الواحة) بالتصوير مجاناً لكافة المستندات.

ثم توزيع الشـباب، من داخل تحفيظ القرآن الكريم ومن خارجه، أشـكالاً وألوانـاً، وتوزيعهـم على دوريـات للمتابعة والمراقبة الأمنية، ثم يأخذ الشـباب أجهزة (اللاسلكي) ويعرفوا مناطق التحرك، والكنترول هو ساحة المسجد!

لقد كانت تجربة مميزة ورائعة أثبتت أن شباب الدعوة وعموم الشباب في خدمة دينهم وأمتهم، ومجتمعهم ووطنهم.

وقد حدث شاهد معاصر بهر الناس، عندما أغرقت السيول مدينة جدة في يوم ١٤٣٠/١٢/٨هـ، إذ بادر الشباب والبنات بالمئات للعمل التطوعي، ورأيتهم في ساحات المعارض يقدمون التبرعات العينية للمحتاجين.

رأيت مجموعات الشـباب الذين خرجوا من المساجد (من حلقات تحفيظ القرآن وسواها)، والشباب الذين دُعوا عن طريق (الفيس بوك وسواها).

الكل يعمل لهدف نبيل وخدمة إنسانية يرجو بها الثواب من الله تعالى.

وحصل موقف طريف أيام أزمة الكويت يدل على تخلفنا العسكري!

كنـت أثناء ضـرب مدينة الرياض بالصـاروخ في (شـارع كيلو ٧) بمدينة جـدة، وهـي منطقـة تحركنـا، أو محيـط الدائرة الذي نـدور فيه بالسـيارات للمراقبة.

وعنـد سـماع الخبـر، كنت في سـيارة الشـيخ (محمود باحاذق) مسـؤول الوردية، للتجمع عند سـاحة المسـجد، ولما وصـلنا لم نجد أحداً من الشباب البالغ عددهم بالعشرات.

والسـبب أنه عند سـماع الخبر خاف الجميع، وخاف عليهم أهلهم، ولجأوا إلى بيوتهم خوفاً من أي صاروخ!

وفـي مسـاء اليوم التالي قـال لهم الشـيخ محمود: لمـاذا التقينا، وما هو دورنا؟

أليس دورنا في فترات الحاجة والضـرورة لنعرف كيف نسـاعد الناس إذا حصلت مشكلة، أو احتاج أحدهم لمساعدة؟!

فاستوعب الشباب هذا الدرس جيداً.

ومثـل ذلـك قصـة طريفة للغايـة، وهي في فترة (أزمـة الكويت ١٤١١هـ) عندمـا كان هنـاك تدريـب تطوعي فـي بعض الميادين العسـكرية، وكان من الطُّرف أن المسؤول عن تدريب الحضور في الجري والهرولة باللباس العسكري، لديه كرسي في الوسط، يصرخ وهو جالس عليه: اجري يا ولد، واحد اثنين يا ولد!!

باختصار لدينا تخمة وترف زائد ولياقة ضعيفة، لا تنفع في العمل التطوعي فضلاً عن العمل الجاد وقت الأزمة، وهي أزمة في ذاتها تحتاج إلى تدريب جاد مثل مصر وسوريا وسواها، لمن يفكر في الاستعداد.

وعلى نفس الصعيد أتذكر أننا زرنا مدينة أبها صيفاً، وزارنا العالم الجليل الشـيخ الدكتور: عبدالله المصلـح، وكان مرتدياً لباس الجندي المتطوع، وتكلم في مسجد فرع جامعة الإمام محمد بن سعود بأبها، عن أهمية العمل التطوعي وأثره في خدمة الدين والوطن.

وكانت هذه المحاضـرة التي لم تنشـر نموذجاً لوعي العلماء قديماً بأهمية الـولاء للوطـن الـذي لا يتعارض أبداً مع الدين. فالقضـية كانت واضـحة لدى العلماء وضوح الشمس، ولو كان الإعلام الإسلامي حاضراً وقتها لأبرزها، ولكنه وللأسـف لا ينشـط كثيراً في مثل هذه الفنون وتوظيفها علـى حقيقتها توظيفاً مشرِّفاً!

❊ ❊ ❊

فلسفتي في الجمـــال

حصـل لي موقف طريف مع الأخ المهندس عبدالجليل الأنصــاري المدرب العالمــي المعــروف، والمبدع في شــأن برامج تحليل الشخصــية، ومنها: تحليل الشخصية عبر التوقيع الشخصي.

وأنا بالعموم مقتنع بما في هذه البرامج والدورات من نفع، وسبر، وتحليل، ونتائج بنسب ما، مع تحفظي بل واعتراضي على جوانب منها.

المهــم أن أخانــا الحبيب: عبدالجليل الأنصــاري، رغــب زيارتي في جدة، وبحكــم مهارتــه التدريبية وافق مشــكوراً على إلقاء دورة مجانيــة للعاملين في معهد (مكة المكرمة بجدة) الذي أشــرف عليــه، وبعدها نجلس لتناول الغداء، وتبادل الرأي.

وبعد الدورة وتناول الغداء، اقترح عليَّ أحد العاملين في المعهد، أن أهديه بعض إصدارتي المقروأة، وقال لي: لو قدمتها له، وهذا ما حصل.

وأظنكم فهمتم المقلب!

لقــد أراد هــذا الأخ أن أوقــع في نهايــة إهدائي للأخ عبدالجليــل، ليبادره بالسؤال: عن تحليل شخصيتي من خلال توقيعي!

وفعلاً تمت العملية، ومر الأمر بسلام، وأجابه الأخ عبدالجليل بثلاث أمور في شخصيتي من خلال التوقيع، وما يهمني هنا، قوله: أنني مهتم بالذوق كثيراً، وحريص عليه، وترتفع قيمته عندي بشكل عالٍ.

والحقيقة أنه صدق فيما قال، ولم يبعد عن الواقع، وإن كان التحليل صعباً.

ومنذ أن قرأت باهتمام السيرة النبوية، وتأملت دقائقها، وأكرمني المولى بإلقاء الدروس المتواصلة فيها، والسعي لإخراج (الموسوعة النبوية في السيرة الموضوعية) التي آمل أن تخرج قريباً ـ بإذن الله ـ في عدة مجلدات، وكذا كتابي (فقه التدين) الذي وضعت فصلاً مهماً فيه عن الجمال، ومثله رسالتي (من وحي الجمال)، ضمن سلسلة (نحو ثقافة أصيلة)، ومع القراءة في كتب الدعاة المربين ومخالطة أرباب الأخلاق الندية، زادني كل ذلك حباً في الجمال وأهله، وعمقاً في قيمته وفلسفته.

وأقول: إنني وبعد هذه المطالعات المستمرة أدركت منهج الإسلام في الجمال، ونظرته الرائعة لآفاقه الرحبة.

الجمال .. جمال الكلام، حيث اختيار العبارات اللائقة، والألفاظ الحسنة، المعبِّرة عن مكنونات النفس من الاحترام والود.

الجمال .. في العفو والرحمة، والمسامحة، والمساهلة.

الجمال .. في الشرف، والفضيلة، والحرية.

الجمال .. في الطهارة، والأناقة، والنظافة، والترتيب، والتنظيم.

الجمال .. في المتعة البريئة، والسهرة الجميلة، واللقاءات المؤنسة.

الجمال .. في الإحسان، والعطاء، والنجاح، والإنجاز.

الجمال .. في الحب، والمشاعر، والإحساس بالرضا.

الجمال .. في الكون، بكل ما فيه، من خفق الطير، وحفيف الورق، وحركة الموج.

الجمال .. في الصداقة، والعلاقة، والصدق.

ومن آفاق الجمال هذه، أتلمس ما حولي.

أحب أن أرى الغرفة جميلة نظيفة، وأحب أن أرى مكتبي مرتباً جميلاً، وأحب أن أرى سيارتي وملابسي ومكان جلوسي وتمشيتي جميلاً، لا أحب أن أرى ورقة مرماة، أو أن أشم رائحة مؤذية، أو أن أسمع عبارة منفرة، لا أحب الأنانية، ولا الظلم، ولا التأخر، ولا الضعف!

لا أحب ذلك، لأن ذلك كله ليس جميلاً!

ولأني أعشق الجمال، أعشق الأشعار، والأطيار، والأنسام الطاهرة.

ولا يمكن أن أحب الجمال المغشوش أو المزيف أو المكشوف!

فلسفتي في الجمال ما قاله النبي ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال.

الله .. الله .. إنه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، حتى في الملبس، والعطور الزاكية، بل وأن يكون النعل حسناً!

فلسفتي في الجمال .. ما قاله النبي ﷺ: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

فليس التجمل بأخذ الحقوق، والاستدانة وتعطيل مطالب الناس!

ليس الجمال في التمظهر، والتعالي، والتأنق المجروح!

ذلك التأنق الذي يخفي الجراح من الباطن، ويلف الظاهر بجمال مخفي!

إنني أحب أن أكون وسطاً في ملابسي، في مأكلي، في مشربي، في بيتي، في مكتبي، أمام الصغير والكبير، والوجيه والوضيع.

إنني أحب في كل منشأة أديرها، أن أسأل عن الطريق الجميل المؤدي لها،

وجمال غرفها، وجمال وسائلها، بل أسأل عن الصغيرة والكبيرة فيها، فنحن لابد أن نكون نواة الجمال، ونماذج الجمال.

أحب الجمال المتناسق، ولباس لكل حالة لبوسها، فالمنبر له لباسه، والرياضة لها لباسها، ولكل سفرة لباسها، ألبس ما أباح الله، وأفهم واقعي باعتدال، دون تجاوز، أو إهمال للمقبول والجميل.

إنني أحب أن أبعث الجمال الداخلي، الحب الداخلي، الذي يمنحني المصداقية، والعلاقة الطيبة، والوشائج الحسنة مع الآخرين.

وأجمل ما في الحياة، جمال الأم، وجمال الطفل، وجمال اليتيم ..

ثم الجمال الخفي، جمال السريرة، وجمال المرأة العفيفة.

صدقوني أنني عندما أقرأ في كتب الهدي النبوي والآداب، في طريقة الأكل، والشرب، وأذكار النوم، ورؤية صاحب العاهة، وغيرها، أقول في نفسي: كم هذا الدين جميل.

عندما أقرأ الشعر، وأتذوق روائعه، أقول: ما أجمل هذه اللغة المعجزة.

وعندما أقرأ كلام الله ليلاً، أقول: ما أجمل العيش مع الله.

وإنني لم أزل أعاهد نفسي أن أتحلى بالجمال ظاهراً وباطناً ما استطعت لأني أحب الله، والله الذي أحبه، ليس جميلاً فحسب، بل إنه يحب الجمال.

❊ ❊ ❊

فلسفتي في الفن

منذ طفولتي وأنا أحب التفنن في الأشياء.

أحب اللعب بالكرة بطريقة (الحريفة)، وأحب بناء البيوت الصغيرة بالتراب الرملي الذي كنا نسميه (البطحة)، وأحب الخط الجميل وأستمتع بالنظر فيه، وأحب صنع الأشكال بواسطة الثلوج التي كانت تغطي البستان المجاور لمنزلنا في الشتاء.

درست (السلم الموسيقي) كمادة مقررة في الدراسة بدمشق، ولكني لم أمارس الغناء والضرب بالمعازف، وإن كانت المادة تتطلب مهارة أولية في ضرب آلات البيانو والناي، ولكن الله صرفني عن الميل لها، مع علمي ودراستي لصناعتها وفنها!

سمعت الإنشاد العف من المتصوفة السنيين، الذين كانوا ينشدون أبياتاً مختارة للبوصيري بعد كل درس فجر في الشمائل المحمدية، من شهر رمضان، والذي كان يلقيه علينا شيخنا العلامة المحقق محمد الزعبي.

كنت أستمتع بالفن، وأرى أنه من جميل صنع الله، وإبداع خلقه.

الجمال فن، والصوت فن، والخط فن، والخطابة فن، والخلق فن، والقيادة فن!

إنها مواهب يهبها الباري جل جلاله للمتعة الحلال.

و(الفن) هو البوابة الأجمل والأسهل التي تفتح باب التأمل والتآخي والتفاعل والإبداع.

لقد عشت الفن وأحببته، وصار جزءً لا يتجزأ من لمسات حياتي، يوم فهمت الفن بألوانه المختلفة، وأنه ليس مجرد وسيلة، أو تسلية، بل هو نشاط إنشاني متجدد ومستمر.

الفن في الكلام، والفن في التأثير، والفن في التخطيط، والفن في السماع، والفن في الإبداع، والفن في العطاء.

وصار الفن شريكاً لي في بلورة الصورة الإنسانية التي تحفز على الفضائل، وتنبهها من الغوائل، وترفرف بها إلى رحاب الجمال واللطف.

لم تكن فكرة الفن عندي مجرد أنغام، أو بدائل صوتية، أو معارض أو مهرجانات للتحفيز فحسب، بل هي فلسفة إنسانية، تتعلق بالتهذيب، والتعبير عن الحياة بكل تفاصيلها وتقلُّب أوراقها!

وفتحتُ أبواب الفن، وفُتح عليَّ فيه..

فقد أنشأت بفضل الله أول رابطة للفن الإسلامي العالمية بالتعاون مع نخبة من المهتمين بالفن، وفي مقدمتهم أخي الحبيب: محمد أبو راتب، والدكتور سامي قمبر، والأستاذ أسامة الصافي، والأستاذ سمير البشيري، والأستاذ علي العنزي، والأستاذ شاكر الشهري.

وكان من بركات الرابطة جائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي، كما كان من بركاتها عشرات المهرجانات الدولية والمحلية والعربية، وكان من بركاتها كذلك قناة فور شباب التي صارت قبلة لأولي الفن ومبدعيه، وقلَّ أن تُعرف موهبة ندية إلا وللقناة دور في إخراجها.

كما أن من بركاتها الإصدارات العلمية المقروءة، والمؤتمرات الدولية، والدورات التدريبية، وكل عطائها مثبت منشور، ومسجل منظور.

وقد دافعت عن الفن الأصيل والهادف، بل ساهمت ـ بكرم الله ـ ليكون أساساً وقبلة لمن أراد أن يسمع أو يتغنى بالجميل في العصر الحديث.

ولأن رابطة الفن كان من أهدافها التأصيل، فقد شرعت بكتابة بحوث في الفن خاصة، بذلت جهوداً كبيرة لإخراجها في أتقن صورة، وأبهى حلة، وأميز صنعة.

فكانت كتاباتي بالترتيب: (النشيد الإسلامي.. نشأته ووظيفته.. أحكامه وضوابطه)، ثم كتابي (الفن المعاصر.. صوره وآثاره.. فلسفته وأحكامه)، ثم كتابي (الفن والفكر)، وبحوث تتراكم تحسمها الأقدار بإذن الله.

بل إن اللمسات النهائية لأكاديمية الفن، التابعة لرابطة الفن الإسلامي العالمية، كادت أن ترى النور، لولا أقدار سابقة، وظروف قاهرة.

فالإعلان الأول كان موعده قبل أحداث (١١ سبتمبر) بإسبوعين، والموعد الثاني كان قبل اعتقال أخي رئيس الرابطة (أبو راتب) ظلماً بشهرين!

وفي كل ما جرى حكم جارية، لكن النيات باقية، والعزائم ماضية.

هذا وإنني لأذهب في عالم الفن إلى أبعد من النشيد ومهرجاناته ودوائره وجوائزه، إلى عوالم أخرى كالرسم والتصوير والتمثيل والعمارة والخيال ممتثلاً حكمة الفيلسوف الشهير (غاستون باشلار): «إن المعرفة محددة، أما الخيال فإنه يطوق العالم».

وأنشأت مسابقة (نادي القلم) للعناية بالرسوم، وتابعت بنفسي العديد من المسرحيات والتمثيليات ذات الأرقام المالية الكبيرة لإخراجها بأحسن جودة، وأبدع فكرة، وأمتع صورة.

وقل مثل ذلك (مركز وكافيه فور شباب)، ومتابعتي الدقيقة لتفاصيل بنائه وهندسة أشكاله، بل وألوان أثاثه، وتوزيع أدواره.

ورغم كل ذلك فإن موضوع الفن زرع فيَّ جوانب إيجابية، وأثار فيَّ شجوناً محزنة.

وأبدأ بالمحزن لنختم الحديث بالمفرح..

أما المحزن فهو يتعلق بنفسيات بعض المهتمين بالفن الهادف، ورغبتهم الملحة والسريعة أن يكونوا من أرباب عالمه، وأن يشار إليهم بالبنان، كالقارئ حسن الصوت، ولكنه بلا تجويد.

ومثلهم العجل الذي يخرج أعماله بآلات أسميها (صحون)، لا (دفوف)، وكذا الذين خاضوا في المعازف لدرجة اختفاء موهبتهم الصوتية، أو تسترهم بالعيوب تحتها.

ووجدت أن من أرباب الفن الهادف، من يحمل همَّ وجود البديل النافع، ولكنه لا يحمل مقومات ما يدعو إليه، من أصالة في جوانب دينية ودنيوية.

وأحزن لهؤلاء الذين يريدون تقليد أصحاب الفن الهابط، ظناً منهم الرغبة في توسع جماهيريتهم، والتأثير في عصرهم.

وعندي أن جملة من هؤلاء غيَّبوا جمال الأغنية الهادفة، وتحولوا إلى فناني مسرح، تسقط أوراقهم كما تسقط ورقة التوت، إذا أنشدوا في مجلس، أو منتدى أخوي جميل.

وأما عما علمني الفن..؟

فقد علمني التهذيب، والرشاقة النفسية، والانسجام مع الحياة، والاعتدال في المطالب، والتخفيف من الضغوط، والاستمتاع بالجمال.

❊ ❊ ❊

محــاولات فــاشـــلة

قد يبدو من الصعب، بل من الصعب جداً، أن يحدث الإنسان نفسه، فضلاً عن غيره بأعمال فشل فيها، ومشاريع تعثر في أولها أو آخرها!

لكني وجدت من هداية القرآن أنه يصرح ويعرِّض بمواقف عدة كانت نتائج الوقوع فيها أليمة، بل إلى فوق درجة الألم!

إنني في هذا المقام لن أصغي لنصائح بعض المدربين الإداريين الذين قد أصـيبوا (بوسوسـة) النجاح، وكأن الفشـل لا مجال للوقوع فيه، وأنه لا بد وأن يتحول لنجاح!

كما لن أتتلمذ على نصــائح بعض التربويـين، الذين يعتقدون أن التعريض بالخطأ، تحرش بمقامات الستر، أو أنه يعطي ذريعة للمجاهرة!

فأنا ـ وأعوذ بالله من أنا ـ لن أجاهر، ولن أدَّعي الكمال...

ولا مانع أن أصرح، فأقول:

- فشلت أن أكون شاعراً مطبوعاً، وإن كنت أقول الشعر بندرة، وأتذوق فنونه، وأسـتطرب جنونـه، وأحفظ أملحه وأغناه، وأعشـق أبدعـه وأحلاه، ولربما

وجدت أن الفشــل خير لي عندما أقرأ وأسمع لمن يقال عنهم شعراء، وما هم بشعراء، ولكن لا يعلمون!

- فشلت أن أكون طبيباً، وإن خضت دروبه في السنة الأولى، وحلمت بمساعدة الناس، وتخفيف آلامهم، والفرح برؤية ابتسامة عافيتهم، ولكني وجدت أن الفشــل خيــر لي، فما عدت أطيق الصــبر أجمع اليوم فــي مهنة محدودة، و(شِفتات) متتابعة، وأن أغيب عن الحياة والمعارف!
- فشلت أن أداري طويلاً، وأن أتجرع المر، وأن أتحمل التجاوز، ولكني وجدت أن الفشــل خير لي، فقد أحببت المصارحة والوضوح، وقول الحق والبحث عــن الحقيقة ولو في قوالب (كوميدية)، وذقت ثمن الحرية والحقيقة، فما عاد هناك شــيء أبعد مما وجدت، ولا ثمة شــيء صرت أفكر فيه أكثر مما لاقيت!
- فشــلت أن أرضي الجميع، وأن أســاعد الجميع، وأن أستمع للجميع، ولكني وجدت أن الفشــل خير لي، فإرضــاء الجميع محال، ومكسب الجميع خبال، والانشــغال بالجميع تهور، والقدرة على التوازن في حياتي بين قول (نعم) و(لا) تطور!
- فشلت أن أصطف مع (الرسميين) و(الشعبيين) و(الدهماء) و(النخبويين)، ووجدت أن الفشل خير لي، فما عدت أفكر إلا فيما يرضي ربي ثم يرضي ضــميري، وصــرت أبحث عما أحســن وأجيد، وما ينفع ويفيد، فوجدت أن مكسبي نال القريب والبعيد، ومن بعُدت عنه ومن دعاني بالحبيب!

❊ ❊ ❊

يـــومـي

أُحسُّ أن الجواب عن هذا السؤال يكلفني كثيراً من الحراك النفسي.

إننـي أتحـدث هنا عن العمر، عن رأس مال المرء، فكيف لا يكون الحديث عنه صعباً؟

إن أكثر سـؤال يلحُّ عليَّ كل يوم، في سـيارتي، في جلستي، في مكتبي، في مكتبتي، قبل نومي، ماذا عملت اليوم؟

أحاول أن لا أطيل التفكير، وأبادر مباشرة بالعمل المطلوب إنجازه. أخاف أن يمرَّ الوقت بلا عمل في وجهه الصحيح.

الحقيقة أن هذا السـؤال كان يلحُّ عليَّ منذ فترة طويلة، وطويلة جداً، لعل عامـل التربية المحافظة في البيت، والجو العائلي المتدين، وقراءاتي المتقدمة في كتب السلوك ، وتلمذتي على يد عدد من الزهاد، قوَّت فيَّ هذا الجاني من التفكير.

ورغم أن هذا الموضوع (الوقت) ضغط عليَّ مبكراً، إلا أن عامل الإنسانية أيضـاً ظل ضـاغطاً، فارتباك الأولويات، وتفاوت القرارات، كان موجوداً بشـكل متفاوت، نتيجة عامل السن والمرحلة.

ومع مرور الأيام، والزحف إلى سنِّ الأربعين، تبدأ خلايا الإنسان، وهرموناته تتحرك نحو مستوى من التفكير لا يلح كثيراً على الشباب!

لا أقصد طبعاً أنني بعيد عن مرحلة الشباب، ولكن الحقيقة تقول: أن كل عقد ومرحلة من الزمان تصرف المرء عن أشياء، وتدفعه نحو أشياء!

نعم لم يكن الأمر باختياري، ولكن هذه هي طبيعة النفس، ومثال ذلك مراحل الدراسة.

إن الواحد منا إذا تخرج من المرحلة الابتدائية يرى نفسه قد خرج من مرحلة الطفولة بمجرد استلام الشهادة، ويبدأ بسماع عبارات: أنت كبرت!

إنه لم يكن بين لحظات الطفولة والخروج منها، والسماح بعبثها سوى لحظات، وتقديم ورقة تثبت صك الخروج!

وهكذا عندما يتخرج من المتوسطة إلى الثانوية، يقال له: أنت الآن تختار تخصصك بنفسك، وصرت مسؤولاً عن مستقبلك، وهكذا تتضاعف هذه المعاني عبر الأجيال.

وإذا وصل إلى الجامعة فالكل يقول له: أنت حر قراراتك.

إن هذه المعاني ليس بالضرورة أن تكون ضاغطة من قبل الأهل أو المجتمع، بل هي ضاغطة من نفس الإنسان، ومن أعماق داخله.

أستطيع أن أقول: إنني قررت وضع جدولي بعد ممارسات كثيرة وقرارات جريئة، ومسار واضح.

ودعوني أقف عند هذا السطر الأخير، فإنه من الأهمية بمكان.

إنه لا يستطيع الواحد منا برمجة وقته مالم يكن محدِّداً لمسار حياته.

هذه هي القاعدة الذهبية...

بمعنى إنه إذا لم يكن للواحد منا خبرة جيدة، وفهم واضح للحياة، وممارسة حقيقية للعمل، وتربية مؤصلة، فلن يستطيع الاتجاه بقوة نحو ما يريد، واستثمار الوقت للنجاح.

هذه خلاصة تجربة أربعة عقود، وليس مجرد موعظة.

التربية الأصيلة على العمل، والتفكير فيه، وتجربة الأولويات، والاحتكاك ببيئة عمل جادة، كل ذلك يؤدي بالإنسان نحو المسار الصحيح.

ودوننا تجارب كثير من الشباب الناجحين في المؤسسات الخاصة، وهم في وسط العشرين ودون الأربعين.

ما تفسير نجاحهم إلا ما ذكرت.

وهذا يعني أن شباب اليوم عليهم أن يتعلموا هذه المهارات الأساسية ليستفيدوا من عمرهم.

وأعود إلى حالي ـ عفا الله عني ـ ..

أعتقد أن تجربتي ـ مما أكرمني به ربي ـ كانت ثرية.

فقد سافرت منذ الطفولة للعديد من البلدان، وكبرت وقد ذهبت وأنا دون الأربعين إلى كل قارات العالم.

قابلت مئات الشخصيات المهمة والمؤثرة في عالمنا العربي والإسلامي، على اختلاف طبقاتهم وتخصصاتهم.

جربت الخطابة، والإمامة، والتدريس للصغار في الابتدائية، والكبار في الجامعة، وأسست مؤسسات وشركات ومنظمات.

شاركت في الإعلام وأسست مشروعات في كل مساراته (المقروء، المنظور، المسموع).

تكلمت للملايين إعلامياً، وللآلاف خطابياً، ولعشرات الآلاف تأليفاً، ...

شاركت في عشــرات المؤتمرات العالمية والدولية، والمهرجانات، واللجان، والمجالس...

ألَّفت خمسين كتاباً في التخصص، وفي مجالات الحياة المختلفة ..

عملـت فـي ظلال الحكومـة مديراً ومـداراً، وفي ظل العمـل الخاص، وفي ألوان مختلفة من العمل الخيري، والنشاط الدعوي، و ....

جربت الانطلاق في ســاحات الحياة باحثاً عن الحرية، وقُيدت عن الحرية في السجن أكثر من مرة ظلماً!

وبعد هذه الخلطة قررت وضع جدولي.

لا أريـد أن أقـول للشـباب لابد لكم من كل هذه التجـارب لتختاروا ترتيب جدولكـم، لا، ولكني أقول بالإمكان أن يختصــروا أوقاتهـم، ويتخذوا قراراتهم بشكل صحيح.

ولذا أدعوا الله لا شـعورياً لكل من أسـمع وأرى أنه يقـدم دورات للإنجاز وإدارة الوقت والذات، وهو مؤهل لذلك!

لعـل في ما سأصــارحكم به هنا، ما يبعث التفكيـر على طريقتي في إدارة الوقت، وإن كانت العفوية تتخللها بهدوء وسماحة.

أبـدأ يومـي ـ بفضـل الله ـ بصـلاة الفجر، ويلهمنـي ربي أن أتذكـر غالباً دعاء النبي ﷺ: الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور.

والحقيقة أنني أقف عند الفقرة الأخيرة من الدعاء (وإليه النشور) متذكراً النيـة، والجـد في العمل، لأنني لا أستشـعر ما قبلها في الليـل، فأنا لا أنام إلا صباحاً في الأعم الأغلب.

أحرص دائماً على صلاة الفجر في جماعة، ولا تفوتني ـ بكرم اللّه ـ إلا لعارض، وهي عندي أولوية لا تقبل التراخي.

صلاة الفجر فوق أنها المحطة الأولى للسعادة النفسية، والتزود الإيماني، هي عندي الاستظلال برعاية اللّه، ولذا كثيراً ما أذهب إلى المسجد في الفجر فرحاً ومغتبطاً برعاية اللّه لي، لحديث: من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة اللّه.

أحياناً أكون إماماً في جامع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بجدة، تجديداً لحياة المحراب التي رافقتني عشرين عاماً، وأحياناً أخرى ـ وهذا الأغلب ـ عند إمام مسجد حينا الشيخ القارئ: عبدالعزيز خان، وهو مجاز في القرآن، وحافظ متقن، وصاحب صوت عذب وحاضر، وأعتقد أن بركة يومي تفتتح بسماع القرآن منه غضاً طرياً، خاصة أنه يحافظ على إسماع المصلين المصحف كاملاً طوال العام، لا مكرراً لمقاطع لا يتجاوزها!.

وبعد الأذكار، أذهب للمكتبة لقراءة الورد القرآني، والبدء ببرنامج القراءة الذي يفتتح بعلوم القرآن وتفسيره، وغالب القراءة تتركز في مشروعات قرآنية، وهذه الفترة أنا مشغول بكتابي: (تفسير النهضة)، والذي يتطلب مني وقتاً طويلاً للقراءة في أمهات الكتب، ثم ما يفتح اللّه عليَّ.

وبعد ذلك أتجه إلى كتب الحديث والوقوف عند شروحها وتسجيل ما أحتاج إلى سؤال العلماء عنه في دفتر خاص، وأنا هذه الفترة في تسجيل هذه الذكريات، مشغول بكتابي: (بدائع الفصول من جامع الأصول)، وهو وقفات تربوية وإيمانية من كتب الحديث الستة عدا ابن ماجة، التي جمعها في الكتاب الأحب إلى قلبي بعد القرآن (جامع الأصول) الإمام ابن الأثير ـ رحمه اللّه ـ.

وبعد ذلك أستمتع بالنظر في كتب الفقه والقواعد والأصول، بشكل منهجي مرتب، وهذه الفترة أنا مشغول بكتابي (الفقه المعاصر).

وهو ـ بإذن اللّه ـ أول كتاب يجمع بين الفقه الشرعي والفقه التربوي، مع تنظيم وتبويب، وجمع للمسائل المعاصرة، وخلاصة أهم ما قال الأئمة، وهو مشروع ضخم.

وهذه القراءات الثلاث (القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وعلومه)، دائمة القراءة كل يوم صباحاً، وهي بمجموعها لا تتجاوز من ثلاث إلى خمس ساعات يومياً.

وبعد ذلك أقرأ بشكل عام أهم الصحف وهي خمسة تصل إلى مكتبي، وأختار ما يهمني من موضوعات، وأضع علامات لوضعها في ملف بعد ذلك.

ثم أقوم بوضع ما كتبت في سلة الأوراق، لطباعتها لحين العودة من مرحلة النوم التي حان موعدها، وعادتي ألا أنام إلا إذا ثقل جسمي، وبدأت في التسريح!

ونومي العام قرابة خمس ساعات، أي إلى قرب الواحدة ظهراً، وهو موعد صلاة الظهر جماعة في مكتبي المجاور لبيتي.

أصلي الظهر، وأتفرغ لأعمالي العامة، من متابعة الأخبار في الإنترنت، والمرئي (التلفاز)، وهي لا تكلفني جهداً لأن الشاشتين الصغيرتين على يمين مكتبي، أتابع منهما ما يجري.

وهذا الوقت ـ ما بعد الظهر إلى قبيل العصر ـ مفتوح للزائرين، والاتصال بالمحبين، والاجتماع بالعاملين، كلٌ في تخصصه (الإعلامي، التجاري، ...).

فإذا ما حان العصر صلينا جماعة، ثم ذهبت للمنزل، للغداء مع والدتي، وهو غداء عندها مقدَّس، لا أتنازل عنه إلا نادراً.

وفي الوقت ذاته الجلوس مع الأهل والأبناء، ومعرفة الأحوال، والاستئناس بهم.

وبعد ذلك العودة للمكتبة للقراءة في الموضوعات العامة، وكتابة البحوث في المجالات المحددة الخارجة عن (التفسير، الحديث، الفقه)، أو القراءة للإعداد لمادة إعلامية، أو مقالات، أو دروس، أو ندوات، وسوى ذلك.

فإن كان هناك لقاءات أو مشاوير حياتية فأقضيها في هذه الفترة.

وبعد المغرب أجعله للاجتماعات غالباً، بشأن المشروعات الإعلامية، أو الخيرية، أو المعهد العلمي، أو الجامعة.

وبعد العشاء لا أحرص أبداً على استقبال أحد إلا ما يهم، والتفرغ أغلب الوقت للقراءة، وذلك لحين العودة للمنزل، والجلوس مع الوالدة والأهل، أو الذهاب بهم للعشاء في إحدى الأماكن، أو مشاهدة برامج مهمة ومفيدة معهم، ثم مزاولة الرياضة الأهم وهي المشي أو الهرولة لوقت محدد، وبعد ذلك أعود للقراءة إما في مكتبة البيت أو مكتبة المكتب، حسب الموضوع والحال، وذلك لحين وقت الفجر.

ولا شك أن اللحظات العفوية من اللقاءات والتمشيات ليلاً، تنال حظها، ولكنها خجولة نوعاً ما.

لعلني في هذه العجالة أكون قد أجبت من يسأل عن كيفية إنجاز الكتب المؤصلة، أو ذات الطابع الأدبي والتي تحتاج إلى (رواقة)، إضافة إلى متابعة الأعمال الحياتية، والمشروعات التجارية، والإعلامية، والتي يتطلب كل منها وقتاً إضافياً!

وإن كنت سأنسى فلن أنسى أن بركة الله، ودعاءه بالتوفيق هو سر آخر.

❋ ❋ ❋

مشروعاتي الإعلامية (١-٤)

في الأعم الأغلب أن من تعود على مواجهة الجماهير، وساعدته البيئة سواء في المدرسة أو البيت أو الحي أو المسجد، وأمثال ذلك، فإنه من السهولة أن ينتقل في نفس الوسط ولكن لمشروعات أكبر، ولشرائح أوسع.

فالصحفيون المميزون، الذين اعتادوا على التحقيقات، ومقابلة الشخصيات المؤثرة، وصنَّاع القرار، نجدهم إن امتلكوا موهبة الإلقاء، يقبلون مباشرة على حيِّز الإعلام المرئي.

وأنا بفضل اللّه، قدمت مئات الخطب والدروس الجماهيرية، بين الارتجال والإلقاء المكتوب، ولذا كان من اليسر الانتقال إلى البرامج الفضائية، مع الإيمان المطلق أن الموهبة الخطابية شيء، والتلفازية شيء آخر، لكنها مؤدية لها، ما امتلكت المهارات.

كان اهتمامي بالإعلام كهدف مبكر جداً، وكنت أتابع ظواهره بدقة، وأتحدث عنه وأنا في المتوسطة!

كنت أحلم بالحديث في الإذاعة، والكتابة في الصحافة، ولم يكن عندي هم ذاتي للإلقاء في التلفاز، لأن أغلب البرامج لم تكن مشجعة ومحفزة على ذلك!

في عصر الفضائيات تنامى هذا الاهتمام، وبدأت أول مشروعين فضائيين في سنة واحدة.

أحدهما ميداني شبابي، والآخر تثقيفي تربوي.

كنت مؤمناً تماماً أن النجاح يرتبط بالتدريب الجيد، والاختيار المناسب لفريق العمل.

أعتقد أن الله سبحانه وتعالى هداني لهذا التفكير والاتجاه إليه، والاقتناع به.

كان في داخلي إحساس يقول: لن أنجح مالم أمارس، ولكن الممارسة لن تكون دفعاً للأمام مهما كان فيها من أخطاء مالم تكن على يد مهرة، يضعون النقاط على الحروف.

لذلك أفرح كثيراً عند ذكر هذه التجربة، والبداية الموفقة، ولكن التطبيق منذ البداية لم يكن مرضياً من غيري في الأعم الأغلب لا مني!

وحتى نتخيل الصورة فأنا سأقدم برنامجين اثنين، الأول في قناة هادفة وهي السائدة آنذاك دينياً وفي رمضان، وكان ميدانياً في تركيا واليمن وماليزيا ومصر، وكانت تكلفة البرنامج عالية، حوالي (مليون ريال)، برعاية اثنين من الشركات، وعملت عقداً مع هذه القناة، مفصلاً في كل جوانب العمل.

كان حس العمل المتقن فوق أنه متغلغل في نفسي فهو كذلك سيتطلب قوة في مطلبي أثناء التجربة الأولى في عمل إعلامي مع أناس أتعامل معهم لأول مرة، وسيظهرون برنامجي للملايين من الناس.

بدأ التخطيط والإعداد، وكانت المحطة الأولى للسفر (تركيا)، فوجدت فريقاً جيداً في التصوير، بل فُتح عليَّ وفُتح لي لأول مرة في التاريخ كما قال مسؤول قصر الخلافة العثمانية، أن أصور كأول عربي برنامجاً بداخله، دون أن

يمنعني أحد، حتى أنني دخلت غرفة (أتاتورك) الذي وافته المنية التاسعة والربع كما تشير عقارب الساعة، وقلت: في هذا التوقيت ماتت فكرة العلمانية، وسيأتي التغيير!

لم يصدق حتى مدير فريق التصوير، وكان عربياً من فلسطين ما قلت، وما تيسير من إجراءات.

لكن مهما كانت الأمور في خيالي مميزة، إلا أنني لاحظت عدم وصول المخرج في الموعد، ولا مدير الإنتاج، فاتصلت بإدارة القناة الهادفة التي كانت ستبث البرنامج آنذاك، وأبلغتهم باجتهادي وخبرتي المتواضعة، ثم أخبرتهم بأنني بحاجة إلى تجهيز المونتاج سريعاً، والحقيقة أنني لم أجد تجاوباً يليق بقيمة العقد!

وأنا هنا أقول الحقيقة لتستفيد الأجيال، والحديث هنا ليس عن قناة هادفة، إنما عن بعض الأفراد الذين لم يعطوا البرنامج حقه، ولم يلتزموا بأصول المهنة!

لاحظت خطورة الوضع مبكراً، واستعملت جانب الحسم والحزم، فطلبت مخرجاً مميزاً من الأردن، هو الأخ (شحادة الدرابسة)، ومعه فريق العمل المتألق، ولأن القضية كانت تداركاً للوضع، طلبت أن أغير في نظام البرنامج، وأن أصور خمسة عشر حلقة في ماليزيا كمجموعة متكاملة أسميتها (الشوق إلى لقائك).

وأكرمنا الكريم سبحانه بأجواء رائعة، وإبداع في التصوير، رغم دخول المطر الكثيف لكمرتين، فاضطررنا لاستخدام كاميرا واحدة على نظام بعض الأفلام، وبذل المخرج شحادة جهوداً مضاعفة.

وهكذا خرج (مذكرات سائح١) في خمسة عشر حلقة، والشوق إلى لقائك

في خمسة عشر حلقة، ليكتمل عدد الحلقات إلى ثلاثين.

وتعلمت من التجربة الأولى: عدم التنازل في العمل الإعلامي لمن يحاول التهاون في أداء أي جزء، وأن الخطأ في جزء يؤثر على الكل، وهذا الذي تعلمته للأمانة ليس جديداً بل أكد فيَّ ما أنا مؤمن به ومقتنع بحقيقته مائة في المئة!

لقد رأيت تجاوزات لا منطقية من الكذب في الأعذار، والكذب في المواعيد، والكذب في الأرقام، والله المستعان.

والمهم أن البرنامج خرج بصورة جديدة في أول ظهور، يعتمد على التنقل والمعلومات المركزة والخفيفة.

وبعد النظر في الحلقات وجدت كما يقال (ضربات) ـ بلغة الإعلام ـ في مواضيع وأماكن مؤثرة، وتجاوباً كبيراً، كحلقة مسجد (سانكي يدم)، وقصر الخلافة التي بكى فيها أناس حدثوني عنها، وسواها.

وحلقات أخرى كانت تحتاج للمسات فنية وإخراجية، ورؤيا في الطرح، كان من المفترض أن يساعد عليها مدير الإنتاج الغائب!

وأعود للبرنامج الآخر وهو (الرسول والحياة)، وكان جديداً كذلك في فكرته، وغير مسبوق في طرحه، وهو ثلاثون حلقة مسجلة في استديو كبير، موضوعاتها (السيرة الموضوعية).

فأجمع أصح ما قيل عن الرسول ﷺ زوجاً، والرسول ﷺ أباً، والرسول ﷺ إنساناً، والرسول ﷺ جاراً، والرسول ﷺ أنيقاً، والرسول ﷺ مجاهداً، والرسول ﷺ معلماً، ... وهكذا.

وهذا البحث تتطلب جهداً كبيراً، وجمعاً صعباً من بطون الكتب، إذ لا يوجد كتاب تعتمد عليه، ولا باب في الحديث أو السيرة تتكأ عليه فقط.

وعلـى إيمانـي مـع أول تجربة سـجلت البرنامـج بإتقان مع شـركة الهدى بالقاهـرة، وللأمانـة فقد أعدوا كل مـا أريد، من تتر مميـز، أداه الزملاء في فرقة أمواج البحرين بطلب مني، وبديكور جميل وأنيق ولطيف، وبجمهور شبابي من كل الأعراق من الأزهر كما طلبت، لأني أود أن أتحدث عن السيرة وأثرها في جمع كل البلدان.

وخرج البرنامج رائعاً بفضل الله في مضمونه، وشكله، ووجدت ملحوظتان كان من المفترض أن ينبه عليها المخرج، ولم يحدث ذلك:

أولهما: أن الجمهور كان على اليمين والشمال، وهذا يقتضي مني الالتفات هنا وهناك من غير حساب مني، فقد يكون التنقل سريعاً أحياناً ويتأخر التقاط الكاميرا، فلا تظهر الصورة بالشكل المناسب.

وثانيهمـا: أنني كنت أتحدث مع الجمهور، ولم توضـع لهـم المايكات، ولم يجهزوا حسب الاتفاق بالتعليق.

ورغـم ذلك فرحـت بالنتيجة، حيث سـجلت بفضـل الله وكرمـه (ثلاثون حلقة)، كل حلقة (نصف ساعة) في موضوعات مختلفة في ثلاثة أيام!

والسـر هو توفيـق الله، ثم إعـدادي الجيد للمـادة، وحفظـي لمحتوياتها، وتركيزي على الأداء.

ولعل السر الأهل هو موضوع البرنامج (الرسول والحياة)، فالبركة تحل إن شـاء الله، كما أخبر الأخ المميز الدكتور (نبيل حماد) أن موضـوعات السـيرة تنال قبولاً وبركة في الأوساط، وتنال بركتها من بركة المُتحدث عنه.

ولأن العمـل الإعلامـي لا يكتمـل عطاؤه، ولا تنضـج ثمرتـه إلا بتعب، فقد رفضـت إدارة قنـاة المجـد التي تم الاتفـاق معها على بـث البرنامج، وتحفظ رئيسها، بعد طلب نائبه مني إعداد البرنامج وتحديد توقيت بثه!

وبعد مجادلات طويلة، ومعارك حقيقية، رأيت البرنامج بعد أن أخرجته من حسبتي، في قناة المجد العلمية بعد المغرب في رمضان، كما أخبرني صديق برسالة جوال!

وتأكدت من نائب رئيس قناة المجد، ورئيسها الحالي الشيخ (حمد الغماس) أنه عمل المستحيل لأجل ذلك.

وهذا الأمر أكَّد فيَّ مرة أخرى، أن من أراد الدخول في عالم الإعلام الفضائي، فعليه أن يتذرع بالصبر والوضوح، وأن يتهيَّأ لبرنامجه بالشكل الكافي، وأنا قلت (يتهيَّأ) أي: نفسياً ووقتياً، وأن يتابع عمله من البداية حتى النهاية، بما تحمله هذه الكلمة من معنى، وإلا فلا يصدعنَّ رأسه، ويفقد أعصابه، ويرفع ضغطه!

❊ ❊ ❊

مشروعاتي الإعلامية (٢-٤)

لو لاحظتم أنني في السنة الأولى من عملي الإعلامي الفضائي قدمت برنامجين، وكل منهما يقتضي بذل جهد كبير، ومع ذلك تهيأت له مبكراً والحمد لله.

ومن تأمل وجد أنني أركز في عملي الإعلامي على برنامج يهم عموم الناس والشباب خصوصاً، ويميل إلى الرشاقة والخفة وضغط المعلومة، وهي فكرة هداني الله إليها، وإن كانت متعبة لأنها تقتضي السفر لحوالي عشر دول في قارات الدنيا في السنة، وإذا كان السفر قطعة من عذاب، فلكم أن تضربوا العذاب بعشرة، بل بعشرين ذهاباً وإياباً!

والبرنامج الثاني أجعله للعامة وهو تثقيفي.

والحقيقة أن طرح البرنامجين نابع من شخصيتي وتكويني، فأنا أحب الشباب، ومشروعهم هو عملي الحالي والمستقبلي، والطرح المناسب لهم يقتضي أسلوباً مغايراً، ثم طرح للعامة وجملة المثقفين وهذا يقتضي بسطاً وتركيزاً، وكسواً للحم!

وفي السنة الثانية مضيت على ذات النسق، فقدمت (مذكرات سائح٢)، و(أسرار الغار).

أما مذكرات سائح فقد غيرت فريق البرنامج، وسلمته لشركة متخصصة ومميزة في مصر ، وقد نجحت نجاحاً كبيراً، ونقلت البرنامج نقلة أضخم، وبأقل من تكلفة السنة الأولى إلى حد الثلث، وبنفس عدد الدول!

ولاقى البرنامج في هذه النسخة تأثيراً كبيراً بفضل الله، وغدا واحداً من البرامج المميزة المهمة، رغم قصر التجربة الإعلامية الفضائية التي لا تتعدى سنة، كما تميز بجديده في نشر الحضارة، وربطها بواقعنا.

ورغم ذلك بقيت ثغرات في اللمسات الفنية والصوتية، تعود مشكلتها إلى الوعود، وعدم الوفاء بها! رغم التميز الكبير في جوانب مضيئة أخرى، وهذا للحقيقة والإنصاف.

وأما البرنامج الآخر فكان الوقوف عند آيات ومقاطع من القرآن، وتطبيق مشروع التدبر الذي أعلنته في بداية الحلقات، وكان تصويره جديداً، وفي مكان (تحفة) وظهرت فيه لمسات المبدعين، والمخرجين والمصورين، والفريق الذي أشرف على العمل، وعددهم: خمسون عاملاً!

لقد نجح البرنامج بفضل الله، في شكله ومضمونه، و(جرافكساته)، وأنشودة البداية والنهاية، ولربما لأول مرة يظهر برنامج ديني عن القرآن في أجواء طبيعية ساحرة.

وقد قاد دفَّة هذا العمل المخرج: إبراهيم حمودة، مدير قناة المحور (سابقاً)، وبإشراف الشيخ: وجدي غزاوي، مدير محطة الفجر القرآنية، والتي عرض فيها العمل أول مرة.

ثم توالت نسخ مذكرات سائح (٣) و(٤) و(٥)، وفي كل عام يرى المحبون

والمتابعون إضافات جديدة، ولمسات مميزة، وذلك بعد أن أصبحت أدير العمل بإشرافي، وبعد جلسات تفاهم مطولة مع جميع الفريق، من مصورين، ومخرج، ومونتير، ومصمم، وسواهم. وقد تابع الناس ذلك التطور ـ بفضل الله ـ من عام إلى عام.

كما استمرت برامجي الأخرى لعامة الناس وعموم المثقفين، ومن ذلك:

١ ـ **تفسير التدبر**: وأعرضه كتجربة جديدة، حيث أقوم بأخذ موضوع واحد في القرآن، مثل (المحبة في القرآن)، (أهل الكتاب في القرآن)، (الأطفال في القرآن)، وأتأمل نظرة القرآن الشمولية لهذا الموضوع، وقد صنعت فيه بكرم الله أسلوباً جديداً، ومن ذلك: حلقة (المرأة في القرآن)، ووقفت عند الآية الأولى من سورة المجادلة، وقلت: فيها أربعون فائدة ـ وكلها من تدبري ـ (بفضل الله)، وهي:

(قد): وهي للتحقيق، وأن الله إذا قال أمراً فقوله الحق، مما يقذف في قلوبنا الرضا والطمأنينة والخوف والرجاء...

(سمع): بالماضي، فعلم الله تعالى بنا، وسماعه لأقوالنا، لا يخفى عليه، ونحن ننسى والله لا ينسى صغيرة ولا كبيرة.

(قول): كلام المرأة ليس عورة، فهي تقول وتتكلم، والمرأة يجوز لها أن تخرج من بيتها لحاجتها، كما خرجت المجادلة، والمرأة يجوز لها أن تجلس إلى الرجل القاضي أو المفتي، والمرأة يجوز لها أن تقضي ما أهمها من حاجات الدنيا بنفسها.

(تجادلك): وهو فعل مضارع، وفيه صيغة الحوار والاستمرار، وما يقتضيه الحوار من بيان شأن المرأة وحالها وظروفها، وما يتطلبه من نقاش.

(في زوجها): وفيه أن المرأة تتكلم عن زوجها، وليس هذا بغيبة في عدم حضرته، وللعلماء كلام في أنواع الغيبة.

(وتشتكي): وفيه بيان عاطفة المرأة، وما يحصل لها من ظلم.

(إلى اللّه): وما للشكوى إلى اللّه من تفريج كرب، وسرعة استجابة، كما جاء البيان الرباني في حكمها سريعاً، ولو لم يجب النبي ﷺ عليها في أول الأمر.

(واللّه يسمع): وهنا بالفعل المضارع، وفي أول الآية (سمع)، وهذا بيان لتفصيل السماع واستشعاره بين النبي ﷺ والمرأة، لأن أم المؤمنين كانت ترى ولا تسمع.

(تحاوركما): فهنا حوار بين الرجل والمرأة، كل منهما يبدي رأيه وجوابه، وفيه بيان لمفهوم الاختلاط المذموم والمسموح.

ما مضى كان لقطات في وقفات تدبرية عند آية تحدثت عن المرأة في القرآن.

وهكذا أنظر إلى الآيات الأخرى التي تتحدث عن المرأة في القرآن وأتدبرها، لنعيش حقيقة النزول القرآني ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ومما أضاف جمالاً ومحبة للبرنامج تصويره في مسجد (محمد علي باشا) في منطقة القلعة، وهي أعلى منطقة بالقاهرة، والمسجد تحفة جمالية بديعة، إضافة إلى فن التصوير، بيد المبدع المخرج (إبراهيم حمودة) مرة أخرى.

وهنا نكرر سر توفيق اللّه، ثم حسن اختيار الفريق المناسب لكل برنامج.

٢- **أيام في المدينة**: وهو برنامج حبيب إلى قلبي، نشر في أكثر القنوات، وطبع أكثر من طبعة بعد إعداده كمؤلف مستقل، وكذا إخراجه في (أشرطة) و(سيديات) و(دي فيديات).

وهذا البرنامج الذي صورته في استديو شركة الهدى بالقاهرة، ركزت فيه على السيرة النبوية في المدينة، وكيف استطاع النبي ﷺ في عشر سنوات أن يجعلها أعظم مدينة، وأهلها أفضل البشر، رغم تباينهم في كثير من الأمور.

وانطلقت في البرنامج بذكر عشر معالم للنهوض في المجتمع النبوي، هي خلاصة ما تأملت في سر نهوض النبي ﷺ بالمدينة وأهلها، مع ذكر الشواهد والقصص الصحيحة والمشوقة، وهذه المعالم هي:

المعلم الأول: تحقيقُ الإخاء وحضارةُ البناء.

المعلمُ الثاني: الجمع بين مطالب الدنيا وأشواق الآخرة.

المعلم الثالث: العناية بالمظهر وصلاح المخبر.

المعلم الرابع: الإيمان بشمولية العقيدة والعبادة.

المعلمُ الخامسُ: تحقيق العدل وكثرةُ البذل.

المعلم السادس: قوّة الوحدة، ووحدةُ القوة.

المعلم السابع: التعايش السلميّ والودّ البشريّ.

المعلم الثامن: نشر الفضيلة وتصحيح المسيرة.

المعلم التاسع: تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصّة.

المعلم العاشر: الجمع بين البيئة التنموية والتربية الأسرية.

٣ ـ افتحوا الأبواب: وهو برنامج على الهواء مباشرة، ولعله أول برنامج أسبوعي مباشر يتعلق بي، أتحدث فيه عن حال المجتمع كل أسبوع، وأهم القضايا الاجتماعية والشرعية التي تهمه، وأتحاور أحياناً مع المسؤولين، وأناقش الناس، وأسمع لهم، ويسمعون مني، ويكاد يكون هذا البرنامج حلقة الوصل بيني وبين الناس، وهو برنامج أعتني به كثيراً، وأراقبه أسبوعياً، وأتابع

تفصـيلاته مع المعدين، وأنتظر حراك ما فيه، ما كان متعلقاً بالمسـؤولين أو المعنيين بالخبر.

وهـو برنامج جـريء الطرح، موزون الأفكار، منوع الفقـرات، وأحياناً أركز على موضوع واحد ما اقتضى المقام ذلك.

وتطويـر البرنامج في اسـتمرار دائم، وأنا أعوِّل عليه فـي المجتمع كثيراً، لأنني أريد أن يعرف الناس أن الدعاة ليسوا مجرد وعاظ أو منظرين.

٤ ـ **نادي الكتاب:** هذا البرنامج كان يراودني كثيراً، وكنت أتمنى أن أعرض خلاصة ما أطلع عليه من كتب منوعة للشباب، لأنني مؤمن أن الثقافة والقراءة من أهم عوامل الإصلاح النفسي والمجتمعي.

بالعلم والقراءة نرتقي إيمانياً وفكرياً واجتماعياً وسلوكياً، ونقود الحضارة.

بدأت تصـوير البرنامج في عدد من الدول، أقـدِّم الكتب وألخص عبرها، وأقرأ أفكارها، وأعرف بمؤلفيها، وأدعو لاقتنائها.

وقد بدأ البرنامج، ولا أدري متى ينتهي!

كل ذلك بأسلوب سهل وقريب ومقنع، في ربع ساعة للحلقة، مع تشويق في الشكل الإخراجي.

٥ ـ **التفسـير المضـيء:** لا أظن أن برنامجاً تأخرت فـي تقديمه مثل هذا البرنامج، لأنه يتعلق بكتاب الله.

أحب القرآن، وأتأمل يومياً في كتب علوم القرآن المنوعة.

ورغبت أن أفسر المصحف كاملاً، لعامة الناس، وبأسلوب ميسر، مع ذكر بعض اللمسات والوقفات التي تحفز على التدبر والفهم.

ليس تفسيراً تفصيلاً، إنما هو من اسمه (التفسير المضيء)، وقد بدأ المشروع بفضل الله، وعسى الله أن يلهمني العمر، ويبصرني بالعمل، لأبلِّغ عنه أعظم كتاب.

٦ ـ **السائحون**: وهو حلقات تلفازية طلبتها إدارة قناة البحرين الأولى، لعرضه في رمضان قبل الإفطار، ولأنه خاص لم ينتشر في المحطات الأخرى.

وكانت حلقاته عن السياحة الإيمانية في القرآن الكريم، وكان كما أخبرني الإخوة في البحرين متابع بشكل كبير، لأنه مختصر، ودلالاته تربوية وإيمانية.

وبعد: فهذه بعض البرامج التي قدمتها إلى هذا اليوم، ولا شك أنها تحمل فوائد وعبر كثيرة، إضافة إلى تجارب ثرة، خاصة أنها في مجالات متعددة.

لعلي أفصحت عن بعضها أثناء الطرح السابق، وأخلص إلى أنني الآن أصبحت لا أقدم برنامجاً إلا ما أقتنع به، وأتأكد من جاهزيته، وأعتقد أن ضميري مطمئن لبثه.

ما عاد يهمني الجهة التي تطلب، أو المال الذي يعرض، أو الحافز الذي سيبذل، أو الجمهور الذي سيتابع.

أصبحت أركز على العمل، والإتقان، والجودة، ومعايير نجاح كل عمل وما يتطلبه من تشويق أو إبهار من الجِلْدة إلى الجِلْدة!

عسى ربي أن يتقبل مني عملي ويجعله خالصاً لوجهه، وينفع به الناس.

❊ ❊ ❊

مشروعاتـــي الإعلامية (٣ـ٤)

كان بعض زملائي يندب حظي لأني كنت أشــتري بأكثر من نصــف مكافأة الجامعة مجلات متنوعة.

أحياناً أحمل (٣٠) إلى (٥٠) مجلة في شؤون وفنون مختلفة.

المجلة الجيدة هي في الحقيقة مستودع للأفكار، وترويج للنظرات، وتحقيق لرغبات ما. هذا من طرف.

ومن طرف آخر هي خلاصة لنتائج مشروعات فكرية أو ثقافية أو سياسية مضغوطة في شهر واحد، أو أقل أو أكثر.

ولاحظــت أن كثيــراً مــن المفكرين والأدباء رغــم مؤلفاتهــم القيمة، كانوا حريصــين على إنشــاء المجلات، لســرعة رواج الأفكار، وللملمــة النظرات في بوتقة واحدة وكأنها جامعة فكرية متنقلة.

قطعاً من الصــعوبة أن نتناول ولو بالمثال عدداً من المجلات في مجالات مختلفة، لكن لابد أن نذكر أن لهذه المجلات سياسية أو غير ذلك خلطة خاصة في التأثير على وجدان وعقل الإنسان.

عني شخصــياً كنت لا أميل للمجلات الطفولية ذات الطابع القصصــي إلا

في أبواب محددة، ولربما كانت بالنسبة لي مجلة حضارة الإسلام للمرحوم ـ بإذن الله ـ الدكتور مصطفى السباعي، من أهم ما اطلعت عليه في أوائل قراءاتي، ولدي في مكتبتي الأعداد الأولى منها.

ومن الغريب أنني كنت أقرأ في نفس الفترة مجلة (الصقر) القطرية ذات الطابع الرياضي مجاراة لزملاء الدراسة.

ثم تنوعت القراءة في مجلات عربية تصدر من داخل الوطن العربي ومن خارجه (في السياسة والفكر والثقافة والأدب والفنون).

وإلى يومي هذا لا يكاد يمر شهر أو شهران إلا وقد اطلعت على مالا يقل عن ثلاثين مجلة.

واحتفظ بشكل دوري بأهم ما فيها.

الحقيقة أنه كانت تطربني جداً أخبار العلماء والمفكرين والأدباء والمثقفين، فضلاً عن المؤسسات والهيئات، الذين أنشأوا مجلات متنوعة ومتخصصة في مجالات متعددة، وكنت كلما قرأت في مذكرات أو ذكريات أحد من البارزين، وكيف أنه تأثر بما في مجلة كذا، أو شارك في ما طرحته مجلة كذا، والحراك الهائل الذي كان في تلك الفترة بسببها، أخذت أحلم بالموعد الذي أصدر فيه مجلتي الخاصة بهويتي ورؤيتي.

ولأني مهتم منذ فترة طويلة بالشباب، أنشأت أول مجلة سميتها (الفتيان)، كتبت أفكارها وسياستها في مصر، في عدة صفحات بخط اليد، ولا زلت محتفظاً بها.

ثم عرضت الفكرة على أحد الدعاة الكبار في الكويت في جلسة عشاء، وما مضى سوى ثلاثة أشهر حتى خرجت المجلة للنور بفضل الله. وانتشرت المجلة، ثم تلاها على نفس الخط عدة مجلات شبابية، إلا أن (الفتيان) كانت برشاقتها

ومرونتها وجمال طباعتها الأبرز، إلى أن توقفت مع إيقافي عن الخطابة والإمامة، بلا أي سبب!

ثم عدت إلى الساحة بمجلة شبابية أخرى تحمل نفس السياسة مع تطور اقتضاه العمل الإعلامي الصحفي، الذي شاركت فيه ببضعة دورات عملية وأنشأت مجلة (فور شباب)، ثم مجلة (الأمة) الثقافية الفكرية، وأسهمت في تأسيس مجلتي (المنار) و(الجسور)، أما الأخيرتان فقد أوقفتا مع إيقافي السابق، وأيضاً بلا سبب!

وعوَّضت عنهما (الأمة) التي حولتها إلى إلكترونية، ثم مطبوعة على هيئة كتاب عبر (مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث)، والحمد للّٰه.

وخلاصة تجربتي التي دامت أكثر من خمسة عشر عاماً في عالم الصحافة والإعلام المكتوب، ما يلي:

١ ـ لا بد أن تكون سياسة المجلة وفق المعايير الإعلامية الصحفية، مع المعرفة العميقة لألوان الطرح الصحفي الإعلامي المختلفة.

٢ ـ من الأهمية بمكان أن تربط المجلة نفسها بهيئة أو مؤسسة ترعى أفكارها، وتصمد بتطلعاتها، وتساهم في إنجاحها إعلامياً ودعائياً.

٣ ـ لابد من تحديد الجمهور المستهدف، وتكوين علاقة مميزة معه، تربطه بالمجلة، في الشكل والمضمون.

٤ ـ وجود فريق مبدع ومحترف ومتجدد ومرن، يتحرك بروح فاعلة.

٥ ـ المزج بين الإثارة والعمق والجدة والخفة، وحسن الشكل في آن واحد.

٦ ـ الإتيان بجديد باستمرار.

٧ ـ مواكبة متطلبات الجمهور والعصر.

ولعلني أذكر في هذا المقام فضل اللّٰه عليَّ بإخراج سبعة كتب جميلة

ورشيقة ومؤثرة، كلها نابعة من كتاباتي في المجلات، وهي:

١ ـ حصاد الفتيان (من مجلة الفتيان).

٢ ـ حوار مع وسواس (من مجلة الفتيان).

٣ ـ مشكلات وحلول في حياة الشباب (من مجلة الفتيان).

٤ ـ مراودة الفكر (من مجلة الأمة والجسور).

٥ ـ الصحة الإيمانية (من مجلة المنار).

٦ ـ خطوات نحو التجديد (من مجلة الأمة والمجتمع).

٧ ـ من وحي الشباب (من مجلة فور شباب).

وأعود مرة أخرى للحديث عن المجلات.

إنه من الأهمية بمكان أن لا يكون إنشاء المجلة نابعاً عن فورة فكرية، أو حماسة شبابية، أو هبَّة مضريَّة!

المجلة في النهاية فكر أيًّا كان هذا الفكر.

وكل فكر يتطلب مقومات نجاح. وهذه هي الخلاصة.

وقد رأينا مجلات في مجالات مختلفة أغلقت أبوابها، بعضها بسرعة البرق، وبعضها لفظت أنفاسها بعد مرض مرير.

وعند العودة للأسباب الحقيقة لإغلاقها تجد أنها أحد إهمال واحد من العوامل السبعة التي ذكرتها سابقاً، وإلا فقد تجد مجلات في نفس المجالات لازالت ناجحة وصامدة ومنطلقة وبعمر أطول، ونَفَس أطول، لتحققها بالعوامل السابقة.

❊ ❊ ❊

مشروعاتـي الإعلامية (٤ـ٤)

عالم المقالات عالم جميل ومثير ..

وكاتب المقالة كما يقول الأستاذ الصحفي (محمد الرطيان) كالجرَّاح!

وأنا بفضل الله، متابع جيد لأهم كتَّاب المقالات، ومستوعب لمدارس الكتابة الصحفية للمقال.

فقد حضرت بعض الدورات المتخصصة، كما تابعت مئات الأعمدة لأكبر الكتاب شرقاً وغرباً.

ولعلني حاولت أن أختصر الطريق لمن أراد أن يدلف إلى هذا العَالم من خلال كتابي (النفائس) في عدة أجزاء، والذي هو عبارة عن انتقاء لأهم المقالات في المجالات المتنوعة، ولنخبة من أهم الكتَّاب على اختلاف مشاربهم.

وقبل أن أذكر تجربتي في هذا المجال، أمرُّ بشريط الذكريات كما يقال على ألوان الكتابة المقالية، مع التمثيل.

فهناك كتابات تقرؤها وأنت مشدود أو مسترخي نتيجة لأسلوب الكتابة وتنوع أفكارها بين قصة وخبر وإحصائية، مع ترابط مثير، وتشويق جميل، ومن أمثلة ذلك كتاب (ثقافة الفوضى) للأستاذ: أحمد منصور (الإعلامي الشهير بقناة الجزيرة).

وهناك كتابات ذات جوانب تربوية وإيمانية (إسلامية)، والتي جمعها الداعية الكبير الأستاذ (محمد أحمد الراشد) في مؤلفاته: المنطلق والعوائق والرقائق، والتي كانت في أصلها مقالات في مجلة (المجتمع) الكويتية.

وأسلوب الكتابة الصحفية لدى الأستاذ الراشد فن جديد في مجاله.

وإذا انتقلنا إلى السياسة مثلاً فلا شك أن عدداً كبيراً مما كتبه الأستاذ: فهمي هويدي كان محل إعجاب، ولعل كتابه (مقالاتي المحظورة) يفصح عن هذا اللون، ومثله الكاتب الكبير الأستاذ: (محمد صلاح الدين) ـ رحمه الله ـ في صحيفة المدينة السعودية.

وأما في الأدب وقضايا المجتمع فإن أسلوب الشيخ: علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ يأتي في المقدمة، فجل كتبه هي مقالات في مجلات وصحف متنوعة.

وعن الأسلوب الساخر أجد نموذج (د. فيصل قاسم) ـ صاحب البرنامج الشهير الاتجاه المعاكس ـ من أبدع من يمثل هذه الصورة مع عمق في المضمون.

إنني أعرف أن اختصار الموضوع في عدة كتّاب يمثل حرجاً شديداً، لوجود آلاف الكتاب شرقاً وغرباً، وتميّز المئات ربما، وبزوغ العشرات دولياً وعربياً، ولكنني رغبت مجرد التمثيل لنوعية الكتابة لا أكثر.

وقد حاولت ما استطعت أن أنوع في كتاباتي المقالية مع التجديد في بعضها.

فأنا أكتب مقالة أسبوعية في صحيفة المدينة السعودية، في زاوية (لعل وعسى) وأغلب المقالات اجتماعية محلية، مع مقالات تتحدث عن الشأن العربي والدولي حسب الأهمية.

وألوان الكتابة عندي يمكن إيضاحها بالمثال الموجز كما يلي:

١ ـ التعليق على حدث عالمي، مثال مقالتي (اضربوا النساء .. هو أقرب للتقوى). ومثل هذا النوع يتطلب عمقاً في الكتابة، وبحثاً جاداً عن

الموضوع، وتنوعاً في زوايا الطرح.

٢ ـ التعليق على قصة، مثل مقالتي (ليلة سويدانية موسيقية). وهذه تتطلب وصفاً مشوقاً للحدث الذي حضرته، وقد اشتعلت عشرات المواقع الإلكترونية بمضمون المقالة!

٣ ـ فكرة مثيرة، مثل مقالتي (قيادة المرأة للسيارة ضرورة)، وقصدت بقيادة المرأة أن تتقدم في ساحة الحياة، وقصدت بالسيارة المجموعة المارَّة التي تحتاج لقائد كما في اللغة، وهذه المقالة كانت حديث كثير من الناس!

٤ ـ مشاركة عملية، مثل مقالتي (حصاد أسبوع في بيروت)، ليشارك الجمهور الكاتب عن أعماله ومشروعاته التي تهمهم، وهنا أكتب عن زيارتي لبيروت وأجوائها الجملية وأهم الكتب التي اقتنيتها من المعرض الدولي للكتاب.

٥ ـ هموم الناس، مثل مقالتي (يا أجنبي)، وهي تتحدث عن مشكلة اجتماعية، وهذه تتطلب أسلوباً إنسانياً، مع لمسات وخطوات للعلاج.

وقس على ذلك زوايا عدة في الطرح المقالي.

ما مضى كان الحديث فيه عن مقالاتي الاجتماعية وبعض الدولية في صحيفة المدينة، وأما مقالاتي الأخرى، فهي كالتالي:

١ ـ مقالة أسبوعية عن الشباب، وهذه تتطلب رشاقة في الأسلوب، ويسر في العبارة، ووضوح في الفكرة، وبعض الشواهد المتنوعة لإيضاح المطلوب. ومثال ذلك مقالاتي في زاوية: (قلبي يحدثكم) و(بلوتوث)، وكلها صدرت في كتب.

٢ ـ مقالة أسبوعية أو شبه أسبوعية في (الفيس بوك) وتحمل عنوان: (ديوانية الفيسبوكيين الحضارية)، وهذه تتطلب جهداً لا بأس به، لأنها تخاطب الشباب المثقف، وهذا اللون من الكتابة يحتاج إلى تركيز في العبارة، وتأصيل

في الشــواهد، ورفق في الطرح، ومعالجة للمشكلات أو الشبهات، مع خطوات للتفكير، ومشاركة في الرأي الهادئ.

٣ ـ مقالة أسبوعية في مجلة (المجتمع)، وهي بعنوان: حوار في مجلس الدعوة، وهــي أشــبه بالموعظــة الدعويــة، غايتهــا تحفيز الدعــاة، وتقليــب النظر في موضوعات دعوية من زوايا عدة، من باب النقد البناء. وهذا اللون من الكتابة يقتضي إقناعاً وتجربة ونقلاً جيداً للوقائع والأحداث، لأن نوعية القراء تستوعب المضــمون بســرعة، وتحتاج إلى ما يعمق الفكرة، ويوصل الرسالة، إضافة إلى روح الكتابة وهذا أهم شيء!

ولعلي أختم هنا بملحوظات عامة:

١ ـ كتابة ثلاث مقالات أسبوعية متوسطة الحجم يمكن قبوله، وبالتالي فإن الكتابــة اليوميــة للمتفــرغ أو المقتدر فــي زاوية ما أمر غير صــعب، ولكن الإشكال في المضمون!

ولــذا وجدنا كتاباً عمالقة ينتظر القراء مقالتهم الأســبوعية مثل الأســتاذ (فهمي هويدي) في صــحيفة (الشرق الأوسط) التي ترتفع نسبة مبيعاتها إلى الثلث في يوم نشر مقالته!

ولكنه عندما صــار يكتب يومياً في إحدى الصحف القطرية لم يكن بنفس القوة والمتابعة لمقالته الأسبوعية.

٢ ـ المقالة الجادة والرصينة تتطلب هماً وعمقاً وتنوعاً.

٣ ـ المقالة الناجحة هي ذات المضمون الجيد المحترم، والأسلوب الحسن، والجمع الفريد، والإضــافة المتميزة كخبر حصــري، أو دراســات وكتابات حديثة...

❋ ❋ ❋

نظريـــات جديدة

هنـــاك أناس يتقلبون حســب المراحل التي يعيشــونها، والظروف المتجددة التي تحيط بهم.

وهنـــاك أناس ينقلبــون على بعض أو جل ما كانوا يقتنعون به ويمارســونه، فتكون لهم آراء في القديم والحديث!

وبعضهم يتنقَّل من باب سعة أفقه وطول تجربته وتغير بيئته، فتكون النتيجة إيجابية. والبعض يلعن ويشتم ويسفِّه ويغلِّط ما كان عليه تفكيراً أو ممارسة، ولو كانت من قبيل وجهات النظر، فتكون النتيجة سلبية!

إنني لســت من هواة طرح فصــيل المنقلبين، ولا فصــيل المتغيِّرين لذات التغيير أياً كان، لأن الثبات في المبادئ مطلب، كما أن التغيير في المستجدات قد يكون مطلباً كذلك!

إنني أحرص في كل عام على اختيار شهر ما، لإعداد أوراقي في مستقبل الأيام بشكل جيد، أي بطابع إداري يضع النقاط على الحروف، ويقيس الأمور بشكل واضح.

وأعتقد أن هذه الاستراحة واجبة في حياة كل واحد منا، بشكل مستمر في كل عام.

هذا الكلام يهم العاملين والمهتمين بشكل كبير، وهو قطعاً لا يعني للمقلدين والعاديين أي شيء!

وإعداد أوراقي في طريقتي يشمل أمرين اثنين:

١ ـ إعادة النظر في مدى التطبيق للمبادئ ومفاهيم النجاح على المستوى الإيماني والأسري والعائلي والعملي.

٢ ـ استقراء خطط العمل، ووسائل أدائها، وإيجاد الظروف المناسبة لتحقيقها بشكل جيد، وذلك على المستوى الشخصي والدعوي والمؤسسي.

ووجدت أنه مع استمرار تطبيق هذه المراجعات، وممارستها في ألوان العمل التي أؤديها على المستوى الشخصي والمؤسسي، أستطيع القول بقناعة أنني وصلت إلى بعض النظريات في بعض المشروعات.

ومن ذلك أن تجربتي الإعلامية في تأسيس وإنشاء خمس مجلات، وأربع محطات فضائية قادني للتفكير لوضع بعض المفاهيم التي تتشكل في نظريات مثل: **المقبول من نسبة الخطأ في العمل الإعلامي من المرفوض، وتوقعات نسب النجاح في إنجاز بعض الأعمال نتيجة استقراء طبائع العاملين، وهكذا...**

ولذا فإنني أرى أنه بإمكاننا أن نطور مشروعاتنا، ونقفز بأعمالنا من خلال الاستقراء المتعمق للدراسات الجيدة، ومجالسة أصحاب الكفاءات والخبرات.

ومن (نظريات) العمل الميداني إلى (نظرات) في الفكر الإنساني، والبعد النفسي، حيث القدرة على تحليل الطبائع البشرية، ومدى القابلية للصمود أو المراوحة في نفس المكان!

والفرق بين (النظرية) و(النظرة) أن الأولى فيها (اكتشاف) جديد، والثانية فيها مهارة (كشف) لحالة أو واقع.

إن هـذه النظريات التي تكونها مراحل الحياة والممارسـة العملية الجادة، وتلك النظرات التي تكونها مراحل التعمق في السلوك الإنساني، تسهم في بناء الفرد على مستواه الشخصي ومشروعه المؤسسي.

ومن المهم هنا أن أبين أن ما يتفضل به المعين جل جلاله من (اكتشاف النظريـات) أو (كشـف النظرات) لا يمنعنا من اسـتقاء الحكمـة من العقلاء والحكماء والأكابر، كما أنه لا يغرينا للتكبر على الخلق، والإحسـاس بالعلو على الضعفاء والمبتدئين.

كل ما في الأمر أن نفهم مكونات الذكاء وعقلية البناء، التي استطاعت أن تديـر حكومـات، وتغير سياسـات على مسـتوى العالم، كما في تركيـا وماليزيا وسنغافورة واليابان، وسواها.

ولـو تأملنا لوجدنا أن تجارب القوم ليسـت متعلقـة بمجرد المعتقد الديني بقدر ما هي متعلقة بالعقل الدنيوي!

وإننـي لأتمنى أن نمنح أبناءنا وشـبابنا وأحبابنـا وتلاميذنا المفاتيح التي تتيـح لهم إمكانيـة معرفة الظواهر التـي يرونها، والمتغيرات التي يعايشـونها، والمواقف التي يتعرضون لها، بنفس هادئ ومنهج واضح وتعامل عاقل.

وفي الوقت نفسه نحذر أن نقحمهم في مرحلة لا تستوعبها عقولهم، أو أن نبني عقولهم بطريقة تجعلهم يفكرون كالآلات في ظواهر الحياة!

إن المزاوجة بين (منطق العفوية) كممارسة و(منطق الذكاء) كتفكير لا يفسح للعاقل وحده أن ينمو وينجو فحسب، بل حتى إنه يفسح المجال حتى للصغير أن يكبر بتماسك داخلي، وصمود أمام الصدمات!

وإنني لأجد في نفسي الفرحة الغامرة حين ألحظ التفاعل والتجاوب الكبير من كثير من الشـباب بعد المجالسـات والمحاورات الخاصة والعامة، كما إنني

أجد الفرحة أكبر حين يستوعب الشباب ما نقول وكيف نحاور ونفكر به معهم، فيكسبهم ذلك مقدرة على تأمل خطوات حياتهم المقبلة، وكشف ظواهر ما يعايشونه.

***

عقبات تجاوزتها

صغير يرجو الكبرا..

وكبير يرجو الصغرا..

هكذا نحن في مراحل الحياة.

يحب أحدنا أنه كلما كبر أكثر الحرص للوصول إلى ما يريد، والتقوِّي على كثير من المشكلات، وتجاوز نقاط الخلل، وتحقيق جولات الصراع بين رغبات الأنا وواقع الحياة.

فإذا ما كبر أحدنا و وجد العقبات المدبَّرة، وبعض الاستفزازات والبلاءات، ومحاولات الإطاحة بالمشروعات، رجا أن يعود إلى الوراء، ليعيش بعيداً عن المهاترات، أو أن يكون أحكم وأوعى بشكل أكبر لتجاوز الأزمات.

ورغم كل هذا يدرك الصغير والكبير أن القدر ماضٍ، وأن رجاء المحال محال!

إنه رغم دراستي لدبلوم علم النفس، وتعمقي فترة من حياتي بالانكباب على عدد كبير من كتب علم النفس والسلوك، واستدامة النظر في الظواهر الإنسانية، وسيكلوجية الإنسان، خاصة مع دراستي بكالوريوس علوم الأحياء، إلا إنني لازلت أحاول اكتشاف ما يستجد من ظواهر الإنسان، وسكلوجياته العجيبة!

ومـن نتائـج قراءاتي وتجارب حياتي في مجالات عدة، على مسـتوى العمل الخيـري والإغاثـي، والتربـوي والتعليمي، والدعـوي والخطابي، وهمـوم الناس وقضايا الشباب، في مشارق الأرض ومغاربها، شكَّلت نواة جيدة لبحث أرجو أن يخرج قريباً، يضـع الأطر العامة والدقيقة ربما لواقع جملة ممن احتككت بهم، وتذوقت منهم بعض ما تحلو الحياة به، من شـكر الأعداء كما وصـفهم الشيخ الدكتور سلمان العودة، وإن كنت استصعب في نفسي وصفهم بذلك، مع إيماني بقصـد الشـيخ في مؤلَّفه (شـكراً أيها الأعداء) وجمعه بين استفزاز العنوان، وإشكاليات الواقع الذي يحاكيه المضمون.

وبالعموم فإن أغلب العقبات لا تشـكل في تقديري نسـبة تسـتحق أن تذكر مقارنة بواقع الدعاة الذين رووا ما أصابهم في طريق دعوتهم!

وكل مـا يمكـن قوله من عقبـات في تقديري هي ذاتية وليسـت من الغير، وهذا عكس المتصوَّر عن كثير من الدعاة!

فكـم كانت أمنيتـي كبيرة ومتجذرة في نفسـي منذ فترة طويلـة، أن يحل السلام بين الدعاة بنسبة أكبر، ويتجاوزوا كثيراً من سوء الظن، وبغض الحسد، الذي يشغل أوقاتهم عن التفكير في القضايا الكبرى، والتفصيلية المهمة.

وكم كانت أمنيتي كبيرة ومتجذرة في نفسـي أن تستشـري في نفوسنا روح التسامح، والوعي، والتفهم.

والحقيقة أن الخلل الذي أصـاب الصحوة الإسلامية من داخلها، يؤثر بلا شك على نفسية العاملين، ويشغل بال من يفكر بالتنمية والنهضة.

واستمرار الأزمات الداخلية الممثلة بقلة الثقافة وعمقها، والتقليد والتبعية، لا يفسح مجالاً للإبداع، ولا يدعو للتشجيع، ومكاثرة الخير!

ورغم ذلك فالحمد لله، قد تجاوزت الكثير والكثير من مجالس التسـطيح،

كما لم أتبنى آراءً سريعة، وأقوالاً مجنحة، ولذا تفضَّل الله عليَّ، فلم تعرف لي صبوة فكرية، أو مراهقة دعوية!

ومن العقبات التي استهلكت أوقاتي وتفكيري الانشغال بالتسامح مع من لا يستحق إذلال النفس له، وتواضعها الكبير نحوه.

لقد كنت أحرص على النفسيات إلى حد كبير، وربما تؤرقني أفكار الناس الخاطئة، وتصوراتهم القاصرة.

وكنت أحرص على تصحيح الصورة الحقيقية، ولكنني وجدت أن هذا الانشغال الكبير يضيِّق النفس من حيث لا أشعر!

فاستقرت نفسي بعد ذلك، لعرض الحقيقة، واحترام الناس، ومحاولة إقناعهم بكل الوسائل التي ذكرت في النصوص الشرعية، وحُشيت في أدمغتنا من دورات فن الإقناع والتأثير.

وبعض عرضي للحقيقة بأسلوب مناسب، ما عاد يهمني المعترض، ولم أعد أنتظر صاحب المدح!

وصرت أركز على بعض الأفكار الحية، وأنقلها في (دائرتها الصحيحة حسب تعبير الأستاذ الرباني (فتح الله كولن).

لم يعد يهمني نقد الأشخاص، كما لم يعد يهمني عتب العاتبين، أو نقد الناقدين، في غير ما موضوعية، أو سبيل حسن!

ومن العقبات التي مررت بها تقدير الأولويات واتخاذ القرارات، وهذه قضية حاسمة ومؤرقة لمن يفكر بنتائج الأعمال على مستواه الشخصي.

ولعل ممَّا خفف هذه الأزمة وتهوين هذه العقبة هو توفيق الله لي، إذ إني أحب العمل المتقن، ولا أرتضي إلا بالمنهجية، وإخراج كل صنعة وفق فنِّها.

ولـذا كنـت أتجاوز في فتـرات متقاربة ـ بكرم اللّه ـ الأخطـاء والتجاوزات، لتربيتي الداخلية على العمق والجودة.

ورغم ذلك كنت أميل مرة لأولوية ذات اليمين، ثم أخرى ذات الشمال، ومع أن هـذه معاناة يعيشـها المـرء، إلا إنها في ذاتها متعة، تربي الإنسـان، وتُعمل عقله للبحث عن الأفضل والأنفع والأسد والأولى حالاً ومآلاً.

فخـفَّ ما كان يعتلجني من صـراع أحياناً، وتركت الأمر يمضـي بسـجيته حيناً، وبحزم حيناً. وهذا أرضـى للتماشـي مع ما يقدره اللّه، ويؤنسني أن أرى أعمالي متوافقة مع قيمي في الإنجاز وجودة العمل.

ومن العقبات التي أشكو منها كبشر، بعض تقلبات النفس!

مع أني والحمد للّه أكره أن أكون في سـاعة فرحاً وأخرى كئيباً، وأستسـلم لمجريات الحياة وظروف الحياة!

ومع أني أتجاوز كثيراً ما يدعو لسخط كثير من الناس ويستشيط غضبهم في مواقف الدنيا، إلا أنني أصاب بلحظات توقف وعطل نفسي عن التفكير!

أعلم أنني كغيري من البشر أصيب وأخطئ، وأوفق وأتعثر، وأتقدم وأتأخر، وأنجو وأكبو، إلا أنني أتوقف كثيراً عند دعوات سـماحة شـيخنا العلامة محمد الحسـن الـددو التي دائماً ما أسـمعها منـه: اللهم اجعلنا في قـرة عين نبينا محمد ﷺ.

أعلم أنني لست مؤهلاً لذلك لأنه تعتريني لحظات ضعف وتوقف وحذر.

ولذا لا أملُّ من جلسات الخلوة، وسهرات الأنس بنفسي!

إنني أحاول وأحاول لأكون قدوة حسنة أمام نفسي، وإن كان الطريق طويلاً، ولعلي أن أنجح!

❊ ❊ ❊

هذا الـدرس نقطة تحـول

قدَّمـت بحمد اللّه تعالى مئات الحلقات من الدروس العلمية، وأول الدروس التي أسـعد بذكرها درس (تفسـير القرآن الكريم) كل يوم خميس بعد صـلاة الفجر بساعتين، وبعدها شرح (بلوغ المرام).

وقد كنت أبذل جهداً مضاعفاً في الإعداد والتحضير، وأتذكر أنني فسَّرت سـورة الفاتحة والبقرة في ثلاث سـنوات، وعند ختمهما أقمنا حفلاً على عادة السلف في جامع عبداللطيف جميل بجدة!

واسـتمرَّيت في تفسـير القرآن في المسـجد، وكانت طريقتي في التحضير القراءة من عدة كتب في التفسير ثم أقوم بالترتيب وحسن التنسيق، وذلك كل يوم عصـراً، وعند الفراغ من الشـرح غيباً على المصلين، أقرأ عليهم ما علَّق عليه الأستاذ: سيد قطب في ظلاله، بعد اختيار المقطع، وتجاوز بعض الكلمات أو الجمل حسب وجهة نظري، وكان هذا في جامع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بجدة.

ولعلني ـ واللّه أعلم ـ كنت أول إمام يقيم درسـاً في التفسـير العام وقراءة مختارة من ظلال القرآن كل يوم، حتى وصـلنا إلى الجزء الخامس عشـر من القرآن، عند منتصف سورة الكهف.

وكانت هذه الطريقة المحببة إلى قلبي نواة تأليف كتابي (تفسير النهضة)، الذي أخذ مني جهداً ووقتاً كبيراً، ولا زلت أتهيب الكتابة بعد فترة من الإنجاز، لتعلِّق الموضوع بكتاب الله تعالى.

وفي نفس فترة التدريس هذه كان لدي درس أسبوعي امتد عشر سنوات في السيرة النبوية، وكانت طريقتي أن أقرأ في عشرات كتب السيرة والحديث في الموضوع الجزئي في السيرة، وبعد القراءة الاستيعابية قدر المستطاع بما يتعلق بالموضوع، أستخلص ما أراه من دروس وعبر.

وخرج من مشروع السيرة النبوية موضوعات عدة قدمتها في دروس فضائية ومسجدية متعددة، مثل: (الرسول والحياة، أيام في المدينة، والله إني لأحبك، أمير الأنام، أيام في مكة، الجمال في الإسلام، ...).

وتممت هذه القراءات بإعداد مشروع موسوعي كبير هو: (الموسوعة النبوية في السيرة الموضوعية).

وآمل من الله الحي القيوم أن يحلَّ البركة في هذه الموسوعة، وأن ينفع بها، فإنها من أهم الأعمال وأحبها إلى قلبي، وأكثرها أثراً في حياتي.

وفكرة الموسوعة الجمع الاستقصائي لموضوعاتٍ في السيرة النبوية، مقسمة حسب الفصول.

فمما يتعلق بفصل السيرة الاجتماعية مثلاً، اخترت:

الرسول ﷺ أباً، الرسول ﷺ زوجاً، الرسول ﷺ مربياً، الرسول ﷺ في بيته، الرسول ﷺ في سوقه، ... .

وهكذا أختار موضوعاً واحداً وأجمع ما قيل فيه، مع التوثيق والشرح الموجز لما يحتاج إلى توضيح.

وقد غيرَّ فيَّ هذا المشروع كثيراً، وفتح آفاقاً واسعة لدي، وقوَّم كثيراً من

نظراتي، من خلال الجمع بين نصوص الأحاديث ووقائع السيرة.

وفوق ما شغفت به من حب للسيرة وصاحبها حبيبي محمد ﷺ، فقد شغفت بجمال الرسالة، وعمقها وعظمتها.

وزادت بصيرتي في فهم النصوص، وأحكام الشريعة.

ولذا فإن إدمان قراءة النصوص الشريفة وحوادث السيرة، قراءة مستوعبة مع ربطها بالأصول والقواعد الشرعية، يزيد المؤمن رصيداً إيمانياً، وعمقاً فكرياً، وصلاحاً نفسياً، وانسجاماً داخلياً، وحكمة وسداداً ورشداً.

❊ ❊ ❊

عـلاقـاتـــي

لـدي قناعة كبرى بل حقيقة إنسـانية من خلال وقائع الحياة البشـرية أن الناس يتأثرون نفسـياً وخُلقياً وتتشـكل طبائعهم بمفـرزات الواقع، كما يتأثرون بالمفاهيم والنظم التي تحكمهم.

فكثير من النـاس تغيرت نظرتهم الفقهية، وقنـاعاتهم الشرعية، وتصرفاتهم الحياتية، وفق الواقع الذي تغيَّر، وثبت من خلاله أنه ليس بالضـرورة أن يكون كل تغيير قد يؤدي إلى الانحراف!

كمـا إن كثيـراً من الذين شـوهدوا فـي الحياة، وهم يتمتعـون بثقة الناس ومحبتهم وقنـاعتهم، تجاوبوا مع متغيرات الحياة، دون حدوث ذوبان موهوم.

لقـد كانـت عائلتـي بفضـل اللّه محبـة للجميع، وكانـت النظرة الشـرعية والاجتماعية لديهم معتدلة.

وهذه التنشئة أثرت في ربط علاقاتي مع كثير من الناس، دون تصادم مع أحد، أو التسرع في خسارة أحد.

وجدت عملياً أن أقربائي يحبون دعوة النـاس للولائم، وإكرام الضـيف، والاحتفـاء به، ويحرصـون أن يشـارك هذه الدعوات الجميـع، مع الحرص

الأكبـر علـى الجيران والأهل، فلا يفرقون بين طبقـات المجتمع، ونوعيات الناس.

ثم وجدت نظرياً في كتب التاريخ أن قبيلة (بني عمرو) والتي نشـأ فيها أجـدادي وأهلي، وهي أحد قبائل (الأزْد) من أشـهر قبائـل العرب كرماً، بل قال لي الشـيخ عوض القرني: إنها أشـهرهم بالجود والكرم والإحسـان إلى الضيف.

والحقيقة أنني لم أشك لحظة في هذا الخبر التاريخي، لما رأيته من واقع ملموس.

وأعود لأقول إن هذه النفسية العُمرية أثَّرت فيَّ كثيراً، ولا زلت أعدُّ عادات قبائـل العرب المحمودة، وطبائعهم النبيلة، مـن الواجبات التي أتخلَّق بها، لما لها من الآثار النفسية والاجتماعية.

ولابد للمرء أن يحمد الله تعالى على هذه التنشئة والبيئة الطيبة التي وجد فيها. ورغم ذلك تجدني أشـدِّد نسـبياً على طلابي وزملائي أن يحرصـوا على العادات الطيبة في الجود والإحسان والكرم، وأن يربطوا العلاقات مع غيرهم، وأن يتسـموا بصـفات البذل والعطاء وشـيم الكرم وحسـن الوفادة، وأن يتركوا جملة من الصـفات العصـرية التي تعـزل الزائر عن أهل البيـت، وتواجهه مع الخدم استقبالاً وضيافة!

هـذا مع إيماني بمتطلبات العصـر التي قد تقتضـي أحيانـاً التخفيف على أهـل البيـت، واللجوء للمطاعم للحاجـة، ولكن القاعدة الأصـيلة أن لكل مقام مقال، ولكل ضيف مكان.

إن مشـهداً واحداً من مشـاهد اسـتقبال الضـيوف في الدعوات المستمرة لبيوت الأهل والأقارب رغم كثرة الحضور، تعمِّق النفسية الطيبة التي أدعو لها،

من الابتسامة، وإنزال الضيف منزلته اللائقة به، والوقوف لخدمته، والتسارع لتلبية حاجاته، مع السرور والفرح لقدومه.

إن هذه النفسية الطيبة التي عشتها ولا زلت، جعلتني بفضل اللّه أفرح بجميع الناس أيًّا كانوا، وأربط علاقاتي معهم من مبدأ الحب ثم مبدأ التعاون على كل عمل نافع. هذا من ناحية الأصل والعموم.

وتأكد فيَّ هذا المعنى وتعمَّق مع تعقُّد الحياة، وتشابك الأعمال، وتقارب الأفكار، وتوسع الحاجات.

ولذا باتت نظرتي للتعامل مع الناس تأخذ خطاً أفقياً لا رأسياً!

بمعنى أنني أهتم بالجميع لأن الحاجة قد تكون بعد اللّه من الصغير قبل الكبير.

ولأني نذرت نفسي لمساعدة ما استطعت من الناس، وفي حدود إمكانياتي ووقتي واهتماماتي وعلاقاتي، صرت حريصاً أكثر وأكثر على النظر في مصالح الناس التي لا تنتهي.

ومع ذلك فإني أخاطب نفسي من الداخل كثيراً إن رأيت أن كلامي أو تعليقي أو كتابتي ستجعلني أخسر أحداً لربما احتجته يوماً، لكنني أقدم المصلحة العليا ولو بخسارته نسبياً أو كلياً إلى أن يأتي به اللّه، فحق اللّه ثم حق الناس الأعظم أولى بالتقديم من أجل فرد أو أكثر!

إن من أهم من أحرص على ربط العلاقة بهم أهل العلم والخير والإحسان في الأمة، بل أحرص أكثر وأتقرب إلى اللّه بخدمتهم والسعي لتقديم ما ينفعهم بعد توفيق اللّه.

ثم مع كل من هو مفتاح للخير، ومكَّنه اللّه في الأرض في جوانب عدة، وأحرص مع هؤلاء جميعاً على التواصل كل بحسبه.

فثمة تواصل عبر الاتصال والرسائل، والإهداءات، والتعليقات، والدعوات.

وثمة تواصل بالزيارات، والمشاركة في المشروعات، بل إن جملة منهم أتواصل معهم ليلاً في سجودي بالدعاء لهم على ما قدموا.

ولربما يسألني الكثير عن سر علاقاتي القوية مع مجموعة محسوبة على السياسيين وأخرى من كبار علماء المسلمين وثالثة مع الإعلاميين ورابعة مع التجار والمحسنين، فأقول لهم: أما السر الأول: فهو أنني أتعامل معهم بنفسية المحب المنصف، وهاتان صفتان للتعامل والحكم لا غنى لعاقل حكيم عنهما، والسر الثاني: هو إدراك مطالب كثير منهم، مما يدعوني لمعرفة نفسياتهم وتقبلهم بالطريقة الصحيحة!

❊ ❊ ❊

ملحق الحوارات والمقابلات المختارة

حوار لجنة الصحبة الصالحة (الكويت) [١ ـ ٥].

حوار مجلة غدي (لبنان).

حوار جريدة الرياضي (السعودية).

حوار موقع الرسالة (الكويت).

حوار موقع الثقافة (السعودية).

حوار موقع الأمة (مصر).

حوار لجنة الصحة الصالحة (الكويت)
[١ ـ ٥]

بحكم خبرتك واحتكاكك المباشر بالشباب. ما هو تقييمك لواقع الشباب العربي اليوم؟

شكراً لكم هذه الاستضافة. وإن شاء اللّه نكون عند حسن الظن.

بالنسبة لواقع الشباب العربي. هناك دراسة حديثة تحليلية تصف واقع الشباب بطريقة علمية وبنتائج منطقية بشكل تقريبي. والنتائج تقول:

(١٪) من الشباب العربي يميل إلى الغلو في الدين، و(٧٪) يعيشون التدين بشكل صحيح ومحافظ جداً، و(٢٠٪) يعيشون تدين وسطي نسبي، و(٥٠٪) موسميين وفيهم خير، وحفاظهم على فرائض الدين نسبية، و(١٥٪) عندهم ميول نحو الشر قوية، و(٧٪) عندهم انحراف كامل وبعد تام عن الدين.

وهذه الدراسة التقريبية إذا دلت فإنما تدل على تمايز واقع الشباب، وهي تتطلب مزيداً من التركيز، والتأكيد على كيفية الخطاب لكل شريحة من هذه الشرائح وفق آليات صحيحة.

في ظل هذا الوصف أين القدوات والمربين والقائمين على واقع الشباب؟

هناك معرفة بهذا الوصف السابق يؤكدها جميع الواعين بواقع الشباب تقريباً، وذلك على حسب قدراتهم الفكرية ومستوياتهم العلمية، ورؤاهم

المنهجيـة وما يملكونه من أدوات وما يعرفونه أو يشـاركون به الشـباب عملياً. ومن هذه المنظومة تصنع القدوات ويعي المسؤلون دورهم.

قلـت قبل قليل: إن المسـؤولين يختلفون في آليات فهمهم للأفكار والمشـاريع الشـبابية. فهل هذا السبب في نظرك في وجود قدوات جديدة للشباب وإن لم تكن مؤهلة بشكل كاف؟

المجتمع اليوم ومنهم الشـباب أصـبحوا يختارون بقرارهم من يمثلهم ـ إن صح التعبير ـ في رؤاهم الفكرية وحتى الدينية.

خطاب الشـباب اليوم بحاجة إلـى آلية جديدة للنزول إليهم، إضـافة إلى رفع مستواهم لتلقي ما ينفعهم ويفعلهم.

وفي نظري أن هذه هي العملية المعقدة بين جيل الكبار والصغار!

إلى متى سيستمر إذن هذا التميّز من قبل الفصيلين جيل الشباب وجيل الشيوخ كلٌ بطريقته؟

المسألة ليست اختيارية، بل هي مسألة ذاتية. بمعنى أن الشباب لم يختاروا طريقهـم لوحدهم، والشـيوخ في المقابـل اختاروا طريقهم المناسـب لهم. لا، الأمـر يحتـاج إلى تفهم الكبار لواقع الشـباب، والرقي بواقع الشـباب لتطلعات الكبار. يعني نحن نتحدث عن الوسائل.

ولكن بصراحة الشباب اليوم يستهويهم الخطاب الإعلامي من شيوخ (المودرن)؟

النبي ﷺ قال: خالفني الشـيوخ وحالفني الشباب. القضية في بناء القدوة الصـالحة. الفكر القدواتي ـ إن صـحت التسـمية ـ يتوزع فـي التطبيق. القدوة يمكن أن يكون مدرس الطلبة، وأستاذ الكلية، وصاحب المجلة، ورفيق المرحلة، إضافة إلى مقدمي البرامج الإعلامية بشتى صورها.

علينا أن نتفهم ونستوعب أن لكل مربي دوره في إبراز جانب القدوة أمام جيل الشباب ليتكامل بناؤهم النفسي والثقافي والقيمي.

في مقال لك سابق تحدثت أنه لو كان لك الخيار في توجيه الدول نحو قضية تهم الشباب لقلت: «توجيه فكر الشباب وإخراجهم من الغيبوبة» هل يمكن أن أستوضح هذا المعنى أكثر؟

لقد رأيت أن الشباب يعيش في مرحلة من المراحل إحدى الغيبوبات الثلاث: وهي: (غياب الهوية، غياب المرجعية، غياب المرحلية).

دقق في واقع الشباب على جميع مستوياتهم وخطوط فكرهم، ودقق في هذه الغيبوبات الثلاث. تجد ماذا؟ تجد إغراقاً من قبل محركي المجتمع في الأعم الأغلب نحو تعميق هذه الغيبوبات الثلاث.

بل حتى أكون معك صريحاً تجد حتى في الصف الإسلامي من يسعى لتعميق هذه الغيبوبات التي تعطل طاقاتنا على حسب تعبير الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه: الإسلام وطاقاتنا المعطلة.

وما الحل أمام هذا المأزق؟

العلم، الثقافة، المعرفة. إعادة دورة الحضارة التي كانت عليها الأمة في أوج عزتها.

وكيف يتم ذلك؟

الخروج من غياب الهوية عبر النماذج الإسلامية التي تحمل القدوة في مجالات الحياة المختلفة، وتفتح المحاضن التربوية التي تعيد للنفس نقاءها وطهرها.

والخروج من غياب المرجعية بالتعمق في فقه الدين، وتكريس ثقافة الوعي

والبعد الحضاري، وتقريب عقلاء الأمة وإبرازهم، وفتح مجالات الحوار معهم على كل المستويات.

والخروج من غياب المرحلية بالدخول في أوساط الشباب وتوعيتهم بمسارات الحياة بعمل منهجي وتحريك تيار متدفق يوجه الشباب.

هل هذه مجرد مطالب، أم أن لها تطبيقات حكمت بأنها الحل؟

هي مطالب يقرها العقلاء، ويبصم على صحتها الواقع.

سل من شئت من العلماء والمفكرين والمثقفين والأدباء والمربين هل سيدندنون بسوى هذه المفاهيم؟ لأن ما قلته هو عين ما ينطقون به ويقيدونه في كل كتاباتهم!

ولكن كيف يمكننا بلورة هذه المطالب في مشاريع عملية بين يدي المهتمين بالشباب. يعني ماذا يفعلون من خطوات ـ باختصار ـ (١، ٢، ٣... وهكذا)؟

نحن نظن بعفوية تقترب من حد السذاجة أحياناً أن فكرة التخطيط المدروس عملية استهلاكية!. خذ موضوعاً واحداً مما ذكرت آنفاً: (غياب المرجعية). نحتاج إلى دورات عن فقه القراءة والثقافة الواعية. نحتاج إلى رحلات حول دول العالم وخاصة ما يتعلق بديار المسلمين والاطلاع على حضارتنا. نحتاج إلى إنشاء مجموعات قيادية يؤصل فيها عملياً منهج الشورى والعدالة وفقه الواقع. نحتاج إلى لقاءات حرة مع الخبراء وأهل الرأي حول مسائل وقضايا في التاريخ القديم والحديث.

إن إنشاء أي منهج سياسي أو سيادي في دولة ما يحتاج إلى خطط. وأظن أن الدعاة ينبغي أو أتوقع أن يرتقي فهمهم وإدراكهم للعمل بهذه العقلية بالخطوات الممكنة.

ذكرت في بداية اللقاء الإحصاءات التقريبية عن واقع الشباب العربي. ألا ترى أن هناك تفاوتاً في واقعهم مما يتطلب مزيداً من الدراسة، والسرعة في المواقف العملية قبل أن تتغير النسب بشكل مخيف؟!

الدراسة حاصلة وإن كانت قليلة مقارنة بهذا الواقع، فلنا -بفضل الله- دور في مركز فور شباب للدراسات والبحوث والتطوير، لوصف الواقع بالمنهج التطبيقي السليم.

ولكني سأصارحك القول حول مسألة. أحاول أن أكتب في مقالاتي الشبابية وهي بشكل منتظم عدة مقالات شهرية، في أدق التفاصيل والمسائل بطريقة تحفّز عقل الشاب وتحرك وجدانه، وهذه الكتابات قليلة في المحيط الثقافي!

الشباب اليوم في الأعم الأغلب يعيشون حالة فراغ فكري إذ ليس لديهم القدرة الكافية على بلورة حياتهم وفق متطلبات الحياة.

لقد كان المفكر العراقي ـ علي الورّدي ـ يؤصل في العديد من كتاباته خطورة الأمثلة الشعبية التي تمنهج الفكر نحو التصادم مع الحياة!

وهذا ما أعنيه من ضرورة تفعيل خطوات عملية تفصيلية على جميع الأصعدة الفكرية والثقافية والنفسية والاجتماعية والترويحية والقيمية الإبداعية لأن مرحلة الشباب مرحلة تكوين خطوط فكرية تبنى عليها السلوكيات والتصرفات والقرارات والخيارات!

في ظل حديثنا عن واقع الشباب، ما الخطوات أو الأسرار التي يمكن أن تفصح لنا عنها في سعيك لإنشاء الاتحاد العالمي للشباب؟

لعله لأول مرة أتحدث عن هذا الموضوع الذي كتبت أصوله قبل أكثر من خمس سنوات من الآن في القاهرة في فترة الصيف. ولا شك أن الفكرة تطورت مع المواقف والمتغيرات ونظرات الإنسان.

أريد وضع صور تطلعية عملية للشباب نحو قيم ومشاريع متجددة تسعى للسلام وخدمة الأوطان ونصرة الإسلام. ولعل هذا الاتحاد يكون أحد بوابات التوجيه الشبابي ـ بإذن الله ـ.

هل لنا أن نعرف آليات هذا الاتحاد العالمي للشباب؟

كل ما تطلب بإذن الله ستجده معلناً في مؤتمر (فور شباب) الشبابي العالمي الثالث في مملكة البحرين فترة الصيف بمشيئة الله.

حوار لجنة الصحة الصالحة (الكويت)

[٢ ـ ٥]

نشـكرك على أن أتحت لنا فرصة اللقاء بك مرة أخرى، والصبر على أسئلتنا، ولطالما أننا ظفرنا باللقاء، فلا مجال إلا أن نعصـف هذه المرة بالأسئلة التي قد لا تتكرر؟

اللهم اجعلها رياحاً لا ريحاً!

(ما شاء اللّه) تأول كل شيء يمر عليك، فحدثنا عن ثقافتك الشرعية واستمداداتها؟

أنا طالب علم كغيري من الطلاب ربما منّ اللّه عليَّ وسهل أن وقتي هو ملك لي! بمعنى أنني حرّ القراءة، حرّ المدارسة، لا يشغلني دوام، أو أي إنسان.

(مقاطعاً) لا يسلب أحد وقتك، وأنت كثير اللقاءات والأسفار عبر الأقطار؟

كل ذلك بقراري واختياري، بشرط عدم شغلي عن التحصيل والأغلب أن هذه الأسفار هي من التحصيل، إما في اللقاءات، أو الانشغال بالقراءة والكتابة في كل منطقة أزورها.

هل نقول أن السفر أحد أسباب اطلاعاتك الشرعية؟

العلم الشرعي له طرائقه. فهناك جلسات متعددة مع شيوخ أجلاء في علوم مختلفة، وفي الأسفار قد أقابلهم لدراسة كتب بعينها، أو مناقشة آراء أستنير بها، أو فرصة للقراءة المستفيضة في العلوم الشرعية التي يعقبها لقاء أو لقاءات مع أهل العلم والمعرفة لتمام الاستيعاب.

هل لنا أن نعرف سياستك في النهل من العلم الشرعي حالياً؟

هناك علوم أقرأها على بعض العلماء في شؤون مختلفة، وهناك مسائل أناقش فيها المتخصصين، وهناك دورات متنوعة ألتزم بحضورها، وهناك مؤتمرات أستفيد منها، وهناك كتب أديم القراءة فيها، وهناك بحوث أكتبها وأطلب من الأصدقاء المختصين قراءتها والتعقيب عليها، وهناك زملاء ألتقي بهم للمدارسة، هذا بشكل مجمل.

هل قراءاتك الشرعية منتظمة؟

لك أن تقول ذلك بشكل نسبي. فقراءتي للقرآن بقراءاته في أول الأمر كانت على يد مقرئ متخصص، وكذلك فقد قرأت على علماء من ألبانيا والهند ومصر والشام دواوين السنة المطهرة، وهناك كتب وموضوعات قرأتها على علماء متخصصين ومتبحرين كالفرائض، أو البيوع المعاصرة. ومثلهم في علوم الآلة كاللغة العربية، بل وحتى الإنجليزية!

بالمناسبة كيف تعلمك للغات؟

في الإنجليزية جيدة والحمد لله قراءة وفهماً، ولي جلسات أظن أنها ستتمخض ولو بعملية قيصرية عن لغة فرنسية!

ماذا تخبِّئ في نفسك؟

فهم الحياة.

باللغات؟

العالـم الغربـي جزء من الحياة، ومـا ترجم لنا فيه الخيـر، ولكن التعمق يحتاج إلى جهد مضاعف، وقراءة لا تغتفر بالقلة ومحدودية اللغة!

دعنا الآن في موجة العاصـفة، أحب أن أسـمع رأيك حول التعددية الصـحوية (سلف، إخوان، تبليغ، ..)؟

هذه كلها تيارات تعيش وتتحرك بالوسائل لا المبادئ!

(مقاطعاً) وضّح؟

أي أن المبدأ لدى الجميع واضح، ولا إشكال فيه، وهو العمل للدين، والاتفاق على منهج الإسلام، وبقيت الوسائل التي تقبل وترفض، حسب منهجيتها وشرعيتها.

إذاً لا ترى أنها من الفرق المشتتة للأمة؟

ولا يراها الدارسون الواعون!

وحديث (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار..)؟

وما علاقة افتراقها بوجود تيارات عاملة تعمل وفق منهج الإسلام؟!

العلاقة أن هذه التيارات فرق افترقت عن الأمة؟

طيـب، مـاذا لو قلـت لك في الأمـة مئات الفـرق حالياً، أيٌّ منهـا الثلاثة والسبعين؟!

أنا الذي أسأل؟

يا أخي، هذه الفرق التي فرّقت الأمة وخرجت عن منهجها هي التي عناها الحديث. هذان هما ضابطا التفريق.

وثمة في الحديث ملحظان: أحدهما (تفترق أمتي)، فهم من أمته ولو افترقوا!

وثانيهما: (كلها في النار) وهي زيادة ليست من أصل الحديث المذكور، ولا تصح. وبالمناسبة تكلم عن هذا الحديث باستفاضة عشرات الأئمة والعلماء، ومن المعاصرين من له فيها دراسة مميزة وكلام نفيس، ومنهم العلامة الشيخ محمد الحسن الددو في كتابه (فقه العصر) الذي أعانني المولى على الاعتناء به وطباعته. والثاني (أضواء على حديث افتراق الأمة) للشيخ الأخ الصديق المحدث: عبداللّه الجديع.

إذاً أنت تؤيد الجماعات الإسلامية؟

أؤيد الحق من أي وعاء خرج، وتحت أي عباءة ظهر، وأخالف أي رجل أو جماعة حملت لواء التفريق المذموم، والخروج عن منهج الإسلام في إقامة العدل والحق والالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة.

كل التيارات الإسلامية تدعي ذلك؟

لست عالماً بنياتها وادعاءاتها، لي بما أشاهد وأعرف عنه.

وماذا عن رأيك في الواقع السياسي في بلاد المسلمين حكومات وشعوباً؟

أحسن د. يوسف القرضاوي في عدد من كتبه بتجلية هذا الموضوع الخطير، فالحكام أصناف، أكثرهم مشاغب على نفسه وشعبه، وأعماله تنطق

بين الانحراف عن منهج اللّه، والرضا به، أو الميل إليه! ونحن كشعوب مسلمة مسؤولون عن تطبيق أوامر اللّه في الأرض، بما أوتينا من قدرات وقدرنا عليه من امتلاك الوسائل التي تصحح المسيرة، وليس لنا أي خيار آخر سواه.

ماذا تعني بالخيار الوحيد؟

خيار الإصلاح السلمي، بالوسائل الممكنة التي في مآلها الدعوة إلى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وبكل الآليات المقررة شرعياً ودولياً.

حتى ولو بالدخول في البرلمانات المحرمة، والتحاكم إليها، والقسم على دساتيرها الوضعية؟

هذه مسألة أخرى!

قد بحثها عدد من العلماء الأكابر في البلاد التي تتحاكم إلى الدستور الديمقراطي بهذه الآلية.

وللإمام ابن تيمية في كتابه العظيم (السياسة الشرعية) وللعلامة القرضاوي كتاب من أنفس ما كتب بنفس الاسم، وللمجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء الريادة في كتابة البحوث العلمية الشرعية حول هذا الموضوع مما يجلِّي الصورة، ويؤصلها شرعاً ويتفهما واقعاً.

وخلاصة القضية هي سياسة شرعية تعود لفقه المصالح والمفاسد، ومنهج هذه الدساتير، التي قد تمنع بالكلية، وقد تقبل جزئياً حسب الحال والمآل. ردنا اللّه والمسلمين إلى كتابه رداً جميلاً.

في كتابيك (قضايا دعوية معاصرة) و(قضايا فكرية معاصرة)، نقاشات

شـرعية عدة، حول التعامل مع الكفار، والسفر لبلادهم، والإقامة فيها، ما هي خلاصة نظرتك، وكيفية الوصول لهذه النظرة؟

الإنسان ابن مجتمعه وثقافته!

فعندما تقرأ كتاباً صغيراً أو فتوى معينة في بلد عربي أو خليجي، وما فيه سوى بضعة أدلة، وبعض الآراء المحدودة، وفي النهاية أحكام قطعية، وخطابات تشنجية لكل من أخذ بالآراء الأخرى دون عرضها وتمحيصها، مع عدم الإلمام الكافي بواقع القوم فهنا الخطر المحدق.

ما ذكرت بعضـه وعشرات من المسـائل المشابهة عشتها في بلاد الغرب، وقرأت عنها باستفاضة، وناقشت العلماء الأكارم عنها، بل واطلعت على الرسائل العلميـة المخطـوط منهـا قبل المطبوع حول هذه المواضـيع وخاصـة في بلاد الغرب التي كتبها علماء أجلاء، أو حتى ما هو منشـور ضـمن دوريات ومجلات غير مشـتهرة. ووصـلت إلى الرأي الوسـط الذي قدمه غيري، وأنا واحد ممن قدّم هذه المسائل لأبناء جيلي بطريقة علمية شرعية مرتبة ومستفيضة ومقنعة.

كأني ألحظ عتابك على بعض فتاوى العلماء؟!

ليسـ عتبـاً، فهم في المكان الأسـنى، ولكـن بكل أمانة هنـاك فتاوى غير مستفيضة وعاجلة الحكم.

وأذكر بالمناسـبة أحد العلماء حدثته في مسـألة ذكر فيها الإجماع، وقلل عبر شاشـة التلفاز من تبنى هذه المسـألة في إحدى المجالس الفقهية. فقلت للشـيخ الجليل: هلاّ اطلعت على الدراسـة الوافية المخرجة الموفقة حول هذه المسألة والتي تبناها المجلس الفقهي الموقر. قال: لا!، قلت: وكيف حكمت على ما وصـل إليه، وفي بيانهم الختامي أنهم وصـلوا إلى ما وصلوا إليه بعد بحوث ونقاشات جادة؟!

ووعدت الشيخ الجليل بإرسال نسخة من بحوث المجلس الفقهي احتوت على تفاصيل هذه المسألة من ناحية شرعية متينة!

لو انتقلنا إلى مساحة نخفف فيها على القراء. رأيك في الإيقاعات الصوتية وانفتاحك عليها، وتحفظك على الموسيقى؟

كتبت بتوفيق اللّه، كتاب (الفن المعاصر.. صوره وآثاره.. فلسفته وأحكامه)، واستودعته ما وصلت إليه من رأي بعد طول قراءة، وطول مناقشة.

فالإيقاعات على تنوعها أرى فيها الإباحة وتعضدها بالجملة الأدلة، وبعضها حديث الأداء لم أر فيه ما يمنع.

والموسيقى ذكرت فيها رأي المانعين ووجه منعهم، ورأي المبيحين مع ذكر تحفظاتهم التي غالباً ما تذكر.

وملت للتحفظ في كثير من الجوانب خاصة مع واقع العصر، مع الأخذ بأقوال كبار الأئمة في جانب محدد، مع تفهم وتقدير رأي المبيحين بشرط ذكر شروطهم، أو ما أسموه بعوارض السماع. وفي الكتاب لمن قرأه أو اطلع عليه في النت ما يشفي إن شاء اللّه.

ذُكر أنك في إحدى الرحلات الصيفية ومعك عشرات الطلبة والطالبات، أذنت بالجلوس مع بعض الأشياخ الذين هم من رموز الصوفية المنتقدين بشدة في المملكة ودول الخليج؟

يا أخي ليس الإنسان مرفوضاً بالجملة ومقبولاً بالجملة. كان معي عشرات الطلاب، ولم أعلم عن وجود هذا الشيخ ولم يكن مدعواً أصلاً، فجاء به مسؤول البرنامج فقلت للحاضرين حينها: أما وقد حضر فحياه اللّه، والحق نسمعه من الكافر فكيف بالمسلم؟ والحق ليس مطلقاً لأحد، فخذوا ما ترونه

نافعاً موافقاً للدليل، وأنتم على وعي ومعرفة بالواقع، فلا يشغلنكم المهولين، ولا يستهوينكم المغفلين!

وكان اللقاء جيداً ومفيداً، ذكر الشباب بعدها ما ينم عن فهم شرعي، وعقل مقاصدي، وأدب نبوي، وتفهم واقعي.

وماذا عن الشباب والبنات في قاعة!

وماذا عن حضور الرجال والنساء في مسجد الجماعة!

تقصد الاختلاط؟

لا، باختصار، الشباب في جهة، والنساء في جهة أخرى آخر القاعة، ولا جلوس بينهما ولا لقاء، والفتاة تسافر مع محرمها.

ولا تهاون في هذا الأمر. بل وفي لقاءاتنا العامة النساء في آخر المجلس بكامل حشمتهم، ولهم باب مستقل، وبرنامج خاص مستقل، ولو أردنا أخذ الراحة وضع الساتر بينهما.

هناك من الدعاة الجدد من يسَّر الأمر أكثر من هذا مع الضوابط؟

لا أرى الصواب فيما فعلوا، وليس معهم دليل أو حجة على نتائج ما يحصل!

تعتقد أنهم يقومون بهذا من غير دليل أو حجة؟

ليس كل ما يقومون به خطأ، وليس كل ما يقومون به صواب.

هناك تصرفات وسلوكيات وضوابط ليس لها وزن شرعي، وبعض النتائج حاكمة!

أنت تتعايش مع الجميع، ولا تخشى من كلام الناس؟

من الجميع؟

أصحاب التيارات المختلفة إسلاميين وغير إسلاميين؟

من يمنع؟

كلام الناس؟

أنا أمثِّل نفسي، والحق الذي أراه وأعمل به.

هل أنت مستقل الفكر والمنهج؟

كل إنسان في الحياة مستقل وتابع!

كيف؟

الأصل أنه مستقل بقراره، بأفكاره، بمستقبله، بطريقة دعوته، بعلاقاته، بنشاطه، بمتعته.

وتابع لوطنه وقوانينه، وأهله والتزاماتهم، وأقاربه وارتباطاتهم، وأصدقائه وهمومهم، وهكذا...

شيوخك متعددوا المدارس، فأنت قرأت على الشيخ عبدالعزيز بن باز، والأرناؤوط، وحسن أيوب، ومحمد الزعبي، ألم تتأثر بمنهج محدد؟

أنا عالمي الفكر، سلفي المعتقد والمنهج، حركي الدعوة، إنساني العلاقة، أحب أزكياء الروح، وأصحاب أساطين العقل.

صب هذا كله في إناء و قل أمام الملأ هذا (مشربي)، الذي عليه نشأت، وعليه ألقى الله إن شاء الله.

من أكثر العلماء تأثيراً في حياتك؟

إن حددت أحدهم ظلمت الآخرين.

ففـي كل بلـد أئمة، ولكـن ممن يمكن ذكرهـم من المتقدميـن ممن كنت أواظب على حضـور مجالسهم على سـبيل المثال: الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، والشـيخ محمد الزعبي، والشـيخ عبدالعزيز بن باز، ومن بعدهم: الشيخ حسن أيوب، والشـيخ عبداللّه بن بيه، والشيخ محمد الراشد، والشيخ عبداللّه جودت، والشـيخ: عبـداللّه الهندي، والشـيخ علي الطنطاوي، والشـيخ: محمد الحسـن الددو، ومن علماء الفكر: د. عبدالوهاب المسيري، والشيخ: محمد قطب. ومن بعدهـم: عشـرات في كل علـم وفن، كالشـيخ: خلدون الأحدب، والشـيخ أحمد العلـي، وغيرهـم، ولا يغني ذكر أحدهـم عن الآخر، ولعظيم فضـلهم ذكرتهم بالثنـاء فـي كتبي ومقالاتي بيـن فينة وأخرى، ليعرفهم الجيـل، ويقدروهم حق قدرهـم، وربما سـاهمت بخدمتهم والسـعي لإبراز أعمالهم ومشـاريعهم، وهم والحمد للّه في أكثر من قطر، بقدر ما مكنني اللّه من جهد وسعة.

يقولون عنك الشيخ الشاب؟

بل شاب يسعى أن يكون خادماً للإسلام وأهله.

على كثرة أسفارك ولقاءاتك. ما هي البلاد التي أنست فيها بالعلماء؟

جمع اللّه تعالى في بلادنا الحبيبة (المملكة العربية السعودية) العلماء من كل الأقطـار، إمـا إقامة أو مروراً لفترات متعـددة، فهم واللّه نور البلاد، وأحد أسرار عزها ونهضتها.

وفي البلاد الأخرى علماء نوادر، وجواهر ثمينة، تتطلب الرحلة إليهم.

بالمناسبة هل تكتب الشعر؟

نادراً، وما كتبته كان في الطائرة أو أثناء السفر، وأحياناً مع نسمة الصباح.

ما مضامينه؟

ما أحمله من فكر، وأحلم به من عيش كريم، وما أتمناه من نشر للجمال.

لو لخصت هدفاً محدداً تدعوا إليه ولا يسمح لك بسواه، ما هو؟

الحرية!

موقفك كإسلامي من الوطن وتياراته؟!

أعشق الوطن وأهله، والقيم وفضائلها، لذا لا أسافر طويلاً، ولربما وجدتني في سويسرا التي أراها لأول مرة، وهي التي تغنى الناس بالرحلة إليها، لا أمكث فيها سوى يوماً واحداً، وأعود لبلدي وأهلي ومجتمعي الذي يغلب عليه الفضل.

وماذا عن الإسلاميين حول موضوع الوطن؟

هم واللّه أحبُّ وأعشق، ولكن تعبيرهم لم يسعفهم، وبعض التناوش شغلهم عن التغني بنعم اللّه عليهم.

والوطن لوحة جميلة، وهو شيء آخر غير تخلف الإنسان وسوء تعامله!

والمواطنة بالتي هي أحسن، فكرة بغيضة، وحب مصطنع. والمواطنة بالمداهنة، والقبول برزايا الأخلاق الآسنة، ككنز مسروق، نكره السارق، وندفع الثمن لإرجاع كنز العزة والكرامة والحرية!

وفي كتابي (حول المنطلقات الفكرية والدعوية) ما يوضح فكري.

وهل الصحوة تقدر هذا المفهوم؟

المطلوب منا كلنا أن نصحوا من غفلتنا، وننهض بوطننا، فكلنا صحوة واحدة، ومواطنون لا فرق بيننا، حاكمنا بشرع اللّه فوق العين، وإخواننا على اختلاف نظراتهم مقدرون ومحمولون على أكتافنا. والطاعة للّه وحده، والوطن للجميع.

حوار لجنة الصحة الصالحة (الكويت)
[٣ـ٥]

أظن أن هذا اللقاء يختلف عن كل اللقاءات السابقة معك. هل تتوقع ذلك؟

لم أسمع أي سؤال إلى الآن. وعموماً يقولون: الإنسان مخبوء لسان. فأسأل الله الحكمة وفصل الخطاب!

أخبرتك قبل اللقاء عن خطوط عامة للقاء. فوجدتك مطمئناً. هل تحس بالرضا عن ذاتك وعلاقاتك؟

سؤال صعب!

هذه البداية يا مولانا!

عموماً أنا من النوع الذي يفكر كثيراً، ويطيل الجلوس مع نفسه، وألتقي مع النفس في أشياء وأختلف معها في أخرى!

أخبرتك في أول اللقاء أن الموضوع يحتاج الصراحة؟

تفضل.

كيف اختلفت مع النفس؟

اللّه عـز وجـل فـي القـرآن يقـول: (إن الله لا يغيـر ما بقـوم حتى يغيـروا ما

بأنفسهم) وكنت دائماً أتساءل مع عودتي لكتب التفسير. ما معنى قوله تعالى: (حتى يغيروا) ومن هم المطالبون بتغيير أنفسهم. فهل هناك شيء غير النفس يغيرها!

هل تريد أن تقول أن النفس قد تفرض شروطاً أو آراء لا ترتضيها؟

نعم، ولم لا؟ ألست نفساً بشرية؟ وكنت قد قرأت للإمام ابن القيم في «إغاثة اللهفان» أن النفس تمر بمراحلها الثلاثة (المطمئنة ـ الأمارة بالسوء ـ اللوامة) في ساعة واحدة!

ولكن المرء يستعين بالله، ويرنو نحو ما يرضيه.

لنعد إلى فكرتنا الأساسية في الحوار. هل تشعر بأن لديك خصوماً؟!

لماذا هذا السؤال الهجومي؟ هل لي أن أتساءل عن سبب هذا السؤال، وعلى أي أساس بنيته، أم مجرد سؤال مثير؟!

اتفقنا قبل اللقاء على أن ترد على أي سؤال، مالم تر عدم الرغبة في الرد بشرط أن أذكر عدم موافقتك على الإجابة. إذاً هل تريد أن أعيد السؤال السابق؟!

الأمر يسير جداً. أنا وبفضل الله لا أعادي بشراً وليس لي أي خصوم مع أحد. بطبعي إنسان أميل إلى الحرية. إلا أن يكون خصمي ممن يريد تقييد حريتي!

ومن هم الذين يريدون أن يقيدوا حريتك، ثم ما هي الحرية أصلاً التي تميل إليها حتى لا تُفهم خطأ؟

الحرية الإنسانية، حرية الأفكار، حرية العيش الكريم، حرية التطلعات، حرية اختيار المنهج، طالما لا تنفصل عن قيمي وأصولي الدينية.

بل حتى أن من حريتي أن لا أرجع للوراء في أفكاري ولا أفكار الآخرين طالما لا تتصادم مع نص. أو بتعبير الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ مراجعة لا رجوع!

هذا جواب عن شق من السؤال. وماذا عن وجود خصوم؟

قلت لك هذه هي الحرية التي أؤمن بها، وأدعو لها. من أراد أن لا تكون لي أفكار حرة، ومشاريع متحركة متحررة، أو عيش كريم، أو تطلعات عملاقة، ربما يكونوا خصوماً من قبل أنفسهم!

ولكنك ما شاء الله مليء بالأفكار والمشاريع الواقعية. وهذا يعني إقرارك بوجود خصوم؟

لا، ليس بهذا المعنى المباشر. قد لا يتفهم البعض واقعك، وهمومك، وخططك، فيعترضون على بعض ما أقوم به من مشاريع أو أتبناه من رأي فيذكرون في المقابل آراءهم، ولو كانت حادَّة، فيظنهم البعض خصوماً!

في أي خانة تصنف نفسك: (شيخ، إعلامي، داعية)؟

أنا لا أبحث عمن سيصنفني. يكفي أن يختار الناس ما يدلهم ربي عليه، ويمليه عليهم ضميرهم!

وإن أصررت على تصنيفي، فأنا مع أبي العلاء المعرّي:

القول سهلٌ باللسان وإنما ... بالفعل يُمتحن الفتى ويُصنَّفُ

دعنا من الناس، أنت ماذا تريد أن تكون بين هؤلاء؟

الإنسان العاقل يحترم قدراته، كل ما أستطيع أن أقدمه بشكل محترم ومتقن سأقدمه إن شاء الله. وإذا صنف الناس بعض هذه الأعمال ضمن عمل الشيوخ أو الإعلاميين أو الشباب، فهذا وشأنهم.

لكن مع هذا وأنت تعرف الفكر التخطيطي جيداً. أليس لك رؤية حول نظرة الناس لك؟

والله صدقني أنني مؤمن بقاعدة: كل ميسر لما خلق له. كل ما لدي من قدرات علمية أو دعوية أو مشاريع شبابية في حدود ما وفقني الله إليه سأسعى لإتقانه وبذله، وما قدره المولى لي سأقبل به وأشكره عليه.

في إحدى المقالات كتب أحدهم عنك المقدرة ـ ما شاء الله ـ على استثمار المحسنين لمشاريعك. هل من طريقة لإنارة القراء بكيفية هذا الأمر؟

قال ـ بعد ابتسامة عريضة ـ: سأذكر لك قصة حول هذا المعنى.

كنت عند أحد المحسنين فسألني عن تبني مشروع خيري بعد نجاح المشروع الأول الذي أعلنت عنه سابقاً وقد ساهم فيه بشيء يسير جداً. وهذا المشروع لم يكتمل بعد، وإن كان قد أنجز منه (٧٠٪) تقريباً.

قال: ألم يعدكم عدد من المحسنين بإنجازه؟

قلت: أنتَ أعرف بالمحسنين مني، الوعد شيء، والوفاء به شيء آخر!

باختصار: أنا أجتهد مع من أستطيع إقناعهم بفعل المعروف في مشاريع معروفة، ومن يسخره الله فله حظه من الخير.

علاقتك وطيدة بجملة كبيرة من العلماء والدعاة في الداخل والخارج. والسؤال الأصعب ليس في قوة هذه العلاقة، إنما بمدى علاقتك بالمسؤولين على جميع المستويات؟!

أي مسؤول يمكن أن يخدم الشباب ويفعل المعروف أتواصل معه أيا كان. والدليل خطاباتي لعدد كبير من المسؤولين والوجهاء.

وإذا كانت المشاريع تمضي بخطوات صحيحة وعلمية، فالحاجة للمسؤول منطقياً لا حاجة لها.

أحدهم كتب مقالة عن تنقلك في الطرح وتركيزك عبر محطات بين الدعوي الصحوي المحض إلى الغنى الطربي ـ وعذراً على اللفظ ـ إلى الشبابي المنفتح. ما رأيك؟

أولاً: أنا لا أنتظر أي إشادة لكي أتقوقع في مكان ما.

ثانياً: انظر في تحركاتي وصنفها بعدئذ.

ماذا تسمي المؤلفات العلمية والتحقيقات الشرعية والمجلات الفكرية؟

ماذا تسمي المشاركة شبه المنتظمة في المؤتمرات واللقاءات والبرامج الثقافية؟

ماذا تسمي الحضور في الهموم الإسلامية الصغرى والكبرى بالكلمة والفعل قدر المستطاع؟

ثم انظر أليست هي في المتفق عليه شرعاً، بل وفي ظل ما تدعو الحاجة إليه؟

أظن أنه بهذه المنهجية سنجتهد، لست ولا غيري ممن يعرف واقعه وقدرته وحدوده سينتظر من في الخارج ليحدد لنا مواهبنا وعطاءنا، اللهم إلا النصيحة والتوجيه من العارف!

ألم يسبب لك هذا الطرح المزدوج بين طرح الشيوخ العلمي وطرح الشباب المنفتح لدرجة إنشائك رابطة الفن الإسلامي، وقناة فور شباب، أن لا يكون لك اسم ثابت أو موقع مقنع بالأخص عند الشيوخ؟

ما أراده الله كان. وما أراده عملياً على جميع ما ذكرت مطمئن إليه جداً والحمد لله. المسألة ليست في كلام بعض الناس، المسألة في القبول من رب العالمين.

سؤال أرجو أن لا يكون محرجاً لك. هل دخلك يوازي إنفاقك؟

اقرأ سيرة الشيخ بن باز ـ رحمه الله ـ فلا أظن أنني بعيد عنه في منهجيته في هذا الجانب. والله المعين.

اختيارك في الآونة الأخيرة إظهار بعض مشاريعك والتأكيد على انتمائك لها بوضع الصور على بعض إعلانات قناتك «فور شباب» وغيرها. تفسيرك لهذا؟

تقدير المصلحة من طرف، وإثبات بعض الحقائق التي كنت بحاجة إلى إثباتها عند من ينبغي أن يفهم عملي الواضح نحوها. والمسألة في الختام تقديرية وفي حدود معينة. علماً أنني استشرت فيها من أثق بدينه وعلمه ووعيه.

قطعاً أنني أتفهم هذا. ولكن مجرد عرض بعض الاستفسارات. ألا ترى لو عدنا للسؤال السابق أنه بحكم علاقاتك مع جملة من العلماء والدعاة أن هناك ممن يحبك ويعرفك يستغل علاقتك به أو أي سبب آخر للإساءة إليك؟

قطعاً هذا حصل ويحصل. فهناك ممن نحسن إليهم يسيئون التصرف في تقدير حجم الإحسان إليهم فيستغلونها خطأ ـ لا عمداً ـ إن شاء الله، في أمور مختلفة، وإن كنت أحاسبهم على تصرفاتهم إن بلغني عنهم ذلك. ولا شك أن بعضاً من أعمالهم مما يؤرق النفس ويزعج الخاطر.

أين المنبر الحر؟

وافقت السلطات العليا على الموافقة على العودة للمنبر الحر، ولكن بعض الجهات الدنيا جمّدت الأوراق. ولست بحريص على هذا الأمر هذه الفترة.

قال البعض وعذراً: الأخ علي لا يبالي بأحد، وبعضهم قال: يغامر لوحده. اختر؟

لـو حلفت لك أنني بسـيط لأبعد درجة، ومتأمل لأبعـد درجة لربما تفهمت لماذا قال ويقال وسيقال عني ما ذكرت!

عندي قناعة أن أعمل أكثر مما أتكلم، ومن تكلم شـرحت له وجهة نظري وغالباً ما يقتنع!

في مجموعة من مقالاتك ذات السلاسـل ركّزت وأكدت علـى فتح باب الحوار والجلوسـ مـع أهل الـرأي والتجربة والخبـرة. لماذا تأكيد هـذا المطلب حتى عرفت بالشيخ الشبابي المتفتح والذي يطلعهم على كل شيء؟

سـل عن سـبب هذا الطرح الشـباب الذين ألتقي بهم في المحاضرات أو الـدورات أو حتى اللقـاءات العابرة سـتعرف لماذا يقبلـون ويطمئنون للجلوس معك.

هل لك قناعات طائفية؟

لي قناعات محلية وأممية.

أفصح؟

أحتـرم كل الأوطـان، وأتشـرف بالدعوة والعمـل داخل الوطـن. وأفكر في خدمة هذه الأمة، وليس عندي أي مجال في فكر التجزئة إنما في العمل الجاد الواضح بآلياته الصحيحة جماعياً أم فردياً حكومياً أم دولياً.

ما سر تمسكك بالطرح السلفي العلمي والطرح الشبابي المنفتح رغم تعارضهما؟

الخطيئة التي يقع فيها بعض الشباب فريسة حجزهم في إحدى التيارات، والاسـتغناء عن عطاء كلا الفريقين. والعاقل من يحسـن الأخذ من كليهما مع إيمانه المطلق بعطائهما، والسـعي كمسـلم للتوفيق والتقريب في وجهات النظر وتوحيد الرؤى الكلية والعمل في المشاريع العامة.

ماذا تخبئ في الجامعة والمعهد والمجلة والقناة؟

رؤية حضارية، واستعادة لروح المبادرة.

هل روح الحرية التي ذكرت آنفاً هي سبب جعل أحد وكلاء وزارة الشؤون الإسلامية يقول عنك: أنت رجل جرئ؟!

كلمة الحق هي الجراءة بعينها.

آخر حوار دار بينك وبين نفسك؟

التأكيد على أن أعيش متماسكاً وسليماً، ولن يضرني بعد ذلك شيء.

أمر تدعو اللّه به؟

أن يحفظ عليّ عقلي!

حوار لجنة الصحة الصالحة (الكويت)
[٤ـ ٥]

لو حدثتنا عن مشروع (فور شباب) ... البداية والفكرة؟

أشكركم مرة أخرى على هذه الاستضافة، واهتمامكم بموضوع قلَّ من يهتم به، وهو الإعلام الهادف.

مشروع (فور شباب) هو مشروع شبابي متكامل، يهدف إلى توعية الشباب بمفاهيم الإسلام وما يدعو إليه من علم وعمل، وتدريب الشباب وتأهيلهم بالطرق والوسائل الصحيحة قدر الطاقة ضمن مجالات اهتماماتهم، وتفعيل طاقاتهم في مشاريع تنموية ممنهجة لنفع الوطن والمجتمع والمسلمين بشكل عام.

وماذا عن البداية؟

بدأنا تحت مسمى (شباب المستقبل)، ولا زال الإسم قائماً، وبه أسمينا مكتبنا الرسمي في مملكة البحرين (مركز شباب المستقبل للدراسات والبحوث والتطوير)، ثم اختصرناه بكلمة (فور شباب) أو (*4shbab*) بالإنجليزي، مراعاة للتسجيل في بعض الجهات التي تحفَّظت على الاسم الأول من الناحية الإعلامية.

وكان في مخيلتنا منذ البداية تكامل العمل الشبابي. نعم قد لا يكون

بالمفهوم الذي نحن عليه الآن، ولكن المشروع المتكامل كان واضحاً منذ البداية.

ما الأعمال التي بدأتم بها؟

بدأنا بعد رسم المشروع بمجلة (الفتيان) منذ عشر سنوات تقريباً والتي حولت لمسمى (فور شباب)، وسلسلة كتب (شباب المستقبل) بعد ذلك، ثم موقع (فور شباب). هذه البداية.

وماذا بعد ذلك؟

ثبتنا المشروع بمسمى (فور شباب)، ثم انطلقنا بمشاريع استراتيجية.

حدثتنا عن البداية، فماذا عن النهاية؟

انتهى بنا الأمر إلى وضع خطة إستراتيجية قصيرة المدى ومتوسطة المدى وبعيدة المدى.

فالقصير منها شملت المجلة والموقع وبعض الإصدارات. والمتوسطة منها شملت المجموعات الشبابية ومركز البحوث والتطوير، والبعيدة شملت القناة والمؤتمرات والمنظمات الشبابية ضمن (الاتحاد العالمي للشباب). وكل هذه المشاريع مكتوبة ومطبوعة ومتداولة.

لو بدأنا بأكبر هذه المشاريع وهي (قناة فور شباب) .. ما هي فكرة القناة، والشريحة المستهدفة منها، ومتى كانت البداية؟

قناة (فور شباب) قناة شبابية فنية هادفة. هذه الكلمات الثلاث هي مختصر رسالتنا.

فنحن نخاطب الشباب (ذكور وإناث) بلغتهم عبر البرامج الهادفة

والمسابقات المتنوعة والتدريبات النافعة والتوجيهات المؤثرة، وهي فنية تحوي الدراما والفيديو كليب، وكل ما سيعرض سيكون إن شاء اللّه نافعاً ومفيداً وهادفاً ومنضبطاً.

وكان البدأ في ١ محرم ١٤٣٠هـ.

هناك جدلية دائماً ما تطرح وخاصة هذه الفترة بعد تعدد القنوات الإسلامية ما موقفكم من ثنائية ظهور المرأة والموسيقى؟

المسألة في تقديري تجاوزت حدود البحث النزيه، والتوصيف الصحيح.

لدينا مئات القنوات المفسدة والمؤثرة، ولدينا مئات البرامج الموجهة لتغيير المجتمع.

مشاركة المرأة ودخول الموسيقى بالضوابط التي ذكرها المبيحون لا تعدو أن تكون قضية فقهية تتجاذبها الآراء، وإن كنا نحتاط لديننا.

هناك قضايا متفق عليها بين علماء المسلمين لن نتجاوزها بإذن اللّه، ولن نقبل أي حجة في هذا.

وفي المقابل هناك مسائل يسعها الدليل الشرعي. والمرأة في قناة (فور شباب) لن تظهر بالعموم إلا في بعض المواقع التي يقتضيها حال البرنامج التصويري لقضية اجتماعية أو أمنية بشرط الالتزام التام بالضوابط الشرعية المقررة عند العلماء.

والموسيقى كذلك، فالأصل في القناة الاستغناء عنها بالبدائل الصوتية التي نؤمن أنها خالية من أي آله موسيقية ولو ظنها البعض آلة. وقد توجد بنسبة ضئيلة جداً بعض الآلات الموسيقية إن كان وجودها عارضاً.

ولي بحث فقهي مهم يحمل عنوان (المرأة والموسيقى)، آمل أن تكون فيه

الإجابة الشافية لمن أراد البحث المنهجي في هذه المسألة.

ويوم يستحي التجار المسلمين والدعويين على وجه الخصوص من تخلفهم عن دعم الإعلام الهادف حينها سيكون خيارنا الأخذ بالعزائم والأكمل في تقديرنا!!

ما هي أكبر المعاناة التي وجدتموها؟

التمويل والاستثمار في الإعلام.

إذاً هل ستكونون نسخة مكررة من القنوات الإعلامية الإسلامية؟

لا، نحن قناة متخصصة للشباب بأسلوب الشباب وتفكير الشباب، مع الرقي والإبداع وجودة المضمون. مع احترامنا لكل القنوات الأخرى في التخصصات المختلفة.

ما وجه التحدي في قناتكم؟

الكلام كثير، وسيرى كل من يشاهدنا ـ بإذن الله ـ أننا نراهن على إعلام هادف لا يقل جودة ولا إبداعاً ولا إمتاعاً عما هو موجود في أرقى القنوات بلا مجازفة. ولكن التحدي الأكبر هو لدى الجمهور المساند والمعلنين والممولين!

ألا تخشى من انقطاع المعلنين والممولين مما يضعف القناة؟

سنبدأ بمفهوم القوة، ولكننا قطعاً لن نبدأ من حيث انتهى الناس، لأننا نحترم بداياتنا ونقدر واقع غيرنا!

ألم تفكر القناة في مشاريع تسويق؟

بلى بدأت، وهناك من هو متخصص لإدارة هذا العمل باقتدار، كما أنه

هناك اجتماعات أسبوعية للمتابعة والتجديد. لن نتواضع عن النزول لأي ساحة تمد يدها، عموماً نحن مؤمنون أن الجهد الأكبر يبدأ بنا، ويلي ذلك المؤسسات والشركات المعلنة.

ذكرتم قبل قليل الدراما. فهل يا ترى هي دراما كما نشاهد ونسمع، أم هي على طريقة (الاسكتشات)؟

للأسف أننا صرنا نتندر بالأعمال الدرامية الإسلامية!

وجزء كبير هو الحق والحقيقة!

الدراما عالم كعالم الكواكب!

لقد كلفنا فيلم تمثيلي واحد لمدة ساعة ونصف قرابة نصف مليون ريال، وفي خطتنا عشر مشاهد درامية سنوية، ومسلسل رمضاني. كلها ترفع شعار الجودة والإتقان والإبداع وسلامة المضمون وروعة القيمة. فتخيل كم سندفع، ولكن لا تتخيل كم نملك؟!

ألا تظن أنكم تعيشون في دائرة الأحلام، وأنت تقول قبل قليل أنكم لا تملكون ميزانية كافية؟!

معك حق. ولكننا عندما بدأنا القناة ونحن في دائرة الأحلام أنفقنا بتوفيق اللّه وبجهد الداعمين المختلفين وبكافة الطرق والوسائل والآليات ما جعلنا نصل إلى ما نحن عليه من رضا عن الهوية والشكل العام والبرامج المبدعة.

أنا مؤمن أن اللّه مع من يسعى لنصرة دينه، ويأخذ بجميع الأسباب التي أراد اللّه لها أن تكون سبباً للتمكين.

أحياناً يا أخي لا أحمل هم المال بقدر ما أحمل هم المضمون جودة

وإبداعـاً واسـتمراراً علـى منهج القنـاة وروحهـا، والرغبة العارمة أن تشـارك الشباب حياتهم بشتى صورها.

وأحيانـاً أفكّر بالمال ومن يدعم الأفكار التي سـيرى بعضـاً من إبداعاتها وجودتها كل من شاهدها.

الذي قدَّر لنا أن نكون يقدِّر لنا بإذنه بأن نكون جنداً مخلصـين ماضـين لنصرة دينه وأمته.

لو عدنا إلى أبجديات (فور شباب) من مجلة إلى قناة ومن أفراد إلى مجموعات ومن برامج محلية إلى عالمية .. هل لنا أن نعرف طبيعة مشاركة العاملين معكم؟

قلـت لك أننا بدأنا بالمجلـة وبعدها المنتدى والمواقع، وكنا أفراداً قلائل، واليوم والحمد للّه مجموعات. كنا منذ البدايات نسعى في وطننا الحبيب واليوم ننقل التجارب إلى دول متعددة، بل وبكل اعتزاز وفخر يأتي إلينا من يريد نقل التجربة في بلادهم.

اليـوم نسـعى للتخصـص وتوزيع الأعمال بشـكل حرفي، مـع بركة وتوفيق يتفضل المولى بمنحنا إيَّاها نجدها في الخطوات التي نمر بها.

وماذا عن طبيعة الشباب..؟

خطابنا لكل الشباب، بكل همومهم واهتماماتهم.

نخاطب الشـباب المثقف والسـاعي للثقافة بشكل كبير، فلدينا معهد علمي وجامعة، ومشاريع تثقيفية ومسابقات لتنمية هذا الجانب.

لدينا برامج ترفيهية وإمتاعية. لدينا برامج تدريبية وتطوعية. لدينا الأفكار المبدعـة، والطاقـات الفاعلـة. لدينا الإمكانيـات والحمد للّه، تنقصـنا النيات الصادقة، والعزائم البانية، والأيادي الحانية المعطاءة.

لو أراد البعض أن يقف على نتائج تجربتكم في فور شباب في الفترة الماضية؟

نسأل الله القبول. وجزى الله كل الشباب الذين يضحون بكل ما يملكون لنجاح المشروع.

الأرقام تتكلم ... مجلة شبابية مبدعة ومحبوبة من الشباب، وهي تتزين في عرس جديد.

منتدى وموقع فيه عشرات الآلاف من الأعضاء.

ملايين الصفحات المزارة في كافة المواضيع والميادين.

عشرات الرسائل بين مطبوع ومعد للطبع.

مؤتمرات وجوائز عالمية، كجائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي، ومؤتمر فور شباب العالمي، ورحلة الحج، وعشرات الفعاليات التطوعية الكبيرة والصغيرة العامة والخاصة.

مشروع (فور شباب) باختصار لبنة من لبنات الدعاة المصلحين، وذراع من أذرع التوجيه في الأمة.

وهو مسكون بحب الأوطان، والرحمة بالإنسان.

هو مشروع حضاري شبابي يمد يده لكل شاب بكل المحبة والتقدير والتشجيع.

حوار لجنة الصحة الصالحة (الكويت)
[٥ـ٥]

بين يدي الآن ومن خلال مقابلة سابقة معك اسم أربعين كتاباً، أكثرها طبعت وبعضها تحت الطبع، ومضامينها مختلفة، بصراحة أعرف أنك مشغول، فيا ترى متى تكتب، وكيف تم هذا التنويع؟!

خط الإنتاج عندي غير محدد!، فأنا كالشيخ الطنطاوي أبدأ بمشروع أحياناً حتى أكمله، وأحياناً أبدأ به وأرى غيره أهم فأتركه، ثم أعود إليه وأجمع وأكتب حتى يكتمل في نظري.

وقد وجدت أن كثيراً من العلماء يسيرون على هذا النحو. وأنا أتفق معهم في بعض الكتب دون بعضها، إذ إن كتابة بعض الكتب تعود لشيء نفسي، واحتياج لحالة ووضعية معينة، وأحياناً أنت بحاجة إلى اعتكاف بشكل دائم.

وهذه الصور كلها عشتها في عالم التأليف، فالكتب التربوية أو الأدبية أو الفكرية تتشكل فيها الأجواء، بينما الكتب العلمية فالغالب أنني أعتكف لساعات محدودة كل يوم لا أتنازل عنها نهائياً. والمهم في النهاية أن يخرج الكتاب بالصورة المنهجية المرضية.

كتابتك في مجالات مختلفة، أين التخصص؟

أنا لا أكتب أبحاثاً متخصصة إلا فيما أحسن، بينما التنوع فهذا يعود

للثقافة والإطلاع، ولا أجد ولله الحمد أي مشكلة في القراءة المتنوعة، واصطياد المفيد في المجالات المختلفة، وتشكيل رؤية أحسب أنني اجتهدت في جمعها وتحليلها، ومن ثم عرضها على المهتمين.

هل تحس كمؤلف في سن الشباب أن هناك عمقاً فيما تكتب خاصة مع عشرات الكتب المؤلفة؟

الأمر يعود إلى القرّاء ونوعية الكتب!

كيف يحكم القراء، وهل العوام يحكمون؟

ومن قال أن ما أكتب هو للعوام فقط؟!

هناك كتب علمية شرعية، ودعوية تربوية، وفكرية منهجية، ومنوعة عامة، وهذه الشرائح مختلفة.

وليس بالضرورة الرضا التام عن كل شيء، المهم هو التقدير والاحترام لعقول القراء. وأنا ألمس بحمد الله النجاحات فيما أكتب من العلماء والمثقفين وعموم الشباب، وتعدد الطبعات لكل المجالات أحد المؤشرات.

إنني لست متشائماً ولكنني أمارس دور المحاور؟

لك كل الحق.

الحقيقة أنني أغبطك في مثل عمرك بمثل هذا الإنتاج بين التأليف والتحقيق، كيف ترتب وقتك حيال ذلك؟

المعين هو الله وحده. وأحاول قدر المستطاع أن أخصص وقتاً للقراءة والمراجعة، والإطلاع. كما أنني أحسن جمع الفوائد والفرائد في ملفات أقوم بتوظيفها عند الحاجة إليها.

إن سلف الأمة ـ رحمهم الله ـ قدّموا علوماً نافعة لنا، واستثمروا أوقاتهم بشكل صحيح. ونحن نحاول المضي على هذا الطريق، وصدقني لدينا الكثير، ولكن نسأل الله المدد والعون.

كيف تختار الموضوع الذي تكتب فيه، ومن ثم عنوانه؟

لا أكتب إلا في شيء أحسُّ أن الحاجة إليه مهمة. والعلماء قديماً ذكروا أسباباً للتصنيف.

ولو تأملت كتبي فهي أنواع:

نوع للشباب لاعن الشباب.

أنوِّع لهم فيها الخطاب ما بين رواية مثل (حوار مع وسواس، الجينز، البسكوتة) ونوع هو رسائل لطيفة ومركّزة مثل (حصاد الفتيان، من وحي الشباب)، ونوع من كتاباتي للدعاة، وشؤون الدعوة، وبعضها ينحى منحاً جديداً، مثل الروايات (سلفي في الكافيه، انتخبوا حسب الله)، ومنها الخطاب المباشر المعتمد على الشواهد وكذلك منها ما يركز على التطوير والخطوات العملية (مراودة الفكر، فقه التدين، كيف تبني ثقافتك، رؤية تطويرية للصحوة السعودية، الانفتاح وأثره في حياة الدعوة والدعاة، سيكلوجية الإسلامي، ...)، ومنها ما يلامس قضايا مشغلة لهم، ونوع للعوام، مثل: (مفاتيح الجنة، أيام في المدينة، أمير الأنام، كنوز الحسنات، ...).

ومنها علمية مثل (الفقه المعاصر، الفتح الرباني، فقه المواسم، قضايا فكرية معاصرة، موسوعة السيرة الموضوعية، ...).

إضافة إلى التحقيق، والذي أركّز فيه هذه الفترة على كتب سماحة شيخنا العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي، لغزارة العلم، ونضج الأفكار، وتحقيقات أخرى.

وأما اختيار العناوين، فهذه تعود لوحي الخاطر غالباً.

ما هي الكتب الأقرب إليك؟

عندما أعود لكتبي أجد أن لكل كتاب طعم خاص، وأنا أعتبر الكتب مثل الأولاد!

المتأمل في كتبك يجد أنها تميل إلى الصياغة الأدبية، وخلطها بالأشعار، فهل في وجهة نظرك أن هذا أقرب للتأثير؟

ترى يا أخي الفتح من عند الله لا حكم له.

فأحياناً قد لا يكون الإنسان على مستوى عالٍ من الأدب والصياغة البلاغية الراقية، لكن عنده عبارات صادقة، واستشهادات جميلة، وأفكار رائعة، تلقى من التأثير أكثر من غيرها.

لكن لا شك أن جمال الأسلوب، وقوة المضمون، يجعل القارئ مقدراً للكتاب ومحتفياً به.

ثم إن البعد عن الإغراب والتطويل الممل، مع التجديد وحسن ترتيب الكتاب له أثر في النهضة العلمية.

هذا قادنا مباشرة لمعرفة سبب إصرارك على الكتب ذات الحجم المتوسط؟

ها أنت أخي أدركت سر كتاباتي كشاب!

فحقاً أنا أكتب وفي مخيلتي أن لا يزيد حجم الكتاب عن الصفحات المتوسطة العدد ما بين (١٠٠ ـ ٢٠٠ صفحة). وأعتقد أنها كافية لإيصال المعلومات، مع الإتقان في الطرح، والجمال في الأسلوب، والإبداع في الإخراج.

لو سمحت لي، فلدي بعض التحليل لما كتبت، أرجو التعلق عليه.

تفضل.

في كتابك «سلفي في الكافية» التركيز على النقد لأخطاء الصحوة على صفيح ساخن.

ليس النقد بالضرورة، ولكن المحاورة بالتي هي أحسن لمعرفة أخطائنا من الداخل، وذكر الشواهد التي تعيدنا إلى حقيقة دورنا الدعوي.

في كتابك «كيف تبني ثقافتك» الحرص على الانفكاك من تأثير الشيوخ في اختيار كتب بعينها.

إنه التأكيد على وضع قواعد منهجية للتعامل مع الكتاب، وفتح الأبواب بعدئذ لكل ما يغذي العقل، دون إحداث أي حساسية!

أو كما قال العقاد: يقول لك المربون: اقرأ ما ينفعك، وأقول لك: بل انتفع بما تقرأ.

في كتابك «النشيد الإسلامي» محاولة إنشاء منطقة عفو في مسألة الموسيقى والإيقاعات.

بل منطقة فهم للخلاف، وليس بالضرورة القبول للآراء المطروحة.

في كتابك «قضايا دعوية معاصرة» إثارة ومشاغبة للسائد الفقهي.

بل المساهمة في تقرير المسائل الفقهية عند الفقهاء الأقدمين،وعدم الاعتماد على مجرد فتاوى المتأخرين، مع الاحترام لآرائهم.

في كتابك «فقه التدين» إعداد دعاة مودرن.

وليكن، المهم أنهم على منهج الكتاب والسنة، ولديهم القدرة على إيصال رسالة الإسلام بكل حب وخلق كريم.

في كتابك «سيكلوجية الإسلامي» ممارسة دور الطبيب في تشريح آفات الدعاة، ولعله من أوائل الكتب النفسية الدعوية بهذا العمق.

هو محاولة لإعادة نفس الداعية إلى الوضع الصحيح من الهدوء، والاعتراف بالقصور والخطأ، والعيش بسلام مع المجتمع، بكل صراحة وصدق، ومعالجة سليمة.

في كتابك «قضايا فكرية معاصرة» طفرة من المخزون العلمي عن سوء فهم الدين لدى الإسلاميين تأخر كثيراً.

لأن الجدال بالتي هي أحسن لا يقاوم بفكرة عابرة، أو فتوى عاجلة، أو رواية واحدة، بل هو الجمع والسبر والتحليل والتأصيل والتفنيد، بكل أمانة علمية ومنهجية سليمة، ولعل هذا ما جعل الثمرة تقطف بشهية!

وأنت تكتب في مجالات متنوعة، هذا يعني اهتمامك بها، فهل لنا أن نعرف في أي شيء تقرأ، وعلى أي تركِّز؟

كان هتلر إذا ذكرت له الثقافة يتحسس مسدسه، وكان العقاد يصف الثقافة بالجيش.

أعتقد أن الثقافة يجب أن تكون كما هي دون تفصيل خاص بنا!

فالثقافة تشمل العلوم الشرعية والإنسانية والعلمية ...

يعني أن نقرأ في الكتب الشرعية والأدبية والإنسانية والفلسفية والتربوية والتاريخية، بل وحتى في الطب وعالم الأفلاك، والقانون وحقوق الإنسان.

أقرأ بحمد الله في التفسير والحديث والفقه والأصول والقواعد، وفي كتب الأدباء، وفي كتب أهل الفلسفة والفكر والتاريخ والفن والحضارة..

أقرأ باختصار كل ما يغذِّي عقلي وفكري ونفسي...

أقرأ في المجلات والدوريات والصحف والإنترنت...

هل هذه القراءة مفتوحة؟

لا، بل هي قراءة مختارة، فالكتب كثيرة، ولك أن تعلم أن عدداً من دور النشر المهمة تطبع كل يوم كتاباً متوسط حجمه (٢٠٠ صفحة)، فما بالك بمئات الدور العربية فضلاً عن الغربية؟!

إننا نحتاج لبذل مجهود مضاعف لتعويض ما غاب عن وعينا، من القديم والحديث، والتراث العربي، والفكر الغربي، فيما ينفعنا.

ثم يكون بعد ذلك الاهتمام بالتخصص، وزيادة الإطلاع والعمق في التحليل والمتابعة.

في تقديرك هل للقراءة الكثيفة أثر في السلوك واختيار طريق الحياة؟

لا أعرف أن في هذه المسالة خلافاً!

قلتَ قبل قليل: الاختيار للكتب، هل هي كذلك أم هي كثافة الإطلاع؟

هي الجمع بينهما في كثافة اطلاعٍ مع إحسانٍ في الاختيار.

الثقافة يا أخي عوالم مختلفة ...

السلوك عالم، وقضايا المرأة عالم، والفقه عالم، والاقتصاد عالم، والقانون عالم، والفكر عالم، والفن عالم، والتاريخ القديم عالم، والتاريخ الحديث عالم، والموسوعات عالم، وهكذا ...

صدقني هي عوالم مختلفة، ولو أن الإنسان تخصص في أحدها لن يستطيع إدراك كل أبعادها.

لكن المهم في تقديري أن يحصل الإنسان على الثمرات الحقيقية لهذه القراءة المكثفة والمنوعة.

هذا مربط الفرس، هل تستطيع وصف هذه الثمرات؟

أهم شيء في تقديري أن يصل الإنسان إلى ثلاث مستويات:

١ ـ مستوى علمي.

٢ ـ مستوى سلوكي.

٣ ـ مستوى نفسي.

أما المستوى العلمي فهو معرفة الواجبات والحلال والحرام، وأحوال التاريخ، واستراتيجيات رواد الفكر والتخطيط العسكري والنهضة العمرانية، وطرائق الدعوة ...

والمستوى السلوكي عبر القراءات التربوية الأدبية الذي يجعل الفرد متماسكاً في نفسه، قادراً على التعامل بشكل صحيح في الحياة، فلا يعتزل الناس، ولا يحكم عليهم، ولا يطالب بأن تكون الأوضاع سليمة ١٠٠٪، ولا يظن أنه كامل وقادر على أن يحصل كل شيء.

باختصار هي المقاربة في فهم الحياة، والتربية الصحيحة للنفس ليكون الإنسان ذا مروءة تدفعه للنافع وتمنعه عن الشر.

والمستوى النفسي والفلسفي هو فهم طبيعة الحياة والأحياء، والانسجام مع النفس وحب الآخرين، وإنضاج العقل، وتصحيح المسيرة، والتعامل السلوكي العملي السليم، البعيد عن الغلو والجفاء، والاقتراب من الذكاء والطيبة!

وهذه لها مجالاتها..

بالمناسبة ... أنشأت (نادي القلم) وبعده (مشروع مثقف) هل تريد من خلاله الوصول لما سبق؟

نعم أريد أن أضع فلسفتي لجيل الشباب عن عالم القراءة والثقافة.

في نادي القلم ألقيت عدة دورات، عن الثقافة والقراءة، وكتبت عدة رسائل، وأنشأت عدة مسابقات، وساهمت في تطوير عشرات من الجيل المتعطش للعلم والمعرفة.

والنادي له قسم خاص في منتدى (*4shbab*).

وهو يشمل الشعر والمقالات والرواية المسرحية والكتابات القصصية، والقراءات المختارة وهناك آلاف المشاركات، وحفلات التكريم موجودة في الموقع. أنا مؤمن أن التغيير السلوكي لا يكون إلا بالمعرفة، والعيش في بيئة سليمة.

حرمان الشباب من المعرفة يكون من خلال التعقيد والبعد عن قضاياهم وإشغالهم في التوافه وتشجيعهم عليها. والبيئة السيئة هي التي تجعلهم كالجرذان لا يفكرون إلا في القذر!

بينما توسع مداركهم من خلال الإبداع في الطرح، ودلالتهم على النافع، وتشجيعهم على ذلك من خلال النوادي والمسابقات والحوارات الجادة والتدريبات العملية، وتحويل هذا إلى مشاريع متنوعة عبر البرامج أو الملصقات أو المجلات أو صفحات الإنترنت بطريقة جيدة ومبدعة، كل ذلك سبيل لتصحيح الأوضاع.

كما أنشأت ـ بفضل الله ـ برنامج «مشروع مثقف» لتأهيل شباب واعي مهتم بالثقافة ليسهم بوعيه في دفع عجلة الحضارة في الأمة.

«ما شاء الله» أنشأت مجلة «الفتيان» وساهمت في إنشاء «المنار» و«الجسور» والآن «الأمة» و «فور شباب» ... ماذا تريد أن تصل في النهاية؟!

إنني أبحث عن التركيز بشرط أن تتركني الهموم!

إن معاناتي مع الهموم لا تنتهي، وحالي معها كما قال البردوني:

دعيني أنم لحظة يا هموم   فقد أوشكَ الفجرُ أن يطلعا

حوار مجلة غدي (لبنان)

نشأتم في أسرة معروفة مشهورة بالعلم والصلاح، ما الأساليب التي اتبعها الوالدان في تربيتكم؟ وكيف انعكست هذه التربية على شخصيتكم؟ وخاصة من جهة تحبيبكم بالعلم؟

الوالدان ـ بفضل الله ـ متدينان جداً، وخلوقان جداً، ومتفهمان جداً، وقابلان للتغيير الإيجابي.

ركَّز الوالد كثيراً على الصلاة، وإشراكي في المحاضن التربوية، وأنا في الابتدائية.

وكان قريباً مني ومن إخواني، وتستطيع أن تقول: هو رجل بيت، يحب عمله، ويحب بيته.

كانت واضحة لديه قضية التربية، وأثرها في بناء الإنسان. وكان يفهم متغيرات الحياة، ولذا حرص على أن يجلب لنا وسائل المتعة، والخروج في نزهات مستمرة، وخاصة مع الثقات، وضابط ذلك كله الحفاظ علينا.

وأما الوالدة فهي إنسانة مربية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، تخدم أولادها وترعى شؤونهم، وتحرص أن يجدوا في البيت كل عوامل الطهر، والراحة، والمتعة.

تفرح بوجود الأهل والأقارب في بيتها، لنتمكن من البقاء فيه، وعدم الخروج بعيداً عنه.

ولما كبرتُ كانت حكيمة متفهمة لطبيعة رغبات الشباب من السفر والتجديد.

ولكنها فوق ذلك وإلى يومي هذا تتابع النصح في قضية الاهتمام بقيام الليل، والمحافظة على الورد القرآني.

ومن الطرائف معها أنها كانت تقول لي: لم أسمع صوت الحنفية قبل الفجر!، لأنها تسكن في الدور الأول وأنا في الدور الثاني، وكانت تهوى سماع صوت (حنفية الماء) قبل الفجر، لتتأكد من استعدادي لصلاة الليل ـ غفر اللّه لي ـ !

فما أرحمها من أم، وما أجمله من تدين.

كيف تصفون لنا مسيرتكم العلمية، وصلتكم بالعلماء. وهل تعتقدون أن الدراسة الأكاديمية كافية لتحقيق الثقافة الشرعية المطلوبة؟

بفضل اللّه تواصلت مع كثير من العلماء في العالم الإسلامي، ولا يكاد يوجد عالم مبرِّز، إلا وحرصت على لقائه، والاستفادة منه، وقد ساعدني على ذلك عوامل، منها أسفاري المتواصلة في كافة القارات، ومؤلفاتي التي أهديهم إياها وأتبادل معهم ما كتبوه، وكذا المشروعات العلمية كجامعة مكة، والدعوية كالمؤتمرات وغيرها، كل ذلك شجع على التواصل معهم، والاستفادة الكبرى منهم.

وأتذكر أنني ذهبت لسويسرا للقاء أحد العلماء، ومعي دفتر (٢٠ صفحة) كتبت فيه أسئلة كثيرة ملأت الدفتر، وهناك سألت ذلك العالم الجليل كل أسئلتي، وأجاب عليها بما شفى غليلي، بعد لقاءات متواصلة، ست ساعات منها كانت في القطار.

وبعد يوم واحد فقط، عدت إلى جدة!

وأتذكر حينها أن هذا العالم الجليل بادرني باستغراب: هل سبق لك أن زرت سويسرا قبل؟، فقلت له: لا!

وبمناسبة الحديث عن التعليم الأكاديمي، والتعليم التقليدي على المشايخ، فلا شك أن الأساس والمعوَّل عليه، هو الدراسة على المشايخ، إلا إذا وجدت بعض المعاهد المميزة وهذا نادر، مما يُدرَّس فيها علوم مهمة بشكل متقن، وعلى يد علماء متخصصين وبارعين.

ثم بعد هذه المرحلة تكون الدراسة الشرعية الأكاديمية مكملة بنسبة كبيرة، لأنها تعطي فرصة للتعرف على المناهج العلمية، والبحوث والدراسات الأكاديمية، إضافة إلى ممارسة ذلك، ومن الفوائد الآفاق الجديدة التي يتعلمها الدارس من الأساتذة الباحثين.

تخصصتم في دراسة العلوم في المرحلة الجامعية، ثم انتقلتم إلى دراسة العلوم الشرعية ولقيا العلماء، ماذا أضاف لكم هذا المجال على المستويين الشخصي والعام قبل أن تنتقلوا لدراسة العلوم الشرعية؟

كنت شغوفاً في المرحلة الثانوية بموضوع الإعجاز العلمي، والرغبة في أن أنفع الناس من خلال تقريبهم إلى اللّه. وهذا ما حصل، حيث قرأت كل ما امتدت إليه يدي في موضوع الإعجاز، واشتغلت به كثيراً، وأصدرت (ديسك كمبيوتر) يعمل على جهاز صخر القديم!

وفي هذا (الديسك) مئات الموضوعات عن الإعجاز العلمي بطريقة إبداعية، تُرى لأول مرة.

وقد جمعت صوراً من بلدان عدة، ودفعت فيها أموالاً تعتبر كبيرة في تلك المرحلة، وفي مثل وضعي.

ولا شك أن الاطلاع على الموضوعات العلمية فوق أنه إضافة معلوماتية للإنسان إلا إنه محرك أساسي لأجهزة الإنسان.

ولما وصلت الجامعة كنت أحلم بأنني سأكتشف في المعامل حقائق جديدة تنفع الناس.

ولكني صدمت بطريقة جامعاتنا ومناهجنا ومعاملنا التقليدية، التي تدرس (المذكرات) من قبل عشرين سنة!

ورغم هذا الاهتمام كنت مواظباً على حضور جلسات المشايخ بانتظام والقراءة في العلوم الشرعية بكثافة.

لذا كان من المنطقي بعد تخرجي من الجامعة (بكالوريوس) أن استثمر اهتمامي في إكمال تخصصي في الشريعة.

تقوم الخطبة على أركان ثلاثة: الخطيب والمخاطبين والمضمون، في ظل الخطاب التقليدي الذي نشهده لدى كثير من الخطباء، والذي يصل أحياناً إلى درجة الاستخفاف بعقول المخاطب، حزتم لقب: (خطيب المنبر الحر) على حداثة سنكم؟ فما هي طريقتكم في التعامل مع المنبر النبوي؟

لا أكتمكم سراً إن قلت أن موضوع الخطبة كان يشكل عندي ركناً أساسياً من أركان سياستي الدعوية.

كنت أقرأ كثيراً في أساليب الخطابة، وأحضِّر لها جيداً، وأنوِّع في الأساليب، بل وبكل صدق كنت أحاسب نفسي على أي قصور، ولذا لم أعد خطبة واحدة خلال خمسة عشر عاماً، ولم أقلِّد أحداً، كما لم أغب عن المنبر طيلة تلك الفترة إلا لظرف طارئ يمكن عدُّه على أصابع اليدين.

كانت حالة التقويم لخطبي مستمرة، ودائماً ما أقول لنفسي: ضع نفسك

مكان الحاضرين. ماذا ترى تحب أن تسمع، وكم الوقت الذي تحب أن تجلس، وما الأسلوب الذي يغريك للاستماع عند هذا الخطيب، وما الروح التي سيخرج بها الحاضر للخطبة؟

كل تلك الأسئلة كانت تحاصرني، إلى أن آمنت أن الخطبة أمانة، وتجديد، وموعظة ذات تأثير.

ومن هذه (الخلطة) إن صح التعبير، كانت خطبتي نموذجاً لحرية الكلمة الهادفة، حيث القوة وقت القوة، والروحانية وقت الروحانية، والإقناع وقت الإقناع. كنت قريباً جداً من موضوعات الاهتمام العام، مع مزجها بحديث النبوة، وأساليب الخطابة المؤثرة.

وكنت حريصاً أن لا يخرج الحاضرون إلا بما يرفع إيمانهم، ويقنعهم ويحركهم نحو الموضوع الذي أدعوهم إليه.

وحتى لا أذهب بعيداً، فإن خطبي ـ المجموعة الأولى ـ طبعت والحمد لله، وهي رغم ما قلت لا تعدوا أن تكون متواضعة، أقول هذا بكل صدق وأمانة، لكني قلت ما قلت من باب الواقع.

في أي مرحلة عمرية برز اهتمامكم بالعمل الدعوي، وكيف ترون واقع الدعوة الإسلامية الشبابية اليوم؟

لا أكون مبالغاً إن قلت لك من الرحلة الابتدائية!

نعم، فقد كنت أدرس المرحلة الابتدائية في مدرسة (ابن زُهْر الأندلس) ـ رحمه الله ـ بدمشق، وكانت مدرسة مختلطة، ولما كنت في الصف الخامس الابتدائي، قلت لمجموعة من الأصدقاء علينا أن نُسهم في فصل برنامجنا كأولاد عن البنات، فلكلٍ مجلسه!

وهـذا لا يعنـي أنني كنت بعيـداً عن أمزجة الصـغار، وهوايات الصـغار، ومشاكل الصغار، لا ، ولكني كنت من داخلي أحب الخير، وأدعو له.

وفـي المتوسـطة سـاهمت في فتح حلقة للقـرآن الكريم في مسـجد الحي لمرحلتنا، وكذا في المدرسة.

وأتذكـر أنني كنت أتصـل بالهاتـف على جمعٍ من الزملاء في المتوسـطة لتذكيرهم بموعد (نور على الدرب) الذي كان يجيب عليه يوم الإثنين سـماحة العلامة: عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ.

واعتقـد أن بواكير الاهتمـام هذه، هي ببركة الوالدين، ثم المكتبة العامرة التي كانت تحيط بجدران الغرف من جميع الأصناف.

وأمـا عـن العمل الدعـوي اليوم، فهـو والحمد لله فيه خير كثيـر، وجنوده صـاروا في مشـارق الأرض ومغاربها، ووعيهم صـار أكبر. لكنهـم بحاجة في تقديري لأمرين:

الأول: الوعي الشـرعي الوسطي والمنهجي لطبيعة المسائل المستجدة في حياتهم، حتى يتحركوا وفق منهج الإسلام الذي يدعون إليه.

الثاني: الاتجاه صـوب المشـاريع العملية بهدوء، وحكمة، وفي الوقت نفسه التوغل المدروس، بعقلية متجددة.

وأذكـر فـي هذا المقام كلمة الإمام حسـن البنا ـ رحمـه الله ـ خاطب بها تلاميـذه عـن طريقة دورهم الثقافي والتربوي الذي سـيؤدونه للناس قائلاً: لم نتخذ في مرحلة التعريف بدعوتنا من وسائل إلا الدروس والمحاضرات والكتب والنشرات والأسفار والرحلات، ولكنها دروس لا كدروس الناس، ومحاضرات لا كمحاضراتهم، وأسفار غير ما يتصورن، وبأسلوب غير الأسلوب الذي يعلمون!

من خلال اطلاعنا على سيرتكم الذاتية، بدا اهتمامكم الكبير بالشريحة الشبابية في أعمالكم ومؤسساتكم، إن من خلال الجهد الشخصي أو الإداري، ومن ذلك توليكم رئاسة تحرير مجلة الفتيان، الأمانة العامة لرابطة الفن الإسلامي، إشرافكم على جائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي، ما هي إسهامات هذه المؤسسات، لا سيما الأخيرة منها، في إعادة الشباب إلى مركز الصدارة في الاهتمام الثقافي والرعاية الدعوية والتنمية الاجتماعية؟

أنا مؤمن أن علينا أن نقوم بمشاريع عملية قدر استطاعتنا، لاحتواء البرامج الشبابية، وتشجيعهم، ومن هذه البرامج والمشروعات المؤسساتية نولد أفكاراً، وننسخ مشروعات نسعى لتطويرها.

صدقني حتى المشروعات الصغيرة المبدعة والناجحة، تولِّد أختها، وتغري الآخرين على الاقتداء بها، وتلمس نجاحاتها، وإبداعاتها، وهذا ما كرره كتجربة عربية سياسية د. عزمي بشارة في كتابه: أن تكون عربياً في أيامنا.

إن هذه المشروعات الصغيرة مرة أخرى هي واجهات وقبلة لكثير من الشباب الذين يحبونها، ويتابعون أنشطتها، وتحيي فيهم الهمم، وتغريهم للعمل وفق أفكارها ووسائلها المبدعة.

ولذا حرصت على أن تكون هذه الأعمال الشبابية مؤسساتية لتحقق الديمومة لأهدافها ومشاريعها.

وأما عن (جائزة الشباب العالمية) فهي كما ذكرت نموذج مميز لتقدير الشخصيات العاملة، وإحياء روح التنافس، وإذكاء الإبداع والتطوير، وإعطاء فرصة ليتعرف الشباب على القدوات والناجحين.

تترأسون مركز «شباب المستقبل للدراسات والبحوث والتطوير» ما طبيعة هذه

الدراسـات والبحوث التي يصدرها المركز؟ وما دور الشباب فيها إن من حيث المشاركة والاستفادة؟

«مركز شـباب المسـتقبل للدراسـات والبحوث والتطوير» من اسـمه هدفه إعداد البحوث والدراسات المعمَّقة عن الشباب، إضافة إلى استطلاعات الرأي، ليمكننـا كمهتميـن بالشـباب أو المعنيين بهم مـن التربويين والمسـؤولين من الوصـول إلـى الواقع الحقيقي للشـباب، عبر دراسـات بحثية منهجية مؤصلـة والوصول مع الخبراء إلى حلول دافعة لنهضة الشباب.

غياب الحقائق أحياناً بين التهوين أو التهويل، لا يجعلنا نفكر بوضوح ورؤية سليمة.

ولأجل ذلك أصدرنا ـ والحمد لله ـ عدة دراسات متينة، منها ما هو دراسات بحثية عن الشـباب في بعض الدول العربية تعرض لأول مرة. وتعطي مؤشـرات شبه دقيقة عن واقع الشباب في المجالات المختلفة، عبر المنهجيات المؤصلة، التي يمكن أن يبنى عليها قرارات ومشروعات نافعة.

وللمركـز موقع معروف (*www.4shbab.com*)، فيه كل العناوين التي يمكن للراغب معرفتها.

فور شـباب .. قناة فضائية شـبابية تتفاعل بشكل مباشر مع الشباب وتدعوهم للتغييـر، مـا الأسـباب التي دفعتكم لتأسـيس القنـاة؟ وما هـي أهدافكم التي تطمحون إليها، وأهم السياسات العامة التي تضبط مسيرتها؟

عندما أسسـت مشـروع (فور شباب) وشـاركني في ذلك عدد من إخواني الشـباب، حرصـنا أن نعلن عن المشروع في كتيب شـامل، يستوعب قارئه، من نحن، وأهدافنا، ومشاريعنا المستقبلية، وطموحنا.

وبفلسـفة بسيطة أو شـعبية إن أحببت أن تسميها، كان سعينا أن نجد بيتاً

للشباب متكامل، لنغيِّر من خلاله ما بداخلهم من طاقات وتفاعلات نحو الأفضل.

ولذلك قلنا إن الشباب في هذا العصر يتابعون الإعلام فأنشأنا محطة فضائية بأسلوب شبابي، ثم قلنا أنهم يدخلون النت ويحيون الحوار، فأنشأنا منتدى فور شباب (*www.4shbab.net*)، ثم أنشأنا فرقاً على الأرض تعبيراً عن تفاعلهم (فرق فور شباب)، والتي تؤدي برامج منوعة وجذابة كالرحلات الدولية، والمؤتمرات العالمية، وقل مثل ذلك في (نادي فور شباب)، و(دار فور شباب للنشر والتوزيع) التي تشارك الشباب ثقافتهم، وتقاسمهم اهتمامهم وأولوياتهم.

ومن الطبيعي أن تكون المحطة هي الأبرز، لأنها (٢٤ ساعة)، ولأنها تعبير مباشر وسريع ومتسارع نحو مشاريع وأهداف وأفكار (فور شباب).

والمحطة الآن عمرها قصير، لكنها ـ والحمد لله ـ جذبت الكثير من الشباب، وإن كان الطموح والمأمَّل منها من البرامج كالأفلام والمسلسلات الماتعة والهادفة أقل من المطلوب، لكن هذه هي البداية، والتدرج مطلوب، ولكن بشرط السعي الجاد والمتقن لتحقيق الانتشار، وتوسعة اهتمام الجمهور وخاصة الشبابي بما يفيدهم ويمتعهم، والقادم ـ بإذن الله ـ خير من السابق.

مقابلة جريدة الرياضي (السعودية)

مـن هو علي العمري وما هي محطات حياتـه العلمية والعملية وما أبرز مواقفه الصعبة التي مرت في حياته؟

أنا حبيب الشباب، وصديقهم، وعضو في جامعة مستقبلهم! همي الكبير هو مشاركة الشباب اهتمامهم، والسعي للإسهام في تطويرهم ووعيهم.

تخرجـت مـن جامعة الملك عبدالعزيز في تخصـص (الأحيـاء) من كلية العلـوم، ومن ثم حصـلت علـى دبلوم علـم النفس من نفسـ الجامعة، وبعدئذ درسـت دبلـوم الشـريعة العالي فـي جامعة أم القرى، وبعدئذ واصـلت رسـالة الماجسـتير في أصـول الفقه في الجامعة الوطنية، وبعدها رسالة الدكتوراه في الفقه المقارن من جامعة الجنان.

طبعـاً كان مـن فضـل الله عليَّ الدراسـة غيـر الأكاديمية على يـد علماء وأسـاتذة ومفكريـن حـول العالـم. وسـبب ذلـك زيارتي لـكل قـارات العالم، والاستفادة من العلماء والمفكرين فيها.

ومن نعم الله عليَّ عدم وضـع الحواجز مع الناس، الذين يمكن أن يفيدوا المجتمع، ولديهم أفكار راقية، وإن كانت لديهم ملاحظات في جوانب متعددة، وأما عن أبرز المواقف الصعبة، فهي مع النفس!

فأنا لا أفكر في الناس، ولا في الجهات، أفكر في نفسي، وما يرضي ربي، وهذا هو أهم شيء، والباقي ييسره الله، بعد بذل كل الأسباب.

لماذا أنت الآن مهتم اهتماماً كبيراً بالشباب، والذي دعاك إلى هذا الأمر؟

نعم وبملء فمي فمشروع حياتي هو الشباب، فأنا منهم، وأفكر بمنطقهم، ولكنه الاهتمام البناء، والاهتمام المستقبلي، الاهتمام الواعي، وليس ذلك الاهتمام للدخول في السجالات، والرجوع للورا.

الشباب جميعاً بعيداً عن التصنيفات والرؤى المستقبلية.

تفكيري، وبرامجي، ومجالسي، واجتماعاتي، وكلماتي، جلها حول هذا الموضوع.

وأحرص على التفكير الموضوعي والعملي، وليس التنظير.

هل ترى بأن الشباب السعودي شباب همه التمتع بالملذات فقط وأنه لا يستعان به في شيء؟

أثناء زيارتي هذا العام لمدينة (كارديف) في بريطانيا، جلست مع عشرات الشباب السعودي المبتعث، وإذا بهم ـ والحمد لله ـ على قدرة مميزة على العمل، والتفكير الإيجابي، والسعي لخدمة الوطن وتطويره. إحساسهم بالمسؤولية عالٍ، ومتابعتهم لما يحاط بهم جيد.

ومع ذلك فهناك من يريد أو يعيش المتعة واللذة البعيدة عن الضوابط.

وهؤلاء لا شك يكثرون، بسبب الانفتاح السيء، والرغبة في جنوحهم وانحرافهم، من قبل جهات متعددة.

ولكن مع التجربة الشباب فيهم الخير الكثير، ونحتاج لعشرات البرامج التطوعية، والمشاريع الرائعة والمدعومة لحسن توجيههم نحو ما ينفعهم.

ولعل الفرصة الآن سانحة للدخول في ساحة الشباب بكافة طرق تفكيرهم، إذ لا أرجو أن يكون الشباب الملتزم في قطيعة مع غيره.

بل المشاركة الفاعلة، وحسن التوجيه، بحب، وروح شبابية.

ما هي قناة فور شباب وما هي أهم اهتماماتها؟

وضعنا في قناة فور شباب رسالة واضحة (قناة شبابية فنية هادفة).

وهذه الكلمات الثلاث هي خلاصة وجهة القناة.

فهي قناة (شبابية) تتحدث معهم بروح عصرية، بلغة الإعلام، وبفن الإعلام.

لا نعزل الشباب عن هدفنا، ونحدد بوصلتنا لإسعادهم، لإشراكهم في قضاياهم، لتنويرهم بما يجري حولهم، لوضع الحلول المناسبة، لتدريبهم، لتشجيع مواهبهم، ونحن نؤمن أننا حلقة من حلقات الدور المطلوب للشباب، كل ذلك يكون عبر برامج منتقاة ومحببة لهم.

ثم إننا قناة (فنية)، لإيماننا أن لغة الإعلام تميل للسرعة والخفة، والإمتاع، والتأثير البصري، خاصة إذا علمنا أن هناك قرابة (١٠٠) قناة هادمة لأخلاق الشباب، هي قنوات غنائية لا تمت للقيم والأخلاق بشيء!

وبعد ذلك نحن قناة (هادفة) نهدف لرقي الشباب، وإشراكهم في المجتمع، وتهذيب سلوكهم، وإمتاعهم، بعيداً عن المحرمات الشرعية، والأخذ بتيسير الدين، والرفق في الخطاب.

هل ترى أن القناة حققت الأهداف المرجوة منها؟

يلحظ ـ والحمد لله ـ من خلال البرامج والمسابقات، بل من خلال الإنترنت والبرامج الحوارية أصداء برامج القناة.

صحيح أن القناة في عامها الأول، لكنها حققت جوائز عالمية، وهذا نادر في عالم القنوات!

فقد حصلنا على أفضل هوية وجرافيك على جميع القنوات العربية، وذلك في الحفل الذي أعدته جامعة الدول العربية، وكذلك (٣) جوائز (أوسكار) عالمية. إضافة إلى عشرات التقارير العالمية عن القناة عبر الشبكات المختلفة.

ولا يكاد يمر يوم إلا وهناك تعليقات ورسائل مشرقة ومغربة!

من هو الداعم لقناتكم والممول لها؟

القناة منذ تأسيسها وضعت في خطتها أن التمويل سيكون تجارياً، ولذلك فنحن عبر قسم التسويق نقوم بعرض أفكار البرامج ورعايتها بشكل تجاري، مقابل إعلانات. ولدينا مؤسسة تجارية إعلانية متخصصة لهذا الشأن.

هل هناك إحصائية عن عدد الشباب الذين استفادوا من برامجكم؟

لا يوجد في الوطن العربي شركات تعطي إحصاءات دقيقة، إنما هناك انطباعات، وأرقام شبه تقريبية.

وعندما قدمنا في شهر شعبان للاشتراك في إحدى الشركات الكبرى المشهورة لمعرفة واقع القناة في السعودية، اكتشفنا أننا موجودون في قائمة القنوات المشاهدة في السعودية!

وهذا يطلب منا بذل مزيد من الجهد.

وإذا أخذنا ما يقال، ويتم الحديث فيه عبر وسائل التقنية المختلفة، فإن الانطباعات العملية كبيرة جداً. والحمد لله.

هل تعرضت أعمالكم للإعاقات أو المصاعب وما هي؟

لا يوجد عمل إعاقي للبرامج الفضائية سوى المال.

والآن الفرصة سانحة أمام أصحاب الشركات والجهات التي تبحث عن خدمة الشباب وتوعيتهم للإسهام ضرورة في الدعم.

أنت الآن تدير جامعة مكة المكرمة إضافة إلى الإشراف على قناة فور شباب واهتمامك لبعض أعمالك المنزلية، ألا تخشى أن تضيع واحدة من تلك بسبب ضغط العمل عليك؟

هذا سؤال جميل جداً.

لدينا والحمد لله طاقات كبيرة، كما لدينا أفكار إبداعية راقية. وجميع العاملين سواءً في القناة أم في الجامعة، أم في منظمة (فور شباب) في السعودية، ومصر، والبحرين، يبذلون جهوداً كبيرة. ودوري في الحقيقة هو الإشراف المنظم. واللقاء في اجتماعات عملية ومحددة.

ولذا لا يوجد التعارض المتوقع. والحمد لله.

ما هي الأمنية التي تود تحقيقها خصوصاً أن جل أعمالك واهتماتك بفئة الشباب؟

أتمنى في هذه المرحلة السعي لإتقان مشاريع منظمة (فور شباب) العالمية، والتي تمثل اليوم: قناة، ومجلة، وموقع، ومنتدى، ومركز دراسات، ومؤتمر، وفرق، ونادي، ودار نشر.

أتمنى أن يبذل كل قسم أعلى درجات الإتقان والجودة.

وأن يكرمنا الله جل جلاله لإحداث التغيير الإيجابي.

هل لكم أعمال خارج البلد تطوعية خصوصاً في مجال الشباب المسلم؟

نعم، فمن أعمال (منظمة فور شباب) الفرق التطوعية.

وخلال ثلاثة أشهر من الآن لدي ـ بإذن الله ـ جولات عالمية في الجزائر والأردن وبعض دول الخليج، وبريطانيا من أجل فرق (فور شباب).

إضافة إلى حضوري المؤتمرات التي أدعى لها من كافة أنحاء العالم.

الدعوة إلى الله أمر حسن ، ما هو تقييمك لزملائك الدعاة وهل هم حققوا الأمر الجيد في هذا المجال؟

وهل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاز أصاب في بعض الأحيان وأخطأ في بعضه؟

الدعوة بالنسبة لي شرف كبير، كيف والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وجعل النبي ﷺ الأجر الكبير لمن دعا «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

وأساتذتنا وإخواننا الدعاة يبذلون جهوداً كبيرة داخلياً وخارجياً. ومثلهم رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكلنا يا أخي يخطئ، ولديه قصور في التصور أو تفهم الواقع أو النص أحياناً.

ولكن مع هذا فالحال الآن أفضل بكثير، فمؤسسات الدعوة وهيئات الأمر بالمعروف تطور من برامجها وتراجع خططها للسعي نحو الأفضل.

ورغم ذلك فلا يزال من طائفة الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر منفرين كما وصف النبي ﷺ من يستخدم أسلوب التشدد، ولكنهم يقلون مع برامج التوعية، والحوار المفتوح. نسأل الله للجميع التوفيق وفق ما يرضيه.

كيف ترى تجربة الشيخ عائض القرني الشعرية الفنية مع الفنان محمد عبده وما تبعها من أحداث وتعليقات؟

كتبت مقالة مشهورة في صحيفة المدينة في عمودي (لعل وعسى) من يوم الجمعة وقلت إنها فرصة لتقريب الفنانين نحو الكلمات الهادفة الجميلة، وحسن توظيف أصحاب الأصوات للإبداع الغنائي بالطريقة الصحيحة.

أما عن العمل الذي ظهر، فهذا يحكم عليه النقاد، والناس فيه أذواق.

هل علي العمري يتابع الدوري السعودي وهل يحب أن يشاهد فريق في الدوري ومن يعجبه من اللاعبين؟

أنا أشاهد الأخبار الفضائية، وأتابع الصحف، وأعرف الواقع الرياضي من خلالها بشكل جيد. لكني لا أتابع المباريات، ولا أشجع أحداً لانشغالي بأعمال كثيرة، وعدم ميلي للتعصب.

فالرياضة فن، ويجب أن تبقى تحت هذا المعنى لا أكثر.

وهناك لاعبين أسمع عنهم وأقرأ لهم مقابلات تنم عن قمة في الأخلاق والروح الرياضية الجميلة.

هل ترى أن القنوات العربية الآن معول هدم للأبناء، وهل ترى أن قناتكم ستكون المنافسة بين هذه القنوات؟

لا شك أن هناك قنوات مهدفة للتدمير، والجلوس مع القائمين عليها لا يجعلك تشك لحظة في أن هدفهم مادي بحت، ولا يهمهم وللأسف أي شيء آخر!

وهناك قنوات هادفة ومفيدة وممتعة.

(وقناة فور شباب) لا زالت في عامها الأول. ولغة التنافس القيمي والتقني عالية والحمد لله.

ولكن التنافس البصري يحتاج إلى تكاليف عالية، وتشجيع رجالات المال والمؤسسات الربحية والتفاتهم لهذه الشريحة.

ومع ذلك فلا زال أمامنا شوط طويل لنبدع في التسويق، حتى نحظى بثقة الرعاة. والثقة بالله كبيرة.

في الختام نود منك دكتور علي بكلمة أخيرة وختامية ولك كل الأسطر لتتحدث عن أي شيء في خاطرك؟

أتقدم بالشكر لجريدة الرياضي التي حققت شعبية عالية، كما أبدعت في فتح صفحات للحوارات مع الشباب، وإفادتهم بما ينفعهم.

وهذه لفتة جميلة تحسب للجريدة، وعلى عقلية القائمين عليها.

وأشكرك أخي (طلال) على متابعتك وحرصك، ودقة مواعيدك، وروحك الشبابية الجميلة.

لقاء موقع الرسالة (الكويت)

(المؤتمر العالمي للحوار) بين المسلمين هذه المرة، ماذا يعني هذا الاختيار؟

الحـوار بين المسـلمين أمر ارتحـت إليه كثيرًا ومن توفيـق الله أن يحظى برعاية رسمية، وفي داخل الصف الإسلامي هذه المرة.

إن أول سـورة في القرآن هي سـورة حوار، كما جاء في الحديث الصحيح القدسـي «قسمت الصـلاة بيني وبين عبدي» وهذا في سـورة الفاتحة، فالعبد يسأل ربه هداية الصراط المستقيم، والله سبحانه وتعالى يستجيب له.

ولذلك قال الحسـن البصري: من أراد يكلم الله سبحانه وتعالى فليصلي، ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن. وأول قصة في القرآن هي قصة حوارية بين الملائكة، وبين آدم، وبين الله سـبحانه وتعالى، فهيكلها يحوي الحوار عن آدم عليه الصـلاة والسـلام وعـن الخلافة في هـذه الأرض، وأيضـاً نجد في القـرآن الكريم أن كثيراً من اللفتات لحل الأزمات والقضـايا الخاصـة والعامة نشـأت من الحوار، فالله سبحانه وتعالى ذكر في سورة البقرة آيتين متتابعتين في شأن الحوار ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، إذا طلق الزوج زوجه ثم

أرادا أن يعودا في الطلاق الرجعي فحينئذ لا يجوز لأولياء الزوجة العضل ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾. أي (لا تمنعوهن) أن يرجعن إلى أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف، فقد صار حوار بين الطرفين فلماذا المنع؟!

والآية التي تليها في شأن المولود ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فالطفل عندما يراد له أن يُفصل قبل فترة السنتين فلا بد أن يكون هناك حوار بين الزوج والزوجة قبل هذا الاختيار، بل إن بعض المفسرين قال: هذا الاختيار حتى ولو كانا مطلقين ـ يعني الطفل موجود عند أمه وهي مطلقة عن الزوج فالأم تستشير أبا الطفل في فصمه عن الرضاع ـ فهذا الرقي في الحوار هو لحل مجموعة من الأزمات الداخلية والمشكلات.

وفي حالة الشقاق بين الزوج والزوجة يُأتى بأطراف أخرى تحاول أن تحل هذه الأزمة والمشكلة بين الطرفين بالحوار ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾، وكذلك نبه القرآن في كثير من المواقف على طريقة الحوار بالتناجي ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ لا يكون هذا الحوار إلى على صدق، وعلى صلح، وعلى أشياء نافعة، فهذا كله يدل على أن الحوار الداخلي بين المسلمين شأنه عظيم، ويحل كثيراً من المشكلات.

أنت لما ذكرت الحوار الداخلي بين المسلمين جاء على بالي الآن الحوار الداخلي بين الإنسان ونفسه.

الإنسان في مفهومنا الإسلامي يحاور كل ما هو حوله، يحاور الجمادات، ويحاور أحياناً الحيوانات، ويحاور النباتات، ويحاور داخله (نفسه) حتى يصل إلى ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

من القصص الواردة في الدين الإسلامي، قصة أبان اليهودي الراعي

عندما كان عنده مجموعة من الأغنام وجاء ذئب فسطى عليها فأخذها وذهب إلى هضبة فلحقه الراعي فقال له الذئب: هذا رزق ساقه الله إلي، فأخذ يلتفت أبان ذات اليمين وذات الشمال.. ليتأكد من مصدر الصوت، فاكتشف أنه هو هذا الذئب الذي يتكلم، فدل هذا الذئب أبان إلى أنه هناك رجل يدعو إلى الجنة وهو وراء النخل ـ يقصد في المدينة ـ فذهب أبان إلى رسول الله ﷺ فلما قابله ذكر له النبي عليه الصلاة والسلام قصة الذئب الذي قال له: إنه رزق ساقه الله إليه، فأسلم أبان رضي الله عنه وأرضاه.

وسَفينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ لما كان في تبوك تاه فيها فأقبل عليه أسد بصوته وقوته وضخامته، فقال له سَفينة رضي الله عنه: أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ الأسد رأسه، وحرك في الرواية ذيله ثم انصرف! فالإنسان يتحاور مع الحيوانات.

وقصة عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما انحسر نهر النيل (١٤ ذراعا) من كل طرف فأرسل عمرو رسالة إلى أمير المؤمنين عمر بهذا الأمر، وأن أهل مصر اشتكوا من هذا الحال ـ حال القحط ـ فكتب أمير المؤمنين رضي الله عنه رسالة، والقصة أثبتها الإمام ابن كثير في البداية والنهاية، وفي الرسالة: يا نهر النيل لإن كنت تجري بأمرك فلا تجري، وإن كنت تجري بأمر الله فاجري. فأخذها عمرو بن العاص وقذف بها في نهر النيل فتمدد ١٤ ذراعاً من كل طرف!

حوار مع النهر؟ نعم حوار مع النهر، وحوار مع الحيوان، وحوار مع النبات، وحتى الإنسان وهو يسير في طريقه يحس بنسمة الهواء، أو يرى الورقة وهي تسقط فيتذكر أنه ما من ورقة تسقط إلا والله سبحانه وتعالى يعلم وقت سقوطها، وإلى أين ستتحرك، ونهاية أمرها. هذا كله عبارة عن حوار داخلي في داخل الإنسان، يؤثر في عمره وفي حياته وفي تفكيره وفي سلوكه..

عندما يضم إلى الحوار الإسلامي تيارات مختلفة وربما متباعدة أحياناً، وأحياناً متناحرة وبينهم خلافات، ما المتوقع من مثل هذه الحوارات؟!

كثير من المشكلات التي تحدث حتى بين أقرب الناس (الزوج والزوجة) تحدث أحياناً مطاحانات ومناحرات مع أنهما أقرب الناس لبعضهما، لكن بالحوار وبالتفاهم ينتهي الأمر، فما بالك بأناس يفترض أن يكونوا من أهل العلم والفضل والفكر في الأمة غاياتهم واحدة ورسالتهم واحدة؟ والاختلافات الطبيعية لا بد أن تحدث ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾. وفي الحديث: «والاختلاف رحمة والفرقة عذاب» كما في مسند الإمام أحمد بسند حسن.

الاختلاف خير ورحمة بالأمة، والخلاف شر وتفريق للأمة. وللأسف أن يكون الداعي للخلاف هو الداعي لوحدة الأمة!!

ولذلك أنا أذكر قصة أثبتها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بالتحقيق ـ رحمة اللّه عليه ـ، وهي: أن الإمام أبا حنيفة ـ عليه رحمة اللّه ـ أفتى في بعض المسائل، وكان ممن تلقاها عبد اللّه بن المبارك رضي اللّه عنه وأرضاه في المدينة المنورة، فلما عاد ابن المبارك قابل الأوزاعي، فقال الأوزاعي من أين أتيت؟ قال: كنت في المدينة.

فقال: من عند الرجل الضال! وذلك أن مجموعة من طلاب الإمام الأوزاعي أخبروه عن أخطاء يقع فيها الإمام أبو حنيفة ثم وصفوه بالضلال. فسكت الإمام عبد اللّه بن المبارك ثم قيّد مسائل علمية ووضعها في طرف الجيب؛ وهو في طريقه للمسجد قابل الإمام الأوزاعي فقال له: يا إمام إن لديَّ مسائل لم أفهمها، فقال: قل، فأخبره ببعض المسائل، فقال: من أين لك بها؟ إنه لم يأت بها إلا رجل صاحب علم، وهي مسائل (عويصة) وضبطت (عويسة)، يعني صعبة، فقال له الإمام الأوزاعي: إنها من عند أبي حنيفة! فأدرك الإمام

الأوزاعـي أن الـكلام الذي قيل عـن أبي حنيفة دون أن يتثبـتَّ كان خطأ منه، فذهـب الإمـام الأوزاعـي إلى المدينة المنـورة؛ لأن الإمام أبـا حنيفة في تلك الفترة كان هناك فقابله، وسـلَّم عليه وقال: يا أخانا اسـتغفر لنا، فاستغفر له الإمام أبو حنيفة وصار بينهما وداد معروف. فإذن اللقاء والحوار يخفف كثيراً من المشكلات بين الأطراف..

ليـت أن العلمـاء والمفكرين والدعـاة يتعلموا من هذه القصـة الرائعة الجميلة التسامح والحب.

باللقـاء تخـف كثير من الأمـور، وكما قلـت: إذا كان بيـن الزوجين تخف المعاملة فما بالك بأهل العلم، والفضل؟

فـي تقديـرك، ومن خلال حضـورك لمؤتمرات عالمية مختلفـة، ماذا يمكن أن يضيف هذا المؤتمر بهذه الصيغة إلى حياة العلماء والدعاة والمفكرين؟

البعض يظن أن المؤتمرات والملتقيات لا فائدة فيها، ولو لم يكن فيها من فائدة إلا التجمع والالتقاء، والتعارف، والتعاضـد، والجلسات البينية، فهذا خير عظيـم. وكم من مشـروعات انطلقت، وأفكار أيدت، وأمور أصـلحت من خلال هذه اللقاءات، والمؤتمرات..

أذكر على سـبيل المثال أن أحد الفضـلاء من أهـل العلم والخير لم يلتق بعلماء آخرين سنوات طوال، فأخبرته بأهمية اللقاء والحوار فقال: لديهم شدة أثنـاء الحوار. فقلت: طيـب نلتقي في أمور كبرى، فـإذا كانت الأمور الخلافية الفرعيـة لا تسـطيعون أن تلتقـوا عليهـا من خـلال التجارب السـابقة لماذا لا تجربون في الأمور الصعبة، والأزمات الكبرى؟

وحصل بين الطرفين اللقاء، فكان بينهما من الحب والوئام والكلام الذي

تغير عما سبق، وهذا كله بسبب اللقاء والحوار، والزمان والأحداث عوامل مساندة للتغيير. فأنا أدعو نفسي وكل مسلم ومسلمة إلى أن يديموا الحوار والنقاش حتى ولو اختلفت الآراء والأفكار.

لذلك فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يقطع باباً على يهودي ولا نصراني ولا على غيره.. وبالمناسبة فإني أتذكر الآن في معرض قصة الإمام الأوزاعي، أنني كنت في بيروت قبل فترة قريبة، وذهبت إلى مسجد الإمام الأوزاعي، ودعوت له بالرحمة والمغفرة، وأن يجزيه الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء..

فأخبرني مجموعة من أهل لبنان أن مجموعة من النصارى الذين هم في منطقة (جونية) وغيرها يأتون إلى مسجد الإمام الأوزاعي، بالزيت وبالسمن وبغيرها من الأطعمة ويقدمونها عند قبر الإمام الأوزاعي قُرْبة، وإن كان هذا الفعل بدعة لكننا نتكلم عن المدلول، وسبب ذلك أن للإمام الأوزاعي موقفًا عظيماً معهم في حمايتهم من الأعداء، فلذلك هم أكبروا هذا الموقف من الإمام الأوزاعي وهم يعلمون أنه إمام من أئمة السنة وهم من غير المسلمين ومع ذلك لم ينسوا هذا الفضل الذي قدمه لهم!

عندما نقول: إن الحوار فريضة حضارية، كيف يمكن أن يكون الحوار حضارياً؟

حضارتنا كمسلمين تنطلق من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ. ومن خلال التأمل في هدي القرآن والسنة نجد أن هناك أفاقاً واسعة في الحوار، وقد وقفت كثيرًا عند سورة المجادَلة أو المُجادِلة، والمُجادِلة هي السيدة خولة رضي الله عنها، أو المجادَلة وهي المحاورة بين الطرفين، وفي قول الله سبحانه وتعالى ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة: ١] أي التي تحاورك، فالمجادلة هنا بمعنى المحاورة، وهو الأخذ والعطاء بين الطرفين، ولذا فإن

الأستاذ الشيخ السيد حسين فضل الله المرجع الشيعي له كتاب اسمه (من وحي القرآن)، وذكر في كتابه هذا أن هناك فرقاً بين المحاورة وبين المجادلة، فالمحاورة غالباً في باب المضامين والتفاعل والانسجام بين الطرفين، في حين أن المجادلة غالباً تتجه إلى الخصومة، وفي أصل اللغة المجادلة مأخوذة من جَدّل الحبل.. يعني لف الحبل، كأن كلاً من المتحاورين يحاول أن يتقوَّى على الآخر.لكن في ظلال هذه الآية الكريمة الأولى من سورة المجادلة، تأملت فترة في مضامينها، فوجدت من أجل أساليب الحوار وآدابه ما يلي: أن سورةً من القرآن الكريم تُنزَّل من أجل قصة إنسانية، وهي قصة خولة رضي الله عنها وأرضاها التي تكلم عليها زوجها وتلفظ عليها وقال: أنت عليَّ كظهر أمي، فينزل القرآن الكريم لحالة إنسانية، ويحدث الحوار بين رسول الله ﷺ وبين هذه المرأة ﴿ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: ١]..

وعليه، إذا أردنا أن يكون الحوار حضارياً لا بد أن نلتفت إلى آفاق الحوار في القرآن الكريم، ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ﴾ فالمرأة تتكلم، وتبين رأيها، ولذلك لا بد أن يكون الحوار فيه مساحة للإنسان لإبداء الرأي، وأن لا يكتم، ومن ذلك أن النبي ﷺ قال عن أصحاب الحق: «دعوهم فإن لصاحب الحق مقالاً».

لا بد أن يبدي الجميع رأيه، المرأة لها الحق أن تتكلم في شأن زواجها، أو في شأن تركها لزوجها، أو أسلوب تربيتها لأبنائها، أو حتى في اختيارها وتخصصها. ﴿ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ وهنا تحديد مسار الحوار بأن لا يتشعب، ولذلك كثير من الندوات والمؤتمرات تغيب فيها الأسس والأهداف الحقيقية، والنتائج التي اتفقوا عليها لعدم وضوح الرؤية، لكن لو أتينا لقضية محددة وثابتة ووضعنا وقتًا محددًا وكافياً لاستطعنا أن ننجز كثيراً.

ومن العجيب أن في مؤتمر بال الذي كان قبل ١٩٤٨ بـ ٥٠ سنة قالوا:

نريد إنشاء دولة قومية في أرض فلسطين، قبل سنة ٤٨ بـ ٥٠ سنة، كلام كُتب ثم صمتوا ٥٠ سنة، أخذوا يخططون ويرتبون إلى أن بقوا في هذه المنطقة، والآن احتلوا أجزاء كثيرة! فنحن نحتاج إلى رجل فعال أكثر من الحاجة إلى رجل قوال. ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ فالحوار لا بد أن يكون فيه نوع من التفاعل، والأخذ والعطاء، والطمأنينة والراحة، وأن يحس كل منهما بالصدق. وختم الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، فيه إثبات ودلالة على صدق الحوار حتى لا يتجنى إنسان على آخر بغير الحقائق أو يتقول بما ليس له به علم. هذه بعض المنطلقات والمرتكزات الموجودة في آية واحدة في سورة المجادلة هي من أسس الحوار الحضاري، وهناك الكثير من الكتب والرسائل التي بحثت في هذا الأمر، وللدكتورة الفاضلة (سناء عابد) كتاب اسمه (الحوار في القرآن)، وهو رسالتها العالمية التي أعدتها في بحث مشهور ومطبوع.

وإذا تأملنا أيضاً في السنة النبوية سنجد ذلك، فالنبي ﷺ في موقفه مع أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، سمع من المرأة التي كانت تخدم عائشة، وسمع من حسان ومن غيره ومن غيرها، وصعد المنبر، وتكلم في من يأخذ حقه من هذا الرجل -يعني عبد الله بن أبي بن سلول-، فحدثت فتنة بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم، كل منهم أخذ يتكلم وارتفعت الأصوات في المسجد النبوي! الصحابة يتخاصمون بين يدي رسول الله ﷺ ومع ذلك سكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم بشيء! وهذا من أُفق الحوار الحضاري. أحياناً بعض المواقف تحتاج إلى هدوء وروية وعدم الشحن في الموقف، وأنت راعى أحوال الناس، هؤلاء وإن كانوا صحابة رسول الله ﷺ، وإن كانوا في مجلسه وفي بيت من بيوت الله، ومع ذلك رفعوا أصواتهم! وقد يقول البسيط أنهم لم يراعوا حرمة المسجد، ولم يراعوا حرمة النبي ﷺ، ولكن هذا كله يدل على أن هؤلاء

الصحابة بشر يخطئون ويصيبون وتعتريهم مواقف وحالات.. فالعاقل هو من يستفيد من الحكمة في مثل هذه المواطن..

بالنسبة للحوار السياسي، أو الحوار مع السلطة، ما طبيعته؟!

بالنسبة للحوار بين أرباب السلطة والدعاة والمصلحين أو الوسطيين يفترض أنه لا خوف منه لطالما أن هناك أناساً عقلاء، يدركون الأمور ويتكلمون في الوقت المناسب بالأسلوب المناسب. وعليهم ألا يهابوا ولا يخافوا من الحوار. لا يكون من المنطق ولا من العقل ولا من الحكمة أن يأخذ صاحب القوة رأيه من طرف دون طرف آخر، أو يستبد به على حساب أطراف أخرى، لا بد أن يكون الحوار مفتوحاً، وفي الحديث الذي حسَّنه بعض المحدثين (الحكمة ضالة المؤمن) فالبحث عن الحكمة مطلب العقلاء. فعلى أصحاب السلطة وأصحاب النفوذ أن يستمعوا إلى الأطراف الأخرى، وكم أدت هذه الحوارات إلى أمور نافعة ومباركة، وخاصة في فترة الأزمات!

يجب على المصلحين أن يفتحوا أبوابهم، ويرسلوا رسائل إلى المسئولين، إلى الأمراء، إلى الوزراء، إلى كل من هو في السلطة، ويبين له كلمة الحق بالكلام الهادئ والحكمة والحقيقة، وعلى صاحب السلطة أياً كان في أعلى هرم أو في الأدنى أن يقرأ الأخبار التي تأتيه من التيارات المختلفة ممن هم في حاشيته أو من أتباعه أو ممن هم خارج هذه الدائرة، فأحياناً يكون دور المقربين التوصيف، في حين يكون السماع من المخالفين التخفيف!

ماذا عن أثر هذه المؤتمرات على الشباب؟!

على أهمية الحوار في قضايا متعددة بين العلماء إلا أنه في الأعم الأغلب

يكونوا متشبعين بها، وبعضهم عنده عشرات من المؤلفات فيها، ويطبقها واقعاً وسلوكاً، والسؤال: لماذا يُمنع الشباب عن حضور مثل هذه الملتقيات، وعلى أقل تقدير على هامش المؤتمر؟ أنا أعتقد أن هذا خطأ استراتيجي لا يزال تقع فيه المؤسسات الرسمية، وكذلك المؤسسات الشعبية والخيرية!

الخطأ هو تغييب الشباب، أنا لا أقول عمداً لكن ماذا أريد أن أسميها؟ غفلة!! قبل سنتين أقامت إحدى المؤسسات الكبرى مؤتمرها الشبابي وكُتبت عنه مقالات كثيرة، ولكن في المؤتمر الذي كان عن الشباب في إحدى الدول العربية، وتحركت لأجله الطائرات، وأنفقت فيه ملايين من الريالات من متبرعين ومهتمين وغيره.. كان الحضور ١٠٪ من الشباب. والأغلب عبارة عن رموز وأكابر الأمة!، هل هو ملتقى للشباب أو هو ملتقى لأكابر الأمة؟

إذن لماذا نحرم هؤلاء الشباب الذين بعضهم الآن لا يحتاج منك إلا لقاء واحداً أو لقاءين حتى تصحح لديه المفاهيم؟ كم من شباب نظر إلى مسألة التطرف نظرة دينية قاصرة وهو لا يعرف أن أبعادها تطرف، أو نظر إلى مسألة الجهاد كمسألة قتالية بطولية وهو لا يعرف الأبعاد، وخلال جلسة أو جلستين تغيرت لديه المفاهيم وتوسعت لديه الآفاق، وانطلق في الميدان الصحيح، هذا أليس بحاجة إلى حوار؟.

الملك عبد الله بن عبد العزيز كان يقول: نحن لا نخاف من المتكلمين، إنما نخاف من الصامتين! وهي كلمة حق من رجل خبير بالأمور، فعلى جميع أصحاب السلطة وأصحاب الدعوة من المعتدلين وهم الأكثر والحمد لله، بل هم البارزون في بلادنا أن يفتحوا مجال الحوار والنقاش في آفاق متعددة.

هناك من يمتنع من الحوار مع أهل الكتاب والعصاة حتى لو كانوا من الأقارب أو الجيران؟

الرسول ﷺ حاور اليهودي وحاور النصراني، بل في قصة إسلام اليهودي أن النبي ﷺ كان يكثر التردد عليه. وعدم التأمل في السيرة النبوية يؤدي إلى خلط المفاهيم لدينا، البعض يهجر أباه أو أخاه العاصي في البيت؛ لأنه لا يصلي أو لأنه ربما لا يحسن في بعض العبادات، النبي ﷺ زار الرجل اليهودي بل كان يزوره مراراً، وعندما لقيه في مرضه الأخير قال الأب: أطع أبا القاسم فأسلم الشاب في آخر لحظة! هذه الرغبة تحققت بعدكثرة الحوارات، والنقاشات، والزيارات مع رجل كافر لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى ولا بالدين ولا بالإسلام، فهل هجره النبي عليه الصلاة والسلام؟ لا، لم يهجره. المسألة تعود إلى الواقع، إلى فقه الإنسان. فتح باب الهجران والصد ليس فيه خير، إنما الهجر لمرحلة ولحالة ولعلة. والعلاقة ليست قائمة على النهي عن المنكر دون الأمر بالمعروف!!

الحوارات بين التيارات الإسلامية كما نسمع (سلفي، صوفي، شيعي، تبليغي، حركي) وفي النواحي الاجتماعية (قبلي، وحضري، وأصيل، وغير أصيل). والمجتمع يعيش تحت وطأة التصنيف والحذر من الحوار والخوف منه، كيف تنظرون لهذا الموضوع وتفتحون الباب عليه؟

يثبتون الآن أن بالوراثة وبالأمور الجينية أن أصل البشر كلهم، الذين في أوروبا أو في بلاد العرب أن أصولهم واحدة، وهذا من خلال الدراسات التي يبحثون فيها، ونحن فرغنا من هذا! المسميات المعاصرة ممكن أن تكون اجتماعية.. لكن أن تكون دينية بمعنى أن هؤلاء بعيدون عن الأخلاق الفاضلة أو بعيدون عن الدين هذا كلام غير صحيح، فالإسلام فيه سلمان الفارسي

وفيه صهيب الرومي وفيه أبو بكر القرشي، وغيرهم من الأصناف المختلفة. دورنا هو إعداد الإنسان المسلم الحضاري أياً كان أصله ومنشؤه.

ليس من سياستي ولا يفترض أن تكون من سياسة المسلم أن يرفض أي فكرة، من تبليغي، أو سلفي، أو حركي، إلى آخره، أنا أقبل ما كان منه صواباً، فالمسلم سلفي بفطرته السوية؛ لأن السلفية هنا تعني أن يأخذ الإنسان من الكتاب وسنّة رسول الله ﷺ، ويمضي على المنهج الصحيح، لا السلفية التي هي عبارة عن جماعة تأتي لتصنف نفسها وتقول نحن سلف، والآخر غير سلف، لا، نحن كمسلمين سلفيون بمعنى أن نعود إلى الكتاب والسنة. لكني ضد أن يأتي إنسان يمنعني من أن أصافح أي إنسان صنف نفسه أوصنفه البشر. في التيارات الإسلامية خير إذا تنوعت فأبدعت، واتفقت على المشترك الإنساني، والإصلاح الديني، وتنمية المجتمع، ووحدة البلاد.

وماذا عن تيار المبتدعة والشيعة، الذين يصعب الحوار معهم؟

الإمام البخاري روى عن بعض المبتدعة، وكذلك الإمام مسلم حتى أن بعضهم فيه شيء من التدليس، وقد ألفت في هذا رسائل ماجستير ودكتوراة، وقد روى المحدثون عنهم لأن بدعتهم لم تكن بدعة كفرية، أو ظهر على صاحبها الفسق أو الكذب، وهذا من عجائب العلماء الواعين. مشكلتنا الكبرى أننا لا نتجالس ولا نتحاور، أياً كانت أفكارنا وآراؤنا. ولذلك لا يغلق الإنسان الحوار مع من يظهر بالمعصية. وكيف سيتم الإقناع بالتي هي أحسن من غير حوار؟!، ومن ظنَّ أن للحوار وقتاً محدداً للإقناع فهو واهم، ولا أدل على ذلك من حوار النبي ﷺ مع عمه أبي طالب، ومع اليهودي إلى آخر لحظة!!

حوار صحيفة شمس (السعودية)

وجودك على موقع (الفيس بوك) ماذا يعني لك؟

بدايتي مع (الفيس بوك) تعتبر متأخرة، لكنها كانت مؤثرة بالنسبة لي.

لقد استوقفني أثناء مشاركة شباب وبنات جدة في العمل التطوعي بعد السيول أن قرابة (٧٠٪) شاركوا عبر (الفيس بوك)، وهذا ما حداني للسؤال أكثر عن قيمة هذه الوسيلة، خاصة أنني مؤمن بأهمية المشاركة في الأعمال والمشاريع التي تدل على فعل الخير، والنهضة بالمجتمع.

وبعد المشاركة والتأمل، اخترت طريقاً بنفسي، في نوعية المشاركات، والتفاعلات، وسترون بعد رمضان بإذن الله، أول برنامج إعلامي بمواصفات فضائية خاصة بالفيس بوك.

وهل تشرف عليه بنفسك؟

نعم أشرف على كل الكتابات بنفسي، وكذا التعليقات، والردود على الرسائل، والخاص. ويشاركني البعض في الأمور الفنية للصفحة فقط، عدا الأخبار عن (منظمة فور شباب).

هل تجد أن (الفيس) أصبح تجمعاً حقيقياً للشباب تريد اختراقه؟

الجواب ما ترى لا ما تسمع!

لقد بدأتُ فكرة لقاءات الشباب والبنات عبر (الفيس بوك) في كل مناطق المملكة. بدأت بجدة، ثم الرياض، وهناك كثرة كاثرة تطلب زيارة المناطق الأخرى.

والحمد لله، العدد كبير، بل فوق الممكن للحضور، يأتون لهذه اللقاءات، وآخرها في رمضان قبل ثلاثة أيام كان المكان يتسع لـ (١٠٠) شاب، فحضر (٢٠٠)، ومنهم شباب وقفوا لأكثر من ساعتين يتابعون اللقاء عبر النوافذ في الصالة، وسجلوا كامل اللقاء.

ألا يستدعي هذا منا مسؤولية تجاه الشباب؟!

ثم إن شرطي في هذه اللقاءات أن تكون مفتوحة، وليست محاضرات محدودة. لأن لكل مقام مقال.

واللقاءات المفتوحة تعطي ثراءً، وتنوعاً، وتبسطاً، وقرباً للشباب، لأنها تجيب على أسئلتهم بشكل مباشر.

(الفيس) أكثر انفتاحاً وأريحية في الرد والتعليق ألا تجد حرجاً من بعض الردود القاسية سواء كان أصحابها معروفون أو مجهولون؟

عوَّدت نفسي على نظام في التعامل مع التعليقات والردود. وبالمناسبة لازال تحت الإعداد والطبخ كتاب أرجوا أن يخرج قريباً بعنوان (سيكلوجية الإسلامي)، وهو دراسة نفسية معمَّقة، فيها فصولاً مهمة عن طبيعة الردود والنقاشات. ولذا أنا أطبق ما فهمته من الحالات النفسية في جامعة (الفيس بوك).

وأنا أصف (الفيس بوك) بأنه (جامعة) مصغَّرة.

فهو يجمع الناس، وفيه فرص للإبداع، وفيه كذلك تخصصات مختلفة، إعلام، سياسة، فن، شرع، آداب، نفس.. كما أن فيه فيديو، بحوث، أخبار...

والحق يُقال أنه في فترة وجيزة عرَّفني وتعرف عليه جيل من الشباب، وليس أعداد من الشباب.

وأضاف إليَّ أفقاً معرفياً جديداً ولو في جوانب محدودة.

كيف وجدت تفاعل الشباب مع بعض أطروحاتك هناك؟

أكثر من (٩٨٪) من أطروحاتي متقبلة من الشباب، لأني أكتب في مجالات أحسنها، وأنوعها، ولا أجعل لها قالباً محدوداً.

أحاول التجديد، وعرض المفيد، والمسلي، والممتع.

أحاول أن أشعر بأن هذه اللحظة التي أكتب فيها هناك شاب أو فتاة في لحظة هم، أو حب، أو فراغ.

إنني أحاول أن أشعر بالحال قبل أن أكتب، وأعتقد أن عفويتي، وهدوء طرحي، وأسلوب إقناعي، وتنوع أفكاري، مما حباني الله به، وهداني إليه، وجدت أرضاً خصبة لدى الشباب، خاصة أنني أرد في الأعم الأغلب على الرسائل الخاصة التي تصلني منهم.

ظهورك في برنامج مذكرات سائح (جنتل) متأنقاً على غير عادتك بالثوب والشماغ .. كيف تفسره؟

إنني يا أخي إنسان عفوي جداً.

أقرأ وأفهم أن النبي ﷺ كان يلبس للوفود لباساً خاصاً، وفي يوم الجمعة لباساً جميلاً وفخماً يناسب الحال.

وكان في أغلب أوقاته له لباس وسط متواضع.

مع تجديد في أحوال ومواسم.

وهذا ما أؤمن به وأعتقده وأمارسه.

فطبيعة البرنامج تتطلب لباساً معيناً، ولذا لا أجد حرجاً في ارتدائه، بل أحرص أن أختار الأفضل نسبياً سواء لباس مشيخي، أو (جنتلماني) كما وصفت.

لم تكن هذه عادتك في البرامج أو حتى في حياتك الشخصية؟

بالعكس في الحياة العامة كما يعرفني الكثير، أعود إلى اللباس الهادئ الجميل البسيط.

وهذا ما يتواكب مع نفسيتي أصلاً.

البعض ينتقد ظهور داعية بهذا اللباس خصوصاً أن متابعيه كثر .. هل انتقادهم في محله .. وضح؟

الذي أراه أن الناس تحب أن يكون لكل مقام مقال، ممن يستطيع التنوع والتجديد.

أما أن يكون عالم أو شيخ مشهور في محرابه وبرنامج فتواه، ويريد أن (يتجنتل) بما لا يتناسب معه في الظهور الإعلامي، فهذا ما لا يناسب، ولا ينبغي.

وله أن يلبس ما يشاء في حياته العامة وأسفاره الخاصة مثلاً.

وكوني أنوع في اللباس حسب طبيعة البرنامج، إلا أنني (لا أغرب) أبداً، بلباس شهرة، أو لباس يدعو للتساؤل الغير مرضي، أو على الأقل الغير مفهوم.

الوسطية، ومراعاة أحوال الناس فن، أطالب نفسي وإخواني الدعاة بتعلمه.

ولعل من نافلة القول أن أذكر أن هناك من يراعي قضية الملابس المناسبة

في البرامج، من أخ إعلامي مهتم ومتخصص، أحترم رأيه، وأتحفظ نادراً على ما لا يناسب.

ألا يعتبر هذا اللباس تقليد للغرب ؟ وكيف يمكن الفصل في هذه القضية؟

اللباس المنهي شرعاً، ما كان فيه تشبهاً في الكفار من الناحية العبادية.

وإلا فالنبي ﷺ لبس ما أهداه إليه الكفار، وفي حديث المغيرة الصحيح أنه لبس لباساً فيه ضيق من جهة الكم.

ولمحمد الحسن الشيباني الحنفي عبارة نفيسة ودقيقة حول هذا الموضوع يقول فيها: فرق بين التشبه والمشابهة.

فما كان تشبهاً بملابسهم كطقوس النصارى، أو الصور المحرمة فلا يجوز.

وأما مشابهتهم في الملابس فليست محرمة لذاتها، بل هي من أصل التشريع ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢].

كلمة أخيرة ..

إنني متفائل جداً بواقع الشباب الواعي، ونظرتهم للمستقبل، ومتخوِّف حيناً من انشغالهم بالكلام، وضعف وعيهم بالحقائق والتاريخ.

وختاماً: أشكر جريدة شمس، التي أشرقت بضيائها لتنير درب الشباب، ووفقت في نذر مشروعها لأجلهم.

حوار موقع الثقافة (السعودية)

ما هو آخر كتاب قرأته؟

(هجرة العلماء من العالم الإسـلامي) للدكتور: محمد عبدالعليم مرسـي، وهو ضـمن سلسـلة كتب أقرأها حالياً ضـمن إعدادي لكتابي (المؤامرة وغثاء السيل).

والكتاب من اسمه واضح، وفيه نظرات وتأملات عميقة.

ما هي آخر مقالة كتبتها؟

ماذا يفعل السيَّاح السعوديون في العيد؟

وهـو مقالي الأسـبوعي فـي جريدة المدينة السـعودية، ضـمن زاوية (لعل وعسـى). وفيه تعليق على دراسـة حديثة لكاتبة أمريكية عن المجتمع السعودي والسياح في الخارج.

ما هي أحب الكتب إليك؟

لأننـي مؤلـف لأكثر مـن (٤٠) كتاباً حاليـاً، فأنا أعتقـد أن المؤلفات مثل الأولاد، ولا أود أن أنتحل شخصية أحد، وفي كل خير.

آخر موقع اطلعت عليه؟

(*onislam*) و(العرب أون لاين).

برامج فضائية تتابعها؟

الموضوعات هي التي تشدني، ولعل (شاهد على العصر) منها.

كاتب تحب متابعة إصداراته؟

أقرأ في كثير من ألوان الكتب، وتعجبني أصالة كتب القرضاوي، وخاصة كتابه الأخير (فقه الجهاد).

آخر مشروع للشباب؟

جائزة نادي القلم، لتشجيع الشباب، وكنت قد بدأت بها على مستوى الإنترنت، وبحاجة أن تتجه للعالمية، وتُهدى لكل شاب مؤهل.

كاتب ترشحه لجائزة التأليف في الفن والأدب؟

أظن أن البرفسور: عماد الدين خليل، جمع بين الأدب والثقافة وهو مناسب.

أول كتاب قرأته؟

بعد كتب الدراسة، كتاب: مختصر شعب الإيمان.

كتاب أعجبك؟

المجالات متعددة، لكنني أسرت: لجامع الأصول، وزاد المعاد.

مقال تأثرت به؟

مقال تأثرت به، واتصلت بكاتبه أول مرة شاكراً، ودار بيننا حوار

جميل، وهو الأستاذ: خالد المعينا، رئيس تحرير عرب نيوز، عن سجن الترحيل.

وقرأت اليوم تعقيباً على ما ذكر في مقالة كاملة من كاتب كبير هو أستاذنا: محمد صلاح الدين. مما يدل على أهميتها وقوتها.

ماذا يستهويك من الشعر؟

جمعت ما طربت له في كتابي (النفائس) وقد طبع حديثاً.

بيت شعر تتمثل به ؟

تمسك إن ظفرت بود حرٍ فإن الحر في الدنيا قليل

كتاب لا تستغني عنه؟

بعد القرآن (جامع الأصول) لابن الأثير.

أول وآخر دولة سافرت إليها؟

أولها سوريا، وآخرها سنغافورة.

ما الدول التي تعجبك؟

مصر بتاريخها وعمل أهلها، ولبنان في جمالها، والسعودية بوجود الحرمين، وأهلها الطيبين، وكل بلاد العرب أوطان، ولي في كل أرض أحبة ومواقف تجعلها في المقدمة، لكني ذكرت أكثر ما زرت.

ماذا تحمل في سفرك؟

كتبي وأوراقي ومصحفي.

دولة تتمنى زيارتها؟

القدســ طبعــاً، فقــد زرت كل القــارات عــدا دولاً فيها لم يثرني شــيء لزيارتها.

أحب الأكل إليك؟

التمر واللبن.

وجباتك المفضلة؟

الفطار: (الفول) أو جبنة خفيفة.

الغداء: كبسة البيت فقط!

العشاء: السمك.

و(كل حسب التيسير).

وعصيراتك؟

منجو، فراولة، جوافة. حسب الحال.

هل جربت الطبخ؟

لا، جربت قديماً واحترق الطعام فما عدت.

ووقت الأزمات تدبَّرا!

كم تقضي على الإنترنت؟

ربما نصف ساعة أو ساعة لا أكثر.

ماذا تفعل وقت اللجج في المجالس؟

أقول الكلام إن اقتضــى الموقف الوضــوح والقوة، مع القدرة ـ بفضل الله ـ على إدارة موضوع آخر في نفس اللحظة.

أنت جريء؟

صريح، ومتفهم، وربما هادئ جداً.

متى تتفاوض؟

قــرأت كتابيــن: أحدهما عنوانه (الطريق إلى نعــم)، والآخر (الطريق إلى لا). أي أستطيع ـ بكرم الله ـ أن أقول: نعم، أو لا، حسب الموقف.

موقف أغضبك.. كيف تفعل؟

بكلمات قليلة مركزة وموزونة.

أحب الأماكن إليك؟

المكتبة.

لحظة جميلة في حياتك؟

التخرج من الجامعة.

موقف محرج؟

ذهابي لوكيل جامعة الملك عبدالعزيز للشفاعة لأحد الطلاب، وظنوني عند الدخول طالباً، وأنا أحمل الدكتوراه وأرأس جامعة مكة!

حتى تأسف السكرتير عندما أعطيته الكرت.

موقف محزن؟

عندما كنت في (فلندا) ورأيت برنامجاً وثائقياً عبر الجزيرة، سرقت فيه آثار علماء العراق.

لحظة لا تنساها؟

أول دقيقة لافتتاح قناة (فور شاب).

رسالة لمن توجهها؟

سماحة العلامة محمد الحسن الددو -حفظه الله-، مزيداً من العلم والمعرفة.

زادك الله نوراً وصلاحاً.

حكمة ترددها؟

آخر ده يجيب ده! وهو مثل وحكمة شعبية مصرية في الوقت نفسه.

أمنية تنتظرها؟

قـرأت كلامـاً قديماً جداً وأنا في المتوسـطة للطنطـاوي ـ رحمه الله ـ عن أمانيه التي حصل عليها، ثم لم تعد تهمه شيئاً، ومن بعدها ما عدت أفكر بمثل هذا الأمر.

ما هي المراحل التي أزعجتك؟

لا أظن أنني مررت بمراحل متقلبة، لكن ربما الممارسة تطلبت فرزاً أكبر للنظرات وتعديلها وتقويمها على المستوى الشخصي وحتى الشرعي.

شيء لا تحصل عليه؟

كتابة الشعر بأريحية، ولكني حمدت ربي بعد ذلك!

شيء تفتخر به؟

التفهم للآخرين، والسعي لإفادتهم.

شيء تأخرت فيه؟

الزواج، وكان خيراً.

مطلب جماهيري؟

النظافة، وأداء العمل بإتقان أو قداسة غير مخلة، وتذوق الفن.

همومك الآن؟

أشعر بالتوازن عموماً، ولا أفكر بشيء حالياً سوى التركيز على مشاريعي.

اللون الذي تميل إليه؟

الفواتح عموماً مع بعض الغوامق المجملة.

كتاب أثَّر فيك؟

قديماً جداً (صفة الصفوة) فقد هذبني جداً، و(زاد المعاد) وسَّع أفقي نحو السيرة وصاحبها، ولعل أهم كتاب معاصر، هو الكتاب المتحرك في عقل العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي ـ حفظه الله ـ وهو من أهم ما استفدت، وقل مثل ذلك العلامة الشيخ: عبدالله بن بيه.

شيء قدمته للناس؟

مشـــروعاتي الشـــبابية وكتبي، وأهم من ذلك رضـــا اللّه علـــي ولو في عمل صغير يقبله مني.

ماذا تطلب؟

أطلب المزيد دوماً من حب اللّه.

رسالة لوالدتك؟

استمري في الدعاء، فهو صمام أمان.

رسالة لوالدك؟

رحمه اللّه، إنني على الدرب الذي كنت عليه من فضل ونبل ـ إن شاء اللّه ـ.

رسالة للشباب؟

أن نعطي لأنفســنا مســاحة للحديث والبناء بمنهجية هادئة وواضــحة. وأن نستشعر أننا بشر وبحاجة لبعضنا.

الوضوح؟

هذه أصيلة في نفسي، وأفتخر بها.

مشكلات الدعاة، كيف تسهم بحلها عملياً؟

كتبــت مســودة لمركــز أفكر بإنشــائه يحمل هذا الاســم: (مركز الســلام للتعايش الإنساني والتجديد الحضاري).

وفيه الأهداف والمشروعات المحددة.

فقد أثار سؤالك هذا الهم الذي أحمله وأفكر فيه، ولعلني قريباً أروِّج بكتابات ومحاضرات الملامح الكبرى فيه، قبل أن يبدأ، أو على أقل تقدير إشاعة فكرته.

الخلاف بين التيارات.. إلى متى؟

أظن أن ما مضى كان في جملته كافياً!

شيء تتذكره جيداً؟

ما ترك الجوال، وفنون التخزين بالرموز والمواقف والصور شيئاً!

متى تعترض وتغضب؟

اقرأ كتاب (الطريق إلى لا)، لتعرف متى يحدث ذلك!

ما رأيك بالتعصب الرياضي، والقبلي؟

هذه أخلاقيات معاصرة، تحتاج إلى خطب ومقالات ومحاضرات وبرامج إعلامية توعوية، لأنها صارت جزءاً أساسياً من حياة الناس، وتؤثر على طبائع معيشتهم بناءً أو هدماً!

وكلمات التشجيع؟

عظيمة جداً، إن قيلت بحق، وحب، ولو على شيء يسير.

والعمل الطوعي؟

تكفينا ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

من تصاحب؟

إن شئت فقل: الأمين، وهذا شرط فيمن أصاحب.

هل تقبل النقد؟

أوافق على قبول النصيحة تماماً.

اختلاف طبائع من لك بهم علاقة؟

المصلحة أو الحاجة جبلة إنسانية في حدودها العفوية والمنطقية والاجتماعية. والنية هي المحك.

وأعتقد أنه يمكن استثمار علاقتنا بأسلوب وطريقة أفضل وأرعى للود وفعل الخير، خاصة في هذا العصر.

كلمة لا تستطيع التعبير عنها لسبب؟

لي مقالة مهمة جداً بعنوان (فن الهدوء) هي خلاصة تجربة.

أين واقع الزهد في حياتنا؟

موضوعه ملتبس، وقصصه في السيرة ولدى السلف وواقع الدول يحتاج إلى فلسفة، والنية والتجربة تحكمان.

رأيك بعلم التحليل؟

يكشف الكثير عن الذات سلباً وإيجاباً!!

رأيك بالفن والرياضة اليوم؟

صار موضة أو سلعة.

وكل ينظـر بعين عقله، وقليل ممن يفكـر بنظرية (د. عماد الدين خليل)، كطريقة لاكتشاف الفن وطبائع البشر!

ومن قرأ آخر مقالة للفيلسوف د. عبدالوهاب المسيري (الإنسان والشيء). عرف الحقائق.

اختلاف الآراء في الساحة اليوم هل هو صراع؟

لا يسمى صراعاً، إذ ماذا أبقينا للصراع الحقيقي؟!

لماذا لم نجد أسماءً إسلامية في موسوعة (جنيس)؟

لا نحتاجها في كثير!

ماذا تفيد: أكبر صحن طعمية، وأطول ساندويتش همبرغر، وأول ... !

وماذا عن كتاب (الأوائل) للإمام العسكري، الذي أبرز فيه نبوغنا وتفوقنا وتقدمنا، وسواه كثير!

الردود العنيفة في الإنترنت، على أي شيء تدل؟

علامة للسطحيين!

انشغال الدعاة بموضوع التدريب، أليس ضياعاً لموضوعات أهم؟

وماذا نسمي الصيام والحج، أليس فيها تدريباً على العبادة. وكذا الدنيا لا تتطور بغير تدريب وممارسة وفن.

هناك من يهاجم الدعاة بعدم وجود أهداف؟

أهدافي مكتوبة لبضـع سنين إن أمدني الله بعمر وعافية، وكلٌّ مسؤول عن نفسه.

أين اهتمام الدعاة بالإعلام؟

في أحد فصـول كتابي (رؤية تطويرية للصـحوة الإسـلامية)، كلام مركز عن هذا الأمر. ومن البساطة لملمته في حروف وهو موضوع العصر.

هل هناك حاجة لتربية الأفراد، في ظل التغيير من قبل المجموعات؟

دورنا أن نبدأ بأنفسنا، وأن نوجد قدوات.

النبي ﷺ ربَّى القدوات ثم كوَّن القيادات.

وبعد ذلك الرجل بألف أو بمليون، وقواد الحضارات أو الثورات بدأوا أفراداً!!

عدم وحدة الآراء بين المسلمين، إلام يعود؟

قديماً قال أحد السلف: عقول الناس على قدر زمانهم. ولك أن تحكم على العقول إذن بما يجود به كل منا على عقله من مخترعات الزمان!

هل أنت تعمل بموجب قرارك الفردي، أم تتبع لرأي الآخرين؟

كل إنسان تابع ومستقل!

هذه ثاني قاعدة في كتابي (الشاب المتقدم).

وكتبـت تأملات يسـيرة عن هذه القاعدة في حديثي عـن (المواطنة بالتي هي أحسن) في كتابي (حول المنطلقات الفكرية والدعوية).

نظرتك للجمال؟

أعجبنـي العلامة: محمد حسـين فضـل الله ـ رحمه الله ـ، في تفسـير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، في تفسـيره (من وحـي القرآن)، وقد أجاد بأن الطهارة والجمال ممن يعتقد بدلالتها الشرعية، لها أعمق الأثر في حركة الباطن والظاهر!

ولعل كتابي (من وحي الجمال) فيه لفتات تعمق هذا المعنى، وهو تحت الطبع.

ومن خير ما قرأت في هذا الباب، كتاب أخي الأستاذ: خالد الأحمدي (فن وذوق)، وكتاب (الإتيكيت) للبوسعيدي، و(فن الإتكيت) للأستاذ: عمرو خالد، وأصله محاضرة جميلة.

وأقدمها من المعاصرين (تقرير ميداني) للأستاذ: محمد الراشد. وفي إحدى فصول كتابي (فقه التدين)، المسمى (الجمال)، ما يكمل ما سبق من طرح العلماء والفضلاء.

نظرتك للإحترام؟

لا أفهم مشتركاً إنسانياً بلا احترام.

نظرتك للحب؟

هو الداء والدواء!

حب اللّه والقرآن والطفل وخدمة المحتاج والإنجاز دواء ..

وحب الشهرة والبحث عنها، والأَنا، والهوى، والكسب على أكتاف الآخرين، داء..

لا يعالجه طبيب واحد، وليس له وصفة محددة!!

حوار موقع الأمة أون لاين (مصر)

تهتم الحركات الإسلامية بتعليم أبنائها قيمة العلم في المحاضن المختلفة، فهل في تقديركم أدّت هذه المحاضن دورها العلمي، وما هو في نظركم العلم المطلوب منها؟.

كل حضارات الدول قامت على مبدأ (العلم)، إذ لا تُتصور حضارة من غير علم!.

وعنوان حضارة كل أمة ما ترفعه من قيم، وما تحققه من إنجازات، وما تطبقه من دساتير.

وأول عنوان للأمة الإسلامية (العلم)، الذي نطق بمفهومه القرآن الكريم، في أول كلمة منه، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾.

إنه العلم الذي يؤسس التوحيد: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ويدل على طريق الحق والهداية: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ﴾ وبه تنال الرتب العوالي: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾.

(مقاطعًا).. ولكن ألا ترى د. علي، أن مفهوم العلم انحسر في علوم محدودة

هي التي يؤجر عليها الإنسان، ولم يمتد مفهوم هذا العلم للجوانب التطبيقية؟!.

مفهوم العلم في فلسفة الإسلام مفهوم للحياة ولما بعد الحياة؛ ذلك العلم الذي يبين لنا الحق من الباطل في المعتقدات، والمسنون من المبتدع في العبادات، والصحيح من الفاسد في المعاملات، والحلالَ من الحرام في التصرفات، والصواب من الخطأ في التصورات، والنافع من الضار في المبتكرات، والمحمود من المذموم في المواقف والأفراد والجماعات.

وبهذا العلم المنهجي الأصيل المتكامل، يسعى المرء لتحقيق ما أمر اللّه به من العبودية الخالصة، والاستخلاف وفق سنن الصالحين، والعمران في الأرض؛ لتتحقق الخيرية العادلة، ويكون الشهود الحضاري.

إذا لماذا يكرِّس بعض الوعاظ مفهوم التدين من خلال العلم المسجدي، دون التطرق لوجوب العلم التطبيقي الذي يُنقذ الأمة من التبعية، وما تجرّه من فرض المنتجات الغربية بالأفكار المستوردة، كما هو مشاهد اليوم؟.

لك أن تعجب أخي أن النبي ﷺ استنكر وجود الصحابي الجليل (أبا أمامة) في المسجد، في غير وقت الصلاة!؛ وذلك لأن أوقات الشعائر التعبدية في المسجد، من صلاة ودروس، ينبني عليها عبادات تعاملية أخرى.

وانظر إلى وقائع التاريخ، بل ما ورد عن الخلفاء الراشدين. فقد تُوفي رسول اللّه وأبو بكر الصديق في حاجة أهله، وعمر الفاروق مرَّ عليه الهرمزان في المسجد فلم يجده!، بل إنه رأى الكنوز مجتمعة في المسجد دون أن يمسها أحد، وقال كلماته المشهورة: عففت فعفّوا، ولو رتعت لرتعوا، وقال له: عدلت فأمنت فنمت!.

وعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ـ كما في البخاري ـ كان يتناوب مع أخ له حضور دروس النبي ﷺ.

ولو عدنا لموقف النبي ﷺ السابق مع أبي أمامة، عندما أخبره أبو أمامة بسبب وجوده في المسجد قائلا: هموم لزمتني وديون يا رسول اللّه، نجد أن النبي ﷺ أرشده للتعلق القلبي باللّه، ولكن من خلال استشعار كلمات يسيرة وعميقة، قال له: قل: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، ومن العجز والكسل، ومن الجبن والبخل، ومن غلبة الدين وقهر الرجال.

وعندما رأى زوجته الشريفة تتعبد إلى الضحى في محرابها، قال: لو قلت أربع كلمات ثلاث مرات لوزنت ما فعلتِ، وهي سبحان اللّه وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

فهي كلمات قلائل، ذات معان كبيرة، وحوّل النبي ﷺ الوقت والجهد، والهم والتركيز، للبناء والعمل.

بل انظر وتأمل في قوله ﷺ: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

فالمتبادر للذهن أن زرع الفسيلة الصغيرة لا ثمرة مرجوة منها والساعة تقام، ولكن المفهوم التعبدي للعمل والزراعة، ولو لم تكن الثمرة، هو مفهوم التدين الصحيح. بل قدمه على العبادة الشعائرية، كالصلاة أو الذكر اللفظي!.

عفوا.. ألا يقودنا هذا يا دكتور إلى الحديث عن مفهوم الإنتاج في عمل المسلم؟.

نعم، تذكرني بسؤالك هذا بموقف حصل مع صديق لي، بل لأحد تلاميذي المحبين. حضر دورة في منشأته التعليمية عن تشغيل برامج إلكترونية عالية الجودة، وبحاجة إلى مهارة وإتقان، قدمها متخصصون في إحدى الشركات، وعند الانتهاء من الدورة طلب مسئول هذه المنشأة التعليمية من الموظفين من يتقدم لتشغيل الجهاز، فأحجم الكل لصعوبة المسألة، ولأنهم بحاجة إلى مزيد تعليم، إلا واحدًا.

وكان هذا الواحد هو صديقي الصغير!، فابتدر بعد إحجام الجميع، وفك شفرات الجهاز، في حركة علمية سريعة، وبخفة ومهارة لم تتجاوز الدقيقة!.

فبُهر الجميع من كفاءة الشاب، ولما عاد قال له مديره: نعم الشاب أنت، لو كنت تداوم بشكل منتظم في عملك!.

في اعتقادي أن من أكبر مشاكلنا، حتى على مستوى الساحة الدعوية، عدم تقدير مسألة الإنتاج بالمستوى المطلوب.

في تصورك ما الفارق بين المسلمين والغربيين؛ من حيث قدرة الغربيين على الإنتاج، مقابل ضعف المسلمين؟.

هذه قضية مركبة الأسباب، فهناك أسباب على مستوى الحكومات والمؤسسات، التي تدخر المال لنفسها، وإلا ففي الأمة شباب قادرون على الإنتاج.

كما أن نظرة المسلم للإنتاج غير متصورة بالمفهوم الإسلامي، ففي الإسلام يرتبط العمل أيًا كان دنيويًا أو أخرويًا بكونه صالحًا، وفي الحديث: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه)، وفي المساهمات البيئية أجور متوافرة (وإماطة الأذى عن الطريق صدقة)، بل شعبة من شعب الإيمان.

مرة أخرى لو أردنا أن نحدد الفارق في الإنتاج بين المسلمين وغيرهم؟.

بعد ذكر الأسباب السابقة، يعود الأمر إلى مسئولية كل فرد بشكل رئيس.

تأمل واقع العلماء المسلمين المهاجرين للغرب. وفي المقابل تأمل نهضته (ماليزيا) في سنين معدودة، على يد رجل نقل صادراتها من (٣) مليارات عام ١٩٨١م، إلى (٢٠٠) مليار عام ٢٠٠٣م. وارتفاع نسبة المتعلمين إلى ٩٣٪، بعدما كان يُعرف عن الشعب الملاوي الجهل والتخلف!، المسئولية مرة أخرى، وبناء الإنسان على القيم، وتربيته عليها، وإيمانه بالعاقبة.

ولن نتلذذ بقيمة النهضة على مستوى الأمة، ما لم نتذوقها على مستوى الفرد.

وللشيخ الغزالي حكمة يقول فيها: (إن بناء الفرد يعني تكوين الأمة)!.

الفرد المسلم الذي شغل وقته بالتفاهات، والنقيصة من الدعوات الإصلاحية، واللهث وراء الدنيا وزخرفها، أنَّى له بالحضارة والسؤدد؟!.

ولكن د. علي يعيش الغرب في تخبّط على المستوى الديني، وهو في قمة النهوض العلمي؟!.

صحيح، والقرآن الكريم صرّح بهذا: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾.

ولذا تجدهم سبّاقين إلى ميادين العلم، ولا شك أنه بجهدهم، الذي تقاعسنا عنه، ولكنهم يعملون للدنيا، ولو كان عملهم لخراب الديار، وإهلاك الحرث والنسل، وها هي أعمالهم وحضارتهم ماثلة للعيان، في التدمير، وسفك الدماء، والاستيلاء والسرقة، وإرهاق الدول الإسلامية بالديون، وجرّها إلى مستنقعات السياسة!.

البناء الحضاري في سنن التاريخ تكاملي، وليس جزئيًّا!، فأنا لا أحمِّل كل المسلمين التخلف الاقتصادي، والعلمي، والسياسي، والعمراني.

لو رجعت إلى قوانين التعليم لدينا في الدول الإسلامية، جلّها تمارس دور السلبية، وتعميق التخلف.

فلدينا في قوانين بعض الدول العربية أن من يصل إلى سن درجة الخمسين أو الستين يُحال إلى التقاعد، ولا يستفيد النشء من تراكم الخبرات، وأول هزيمة للنهضة هي هزيمة العلم!.

حفل تاريخنا بمآثر العلم، كما حصل في الأندلس وغيرها، فلماذا لا تستيقظ الحركات الإسلامية لبثّ هذا الوعي من جديد؟.

آه أخي الكريم. لقد نكأت جرحًا، اقرأ مثلًا كتاب د. شوقي أبو خليل (أثر علماء الأندلس في نهضة أوروبا)، وهو من مطبوعات دار الفكر، إنك وأنت تقرأ مادة الكتاب لا تكاد تملك دموعك!.

زرتُ لندن، وشاهدت الصرح التعليمي، الذي يحتفظون فيه بعشرات المخطوطات، بخط علماء الأندلس، ومن قبلهم!.

في الفترة التي لم يوجد في أوروبا مكتبة، حُرقت كتب المسلمين في الأندلس، ورُميت في البحار، حتى إنهم حرقوا في يوم واحد (مليون) كتاب للمسلمين!.

وهذه الكتب المحروقة ليست تراثًا دينيًا كما يُظن، بل هي كتب شاملة لنهضة الحياة بكل صورها.

فرجل كالإمام ابن رشد، كان متخصصًا في الطب والفلك والفلسفة والأصول والفقه المقارن وعلوم الآلة!.

ورجل كيحيى بن يحيى الليثي راوي الموطأ، رحل من الأندلس للمدينة، وغيرهم كثير، كل أولئك كان مفهومهم للعلم ليس قاصراً على مفهومنا في هذا الزمن، وللأسف.

ولكن العصر اختلف، والتخصصية أصبحت مهمة، ما هو تعليقكم؟.

التخصصية مطلوبة، بشرط عدم الاستغناء عن العلوم الأساسية. فأنا لا أتصور طبيبًا لا يفهم علوم الدين الأساسية، وليست له أية دراية بواقع الأمة، ومعدوم الثقافة لفكر رواحل الدعوة، ورجالات الإصلاح: السياسي، والاجتماعي، والفكري.

فالطبيب لن يعيش طوال يومه داخل المستشفى، بل له مرور على مناحي الحياة كلها.

فكما قتلنا العلم (الكوكتيلي)، كذلك أرهقنا فكر المتخصصين، وهناك في جانب آخر (المتعالمون) في كل شيء، بحجة أننا في عصر العولمة والإنترنت!.

ولكن لماذا لا يوجد موسوعيون، خاصة مع ما ذكرت من اختصار الوقت عبر الأجهزة المعاصرة، التي لم تعهد لأسلافنا؟.

المسألة ليست (*CD*) فحسب!..

المسألة منهج، فالطبيب لن يكون طبيبًا عبر الإنترنت والفضائيات دون ممارسة، والمهندس لن يكون مهندسًا بتشغيل (الفلاش) في جهاز الحاسوب. وكذلك عالم الشريعة لن يتمكن ما لم يَحنِ ظهره على العلماء المتخصصين الربانيين، فالآلات أدوات تخاطب العقل والجسم ربما، ولكن من يخاطب الروح؟، وفي تقديري، أن من أكبر مصائبنا التخلف في مفهوم الدين والتدين، وليس التخلف التقني!.

لكن هذا كلام خطير.. ألا يمكن توضيحه؟.

نعم، انظر دولة كماليزيا أو اليابان وغيرها من الدول التي عانت من الاستعمار أو الاستخراب دهرًا طويلًا، ما الذي جعلها دول منافسة وناهضة.

انظر حال إيران والصين ودولة صغيرة مزعجة كقطر، هل قامت نهضتهم (بروشتات) عمل؟، كلا وألف كلا، بل ببناء الإنسان، بالتأسيس من تحت، كما قال شكيب أرسلان.

ولن ينسى التاريخ يوم قابل د. مهاتير محمد الرئيس الأمريكي (رونالد

ريجان)، والذي كان يُعد لاستقباله ما لا يُعدّه لأي رئيس في الشرق الأوسط، كما يسمونه ـ لإبقاء إسرائيل في المنطقة ـ، المهم أن ريجان أخذ د. مهاتير في زيارة للبرجين الكبيرين (برجا التجارة العالمية)، وأنهما الأعلى في العالم، فردّ عليه مهاتير، قريبًا جدًا سيكون في ماليزيا برجان أطول منهما، وهذا ما حصل عام ١٩٩٨م!.

إذا كانت المسألة مباني ومنشآت فالعمالة العربية والإسلامية (عاطلة)!، ولو لم يخزن الساسة أموال الشعوب في سويسرا لصارت الأبراج الطويلة في البلاد العربية على هيئة مسابقات ترفّه، كمسابقة شاعر المليون، وملكات الجمال!!.

وغفل المبهورون من النهضة الماليزية، أن د. مهاتير محمد عوّل في بناء الصناعة الماليزية على الشعب، وكل محاضراته وكلماته شاهدة عيان، كما في موسوعته الرائعة، من طبع دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، كما أتذكر.

جُلنا معك سيدي في ساحة فكرية تربوية لم نحسب لها حسابًا!، ولكن اسمح لي على ضيق وقتك أن أختم بسؤال: كيف تستفيد الحركات الإسلامية، ومؤسسات المجتمع المدني، والتي يشرف عليها الإسلاميون؛ لتطبيق ما ذكرت؟.

سؤال مهم، وحسنًا أن نختم به. سأحاول أن ألخص لك الإجابة في نقاط، أرجو أن أوفق في إيضاح مضامينها، وهي: ـ

١ ـ احترام الأكابر، وروّاد الثقافة والمعرفة في الأمة:

فالدندنة حول جناح (النسور) وجناح (الصقور)، وتيار الشباب وتيار الشيوخ، إذا لم يُناقش بعقلانية وموضوعية، فإن هذا يؤدي إلى تلاشي القيم؛ فالشيوخ والأكابر من أهل العلم في جميع التخصصات يجب النهل من معينهم

وتجربتهم، وعدم الوقوف بالضرورة عند كل آرائهم. مع وجوب التعامل معهم بكل أدب ونصفة، دون الانشغال بالنقائص والشتائم.

٢ ـ الحذر من العقول المتسولة:

فلسنا متعبدين بآراء الفيلسوف فلان أو المفكر علّان، الواجب احترام الآراء، وأدب المناقشة، مع عدم التسليم المطلق للأطروحات، وخاصة المجنِّحة.

فقد أرهقتنا على سبيل المثال الدورات التدريبية التفصيلية، على حساب الدورات الشرعية في تعامل المؤمن مع ربه. والعكس بالعكس، أوجبنا على النشء فروع المسائل غير المشتهرة أحيانًا، وغفلنا عن مشاريع البناء والنهضة.

نحن بحاجة إلى المنهجية في العلم، وليس القفز على المراحل، مشكلة كثير منا في الصحوة (العقول المتسولة)، إمّا أن البعض يريد أن يتسوّل النشء على مدرسته فحسب دون غيره، وإما أن يترك النشء للتسول دون ضابط أو منهج!.

٣ ـ احترام الأفكار دون إلزام:

فقد شغلت الصحوة المعاصرة مسائل مختلف عليها من الناحية الفقهية، وغير مسلَّم بها في القضايا الدعوية.

فالبعض يريد تغيير واقع الصحوة الذي تتلمذ على منهج فقهي ما، بتغيير فكرته تمامًا لما يراه هو بكل شدّة، وأحيانًا بعض القسوة!.

وفريق ثانٍ، ناقم على الحركات الإسلامية، يزيّن أفكاره في المجلات والرسائل، دون مشاريع تطبيقية داخل الميدان!

إنني أحترم الأفكار، وأقدِّر النقد البناء. ولكن لا أستوعب أن يُمارَس جلد الذات بسياط ملتهبة!.

وكأن الصحوة ورجالاتها هم السبب من البداية إلى النهاية في تكريس الخلاف، والدخول في المعتقلات، وخسارة حرب ٦٧!!، على العقلاء من الدعاة أن يستيقظوا من حماسات كتَّاب الصحوة المعاصرين، الذين كرّسوا جهدهم للنقد من باب النصيحة، دون أن يتنبّهوا لآداب النصيحة، وقبول نقد أنفسهم من الآخرين!.

٤ ـ الخروج من الدوائر السلبية والإحباطية في الخطاب الإسلامي:

فالهدي النبوي الذي يؤمن به كل دعاة الإصلاح العلمي ليس في قاموسه نقيصة، أو شتيمة، أو إهانة، أو إحباط لجهود العاملين في الإسلام، إنما فيه توجيه بلغات يغلب عليها البناء والتشجيع، وقد يحتمل الأمر شيئًا من الهزّة؛ لإيقاظ الوعي، والحذر من التشرذم، والتفاحش.

٥ ـ إبراز الشباب وحسن رعايتهم:

فالشباب اليوم نشأوا في غير عقود غيرهم من الدعاة، ولربما اختُصرت لهم أوقات لم تختصر للسابقين، وليس الأمر لازمًا للنجاح والتوفيق العلمي.

والذي أراه أن يُربى الجيل على التربية الإيمانية، ومن ثمَّ تشجيعهم، والعناية بهم.

ودور الحركات الإسلامية اليوم توجيه الشباب على الموازنة بين المواهب والمطالب، والسماح للمشاريع النهضوية بالخطوات السليمة، وتشجيعهم على مشاريع العمل، ورحم الله إقبال، عندما خاطب الشباب قائلا: (نسور مصيركم التحليق، فهناك أجواء عديدة تنتظركم لاقتحامها).

والصوفية يقولون: (إن الله خلق الأيدي لتعمل، فإن لم تجد في الطاعة عملا، التمست في المعصية أعمالا).

شكر اللّه لكم، إتاحتكم هذه الفرصة الثمينة لموقع الأمة للاقتراب من فكركم.. ونقل خبراتكم لجيل الصحوة من شباب الأمة.

بارك اللّه فيكم، وتقبل جهدكم وجهادكم الإعلامي.. ونسـأل اللّه أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يجعله في ميزان حسناتكم.

مؤلفات د. علي بن حمزة العمري

الكتب العلمية والشرعية:

١ ـ الفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني (دراسة وتحقيق وتخريج).

٢ ـ مسائل الاتفاق ومصادرها عند الأئمة الأربعة.

٣ ـ سلسلة الفقه المعاصر (١٥ جزءاً).

٤ ـ أيام في المدينة.

٥ ـ الرسول والحياة.

٦ ـ المدخل إلى تفسير التدبر.

٧ ـ النشيد الإسلامي المعاصر. نشأته ووظيفته .. أحكامه وضوابطه.

٨ ـ الفن المعاصر. صوره وآثاره .. فلسفته وأحكامه.

٩ ـ فقه العلاقة بين الرجل والمرأة.

١٠ ـ فضل كفالة اليتيم ونبذ من الأحكام المتعلقة به.

١١ ـ المرأة والموسيقى.

١٢ ـ ضرب الإنسان وجلده في الفقه الإسلامي.

١٣ ـ الجديد في فقه الجهاد.

١٤ ـ حكم الترحم على المسلم الظالم والكافر المسالم، ولعن العامة والخاصة.

١٥ ـ فقه الثورة.

الكتب العلمية التي اعتنى بها (بين تحقيق وتخريج وتوثيق) للعلامة الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي:

١ ـ الفقه المضيء. شرح منهج السالكين، للعلامة: عبدالرحمن السعدي.

٢ ـ الدرر الحسنية شرح الأربعين النووية (عدة أجزاء).

٣ ـ نثر الإفادات على متن الورقات.

٤ ـ النهر العذب من محاضرات العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي.

٥ ـ المغني المفيد شرح كتاب التوحيد.

٦ ـ فقه العصر.

٧ ـ اليوم الآخر حكم ومشاهد.

٨ ـ محبة الرسول ﷺ.

٩ ـ نظرات في السياسة الشرعية.

١٠ ـ نظرات في فقه الدعوة.

كتب الفكر والدعوة:

١ ـ كيف تبني ثقافتك؟

٢ ـ قضايا دعوية معاصرة.

٣ ـ المنبر الحر.

٤ ـ مراودة الفكر.

٥ ـ زاد الرواحل.

٦ - النفائس.

٧ - رؤية تطويرية للصحوة الإسلامية.

٨ - حقيقة حزب اللّه.

٩ - خطوات نحو التجديد.

١٠ - خيار المقاومة.

١١ - استدراج الفكر.

١٢ - ويكيلكس عربي.

كتب قضايا الشباب:

١ - حصاد الفتيان.

٢ - من وحي الشباب.

٣ - مشكلات وحلول في حياة الشباب.

٤ - قصص للحياة.

٥ - بيت الخبرة.

٦ - ذكريات شاب.

٧ - قلبي يحدثكم.

كتب الأدب والرواية:

١ - سلفي في الكافية.

٢ - انتخبوا حسب اللّه.

٣ - حوار مع وسواس.

٤ - أغاني الحياة.

٥ ـ صوت الحب.

كتب التربية والتزكية:

١ ـ أمير الأنام.

٢ ـ الصحة الإيمانية وأثرها في حياة المؤمنين.

٣ ـ قافلة النور.

٤ ـ الإحساس بالذنب.

٥ ـ مغفرة الله لا مغفرة العبد.

٦ ـ بطاقات تربوية.

٧ ـ دعاء وأذكار.

٨ ـ كنوز الحسنات.

٩ ـ نهضة الفجر.

١٠ ـ أمثال تربينا.